«سلسلة الروايات اليابانية»

تانغو طوكيو

ريكا يوكوموري



ترجمة:
شارل شهوان

علي مولا

نبذة عن المترجم:

شاعر حداثي وروائي وفنان تشكيلي لبناني وناقد أدبي ومترجم محترف وقد صدرت مجموعته الشعرية الأولى «أحدهم يستعد للقفز» ثم نشر «شاب يغتسل بمفرده» و «شرير في سيارة». إضافة إلى الشعر له في القصة القصيرة إصداران هما «جاز العزلة» و«حرب شوارع». في التشكيل أقام عدة معارض فردية إضافة إلى مشاركات في عدة معارض جماعية. وهو أول من نقل إلى العربية أعمالاً روائية لكل من رايموند شاندلر «وداعاً يا حلوتي» وبول أوستر «في بلاد الأشياء الأخيرة» وماكس فريش «هومو فابر».

نبذة عن المؤلفة:

بدأت الكتابة عن الفن والأزياء في صحف ومجلات يابانية. قبل أن تنتقل لاحقاً إلى الكتابة في نيويورك. ولدى عودتها فيما بعد إلى اليابان حيث تعيش حالياً. تناولت مواضيع اجتماعية في مقالات نشرتها في مجلة «كلير».

صدر لها ما يزيد على خمسة وثلاثين كتاباً في السنوات العشر الأخيرة. بين روايات ودراسات وريبورتاجات وكتابات عن السفر. ومن أهم أعمالها رواية «الطعام والحب». و«سبعون فكرة لتحقيق السعادة الفورية». ولها مساهمات منتظمة في عدد من المجلات والصحف.

ريكا يوكوموري

تانغو طوكيو

ترجمة: شارل شهوان

مراجعة: د. خالد المصري

الطبعة الأولى 1432هـ 2011م
حقوق الطبع محفوظة

PL877.5.O36 B6512 2011
Yokomori, Rika, 1963-
[Tokyo tango]
تانغو طوكيو / ريكا يوكوموري؛ ترجمة شارل شهوان؛ مراجعة خالد المصري. -ط. 1.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، كلمة، 2011.
ص 332 ؛ 13.5×19 سم.
ترجمة كتاب: Tokyo tango
تدمك: 978-9948-01-978-7
1. القصص اليابانية -- القرن العشرون -- المترجمات إلى العربية.
2. القصص العربية -- القرن العشرون -- المترجمات من اليابانية. أ. شهوان، شارل. ب. مصري، خالد. ج. العنوان.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الياباني:
Rika Yokomori
Tokyo Tango
Original title: Bogichin

First published in Japan in 1994 by Bungei Shunju Ltd.
Through Japan Foreign- Rights Centre



www.kalima.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 451 6515 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+



أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE
www.adach.ae

ص.ب: 2380 أبوظبي، الإمارات العربية المتحدة، هاتف: 171 6576 2 971+ فاكس: 127 6433 2 971+

تانغو طوكيو

الفصل الأول

«مهما فعلتِ إياك مرافقة مقامر. قد يحظى المقامر بربح واحد كبير غير أنه سيبدد لأجله حظ حياة بأكملها. الحياة مديدة والناس لا يموتون بتلك السهولة. إنّ حياة عادية إنما مديدة، هي ما أدعوه ربحاً حقيقياً».

هذا ما قالته لي أمي حين بدأت بالخروج مع بوغي.

«بوغي» كانت الكنية التي انبثقت إبان موعدنا الأول. كان جالساً قبالتي، إلى الجهة الأخرى للطاولة، في عتمة البار المضاء بالشموع حين راودته فكرة أن يتظاهر بأنه همفري بوغارت في فيلم «كازابلانكا».

«الليلة الفائتة؟ هذا من زمن بعيد جداً، لست أذكر».

متلفظاً بهذا مال إلى الخلف ونفث من خلال منخريه المتسعين دفقين بطيئين من الدخان.

راودني «يا لحجم هذين المنخرين!»، لقد ذكّراني بمثل ياباني قديم يقول «إن الناس الذين يملكون مناخير كبيرة ينفقون المال وكأنه ماء».

همم.. ثمة بعض الحقيقة في تلك الأمثال القديمة.

على أيّة حال، بدا نوعاً ما ممتعاً ودمثاً في اليومي العادي.

بادرني بالقول «نادني بوغي وحسب».

في تلك اللحظة بالذات بدا أكثر شبهاً بيوغي الدب منه لهمفري بوغارت، غير أني قررت مسايرته وهكذا أصبح «بوغي».

تواءمنا أنا وبوغي لست أدري كيف وبسرعة منذ اللحظة الأولى أو

لعلنا كما يصف هو الأمر بإنجليزيته اليابانية العجيبة كنا «زوجاً توافقت مشاعرهما على الفور».

في الواقع كان بوغي بالنسبة لي بمثابة بطانية لينوس في مسلسل «بيناتس» الكرتوني. كان ملكيتي المفضلة ويستحيل أن يخالجني أني على خير ما يرام إن لم يكن بوسعي التشبث به. كان دافئاً ومن الصعب العيش دونه وكنت أرغب في اصطحابه معي أينما توجهت. أكثر البطانيات إراحة في العالم لصق جلدي، هذا ما كانه بوغي. كان هناك شيء ما غير مفسّر بشأن اسم التحبب ذاك لكأنه يعبّر بشكل كلي عن حبي له في أولى أيامنا.

بالطبع كنت أجهل آنذاك أي مفسد للبهجة في الوسع أن يكون.

كنت في التاسعة عشرة من عمري وكان على مشارف الأربعين، ولقد كان مقامراً فظيعاً.

*

كانت والدتي واسعة الاطلاع بشأن المقامرين. كانت عائلتها تملك شركة بناء صغيرة في واحدة من أشد مناطق طوكيو قسوة. ازدهرت الشركة غير أنها، إضافة إلى ذلك، كانت حقل أعمال لمافيا ياكوزا فيه تأثير لا بأس به. كان جدّي رجلاً مستقيماً كادحاً نهض بالشركة وأنجحها، غير أن الجيل التالي، أخوالي، كانوا في الواقع مجموعة من المبذّرين. كانوا مدلّعين فاسدين حتى العظم. ما من طريقة لتبديد المال إلا وسلكوها، ولم يتركوا ليمونة إلا وعصروها حتى الرمق الأخير على قول المثل.

كبروا إبان حقبة لم تكن فيها بعد اليابان قد أثْرت إلى حد بعيد، آن كان الناس لايزالون يرددون شعار أيام الحرب القديم «الترف هو العدو». وكان من الواضح أن أخوالي لم يسمعوا بهذا الشعار، فتنقلوا بين اللهو والعبث مع فتيات الطيش إلى إخفاء نسل من أبناء الزنا، إلى المقامرة بأعلى المستويات، وارتداء ملابس من أرقى التصاميم، وأفخم ولائم المآكل، واقتناء دراجات هارلي دافيدسون البخارية (زمن لم يكن هناك في اليابان كلها سوى ثلاث منها لا غير) والشراب والمخدرات والإصابة بالسيلان، وصولاً إلى العلاقات الغرامية الفاشلة المنتهية بمحاولة قتل... خلال كل هذا برع أخوالي تقريباً في معظم صنوف السلوكات المكروهة في المجتمع المحترم.

توفي جدّي، فورث خالي كيزو، وهو رجل يكسو ظهره بالكامل وشم رائع، الشركة ومضى في إفلاس عائلة أمي. لقد اعتقدت أمي أن مقامرته كانت سبب كل المشكلة.

«استولى دائنو كيزو على كل أملاكنا، المصنع والمنزل وقطعة الأرض. كانت الأمور تسير من السيئ إلى الأسوأ حينما كنت في سنّك، حتى أنهم نقلوا الصخور الزخرفية والشجرات التي في الحديقة، وأثواب الكيمونو التي تخصّ جدتك انتهت في مكتب الاسترهان الواحد تلو الآخر. حين كنت في العشرين من العمر اتصلت هاتفياً بأهلي ذات يوم فأجابني رجل غريب. في البداية حسبت أني أخطأت الرقم غير أن الأمر كان يتكرر كلما اتصلت. أو هل تصدقين؟ لقد قاموا في الواقع ببيع خط الهاتف».

وكونها نشأت في حطام أسرة من المبذّرين، عقدت والدتي العزم

على أن تحيا هي على الأقل حياة شريفة محترمة، وأنه مهما حصل سوف تسلك سبيل الاستقلالية. حتى وإن كانت حياة أحد ما على المحك ما كانت تسمح لنفسها بالتورط بمشكلة مادية. كان هذا في زمن لم يكن يفترض فيه أن تتوجه النسوة للعمل، ولم تكن قد دخلت الجامعة، لذا لم تكن الوظائف التي يمكن أن تأمل في أن تحظى بها كثيرة.

«رغبت في أن أصبح محامية ولكن حين أطلعت خالكِ كيزو على رغبتي في الدخول إلى الجامعة، أجابني بأن مكان المرأة هو المطبخ، تغسل فيه البطاطا».

كتمت أمي بطريقة ما كبرياءها وراحت تفتش عن وظيفة. استخدمتها شركة تأمين من الدرجة الثانية وراحت تطرق الأبواب وتبيع البوليصات. كانت عقيدتها أن تحيا باستقامة وبطريقة متحضّرة وتحاشي الاستدانة وأيضاً الوقوع في مشاكل مع الشرطة.

وبهذه الطريقة، وعلى الرغم من كل الدم الفاسد الذي في عروقي حصل أني نشأت في أبهى ما يكون كالذهب، سواء أرغبت في ذلك أم لم أرغب فيه.

جعلتني أتعلم عزف البيانو، والتحادث بالإنجليزية والرسم الزيتي وأموراً ما كنت لأتابع البتة ممارستها لوقت طويل، وجعلتني عاجزة كلياً عن القيام بأمور كنت لربما سأجيدها بشكل أفضل، كالاختلاس من المتاجر والتدخين واحتساء الخمر ومصاحبة الفتيان وتنشق الغراء وركوب الدراجات البخارية... طقوس العبور الصغيرة تلك التي تجعل الشباب مثيراً إلى أقصى الحدود.

وما عاد بوسعي الكذب أو الخداع، وإذا حدث وخالفت التعليمات فلربما يعفو عني والدي المتساهل، أما أمي فلن يكون منها سوى أن تحتجزني في المنزل وتجلدني. لقد كانت قاسية إلى هذا الحد.

وفوق هذا كله، نهض والدي المتساهل وغادرنا، وأنا لم أزل بعد في المدرسة المتوسطة.

بينما كان والدي موظفاً من الدرجة الثالثة في إحدى الشركات، برعت والدتي أكثر فأكثر في بيع بوليصات التأمين، وكلما ازداد غناها كان والدي يمسي أكثر وأكثر إثارة للشفقة. ولما كان محاصراً بين زوجة بمنتهى القسوة وابنة وقحة تشبهها لم يجد لنفسه مكاناً يلجأ إليه في البيت. لذا جعل يتعلق تدريجياً وبشكل جاد بالماما سان التي تدير أحد بارات الضيافة الذي كان يحتسي فيها الشراب عادة. إلا أن هذه الماما سان كانت تحت حماية أحد رجال مافيا ياكوزا وبالتالي واجها مشاكل جمّة. في نهاية الأمر لاذا بالفرار. ولو أنهما توجها إلى أميركا الجنوبية أو ما يشابه لكان ذلك أمراً رائعاً، غير أننا سمعنا إشاعة مفادها أنهما قاما بالاختباء ما وراء بعض المقاطعات، في كوشي. لم تكلّف أمي نفسها عناء البحث عنه.

«من ذا بحاجة لشخص كهذا؟ نِعمَ الخلاص من سقط متاع رديء! فلنعش أنا وأنت معاً، كلانا وحسب.

كانت أمي تعبّر بجرأة وبشكل قاطع عن رأيها فتخالها رجلاً في لبوس امرأة، فيما يخصني كنت لا أزال إلى حد بعيد طفلة، ولم أستوعب حقيقة ما كان يجري.

فيما يتعلق بشخصيتي، كنت أشبه أمي، غير أني شكلاً كنت أشبه

والدي تماماً، لذا كان شغفاً بي حين كنت صغيرة إلا أنه عندما كبرت فرضت طبيعتي المتغطرسة نفسها، وأحسب أنه كان من الصعب عليه تحمّل ذلك إذ أنه كان سبق وفقد احترام زوجته.

وبمرور كل سنة، غدا أكثر إثارة للشفقة. ليست لدي ذكريات كثيرة عن والدي، غير أني أتذكره وقد عاد ذات مساء ثملاً جالساً إلى طاولة المطبخ سارداً بلا انقطاع كيف تدمرّت حياته المهنية لأن رب عمله كان يضايقه وما يشبه ذلك، وكيف أن زوجته وابنته لا تحترمانه، وأن كل ما في العالم برمته غير منصف وغير مرض. وبينما جعل يضحك بطريقة مشوّهة هيه هيه هيه، ارتسمت فوق وجهه ابتسامة واهنة. ولقد أحسستني سقيمة جسدياً.

كان ثمة في عينّي والدي مرارة قاسية وسخرية مكتومة بين شفتيه. من خلال ضحكه كان لربما يحاول أن يظهر أنه قوي إلى درجة الهزء من وضعه الشخصي. أو لعله أدرك أن مشاكله كانت صنع يديه وكان يسخر من وهنه. في الحالين لطالما كرهت ضحكته الشاذة تلك.

بعدما توارى، كانت أمنية والدتي الأخير المنشودة هي إدخالي الجامعة، في ما يخصها كان إخفاقها في دخول الجامعة أفظع لخبطة أصابت حياتها بالذات وقالت لي «انجحي وحسب في دخول جامعة جيّدة وبعدها سأسمح لك أن تفعلي ما تشائين». كانت قد قررت أن مسؤولياتها كأم ستكون منجزة كلياً إن انشأتني بشكل لائق وأتاحت لي تعليماً مشرّفاً.

على أية حال، لم أصبح وللأسف تلك المثقفة التي كانت تأمل

أمي في أن أصيرها. كنت فتاة خفيفة العقل معدمة الأفكار تقريباً. بيد أني امتلكت نوعاً ما شيئاً من المكر. افترض هذا، غير أن إجادة تقنيات النجاح في امتحانات دخول الجامعة لا علاقة لها كلياً بالذكاء الحقيقي.

ليكن معلوماً لديكم ذلك التمييز لم يضايق أمي البتة، فبموازاة رغبة طبيعية في رؤية طفلتها سعيدة، كانت مفعمة برغبة جارفة في أن تثبت أنها قادرة بمفردها على تربية طفل من غير مساعدة أحد. قضت أمي حياتها في منافسة مستمرة مع أناس آخرين. إذا أخفقت هي في إدخالي إلى جامعة محترمة فلن تعوّض النقاط التي خسرتها نتيجة تواري زوجها. ولقد جعلتني أعي بشكل موجع مشاعرها حيال المسألة «إذا أخفقتِ في دخول الجامعة فلن تحصلي مني على فلس واحد».

فبينما حوّم ذلك التهديد فوق رأسي استطعت أن أجعلها ترسلني إلى مدرسة ليلية من أجل حشو دماغي سريعاً بالمعلومات لأجل اجتياز الامتحانات. ولقد أحببت ذلك الأمر. إن تلقّي الدروس حتى وقت متأخر في صف صاخب مزدحم كان بالحد الأدنى أفضل من الدرس في المنزل تحت وطأة تحديق أمي الاستحواذي.

بالفعل، استطعت أن أنجح في الدخول إلى جامعة ساكورا للإناث، كانت أقرب المدارس الخاصة بالإناث إلى منزلي، وكل أصدقاء أمي وصفوها بالمدرسة الجيّدة. كله مناسب بالنسبة إليّ طالما أنه يوافق فكرتها حول ماهية الجامعة الجيدة. حين تناهى إليّ أني نجحت في الامتحان أطلقت تنهيدة ارتياح، الآن على الأقل سوف تدعني بسلام.

دخلت الجامعة وليس في خلدي أية أحلام معينة ولا أية توقّعات.

ولم يثر اهتمامي البتة كل ذلك الكلام الفارغ حول دفء الحياة داخل الحرم الجامعي والود ما بين الزملاء التلامذة المثابرين. لحظتما ولجت البوابات متحررة أخيراً من الرقابة العائلية انبثقت الدماء الشريرة فيّ تفور وتغلي.

ما إن أنهيت امتحانات الدخول حتى تخلصت من عذريتي واهبة إياها لصديق عابر ما كنت أهواه كثيراً، ثم تخلصت منه دون إبطاء، في الأغلب لكوني ضقت ذرعاً بأسلوب حياته الوضيع الفقير. كان عضواً في فرقة موسيقية خاصة بالطلاب، إحدى حركات الموجة الجديدة، وكان جميل الطلعة بعض الشيء، خلاسياً إلى حد ما، غير أن أصدقائي كانوا يلقبونه بـ «مستر عشرة بعشرين» لأنهم كانوا يقدّرون أن قياس وجهه الطويل النحيل كان عرضاً وطولاً عشرة بعشرين سنتمتراً.

كان معدماً عاجزاً عن التصرف بلياقة أو كبرياء، كان يرغب على الدوام في ممارسة الحب في منزلي إذ لم يكن بوسعه دفع تكاليف الفندق، أو كان يجلب لي كهدية شمّامة ناضجة حتى التهرؤ لكونها بخسة الثمن في المتجر. كنا نختلس المضاجعة قبل عودة أمي من عملها أو حين تكون مسافرة في رحلة عمل. وحين نجوع كنا نأكل ما نجده من بقايا الأطعمة في المنزل. كان ذلك مرضيا على نحو كاف بالنسبة إليه.

«يا إلهي كم أنا جائع!»

«لا شيء هنا، فلنذهب ونأكل في الخارج؟»

«اوه، إن ما في البراد يفي بالغرض».

«كل ما لدينا هو بعض بطارخ سمك القد وبطارخ السلمون المغمّسة بصلصة الصويا كان أعطانا إياها أحدهم وبعض المخللاّت».

«هذا ممتاز! يبدو شهياً هل قلت السلمون بصلصة الصويا؟ أنتم يا جماعة تحيون حياة ترف».

كان يستحيل الرد على ذلك. لم يكن يملك ذرة عزة نفس ذكورية.

فوق كل هذا كان دوماً يصل متأخراً في المواعيد. آخر مرة... في الواقع لم يشفع البتة أنه كان يوماً غزير الأمطار، شديد الرطوبة من أيام موسم المطر، 120 بالمائة على مقياس الإزعاج. أبقاني منتظرة طوال نصف ساعة كاملة أمام تمثال هاشيكو الكلب الوفي عند محطة شيبويا. حين وصل في النهاية مبتسماً ببلاهة مختلقاً عذراً ما مثيراً للشفقة متذرعاً بتأخر تمارين فرقته الموسيقية، فقدت صوابي كلياً.

«يا ابن الزانية الأحمق! تتركني متسمّرة هنا منتظرة إياك مرة بعد مرة، بعد مرة! أنت وكلماتك المعسولة التي ترددها فقط حين ترغب في المضاجعة! أنت لا تحبني أيها الكاذب! لقد انتهى ما بيننا».

«هاي توقفي! آخ! هذا مؤلم».

من خلال دموعي لاحظت أني كنت أضربه وأطعنه بمظلتي الملفوفة.

بعد ذاك كنت أرتّب بشكل أكيد على أن يكون لدي تحت الطلب أكثر من صديق واحد وباشرت مرحلة كرسّت فيها نفسي لثلاث متعات خارقة، السكر والحفلات والتبضّع.

كنت أرغب وحسب في التوجه إلى مكان ما برفقة أحد ما. أي شخص وأي مكان سيان لدي طالما كان مثيراً وعلى الموضة. كنت جاهلة كلياً فيما يتعلق بالكحول لذا كنت أطلب كوكتيلات بادئة من رأس القائمة متابعة نزولاً إلى أن أتهاوى على قدميّ. عقب ليلة من

الفسوق المتفاني كنت أشق طريقي بجهد إلى المنزل بعيد الفجر. وطالما ابتليت بلقاءات محرجة مع أمي في الشارع صباحاً عندما كانت تقوم برمي النفايات.

إبان تلك الحدوثات كانت تنظر إلي كما لو أني دون البشر.

كانت تبادرني بالقول «أنت متعفنّة».

كانت كلمة غريبة، في ذلك الوقت، بدت وكأنها نوع من أعراض السفلس، ولكن مستذكرة أجدني أفهمها تماماً الآن. كنت بالتأكيد في تلك الأيام أعاني فساداً روحياً.

في غياب هدف واضح أمامي مثل امتحانات يتوجب النجاح فيها ماكنت أتحمّل المكوث وحيدة في المنزل. كان يخالجني أن وحشته تتسرب إلى جسمي. ذكرى أبي جالساً على الدوام محدودب الكتفين ما برحت متشبثة بالجدران. على الرغم من أني عاملته ببرود حين كان موجوداً، أما وقد رحل الآن فإن المكان بدا أشد تعاسة من أيما وقت مضى. في هذه الأيام لم تكن أمي ترجع في وقت محدد. ومن غير أن تكون موجودة في أرجائه كان المنزل يغرق في صمت عميق.

ما جاء لاحقاً كان أسوأ. وجدت أمي لها رفيقاً جديداً، وجعل هذا الكهل الخمسيني يجيء ويروح على هواه. هذا الشخص كان متزوجاً وله أولاد، لذا ما كان بوسعهما أن يلتقيا متى شاءا. حين لا يكونا على اتصال، كانت ماما تعتمد عليّ للرفقة، لكن حين كان يحضر كانت تشعرني بوضوح كليّ أنه ينبغي أن أتنحى.

لم أكن محبوبة، كنت عائقاً وحسب، وتلك الفكرة جعلتني أكثر جموحاً. سوى أنه في البيت توجب علي أن ألعب دور شابة فتيّة مرحة

من أجل أن تظل أمي لطيفة. إن ضايقتها قد تمنع عني المال وسيكون عندها هلاكي. لم يكن في نيتي البتة أن أكدح في وظائف جزئية والعمل لدفع نفقات الجامعة، لم أكن من ذلك النوع. لذا انتهى بي الأمر إلى أني وضعت حداً فاصلاً ما بين المنزل وبقية حياتي. تعلمت أن أتصرف بطريقة شديدة النضوج بالنسبة لفتاة صغيرة في عمري.

من الأفضل أن تلهو حين تتاح لك الفرصة من أن تمتنع عن ذلك. وطالما تظاهرت بالسلوك الحسن في المنزل، كان رفيق ماما يناولني خلسة ما بين الفينة والأخرى بعض مصروف الجيب، وأحياناً كان يصطحبنا إلى مطعم. مذ كنت مراهقة جاهدت لأن أكون بقدر الإمكان حذرة، كانت تلك طريقتي للدفاع عن النفس.

ما عدت أشعر بالراحة في المنزل. كان منزلنا بوتقة من الاستياء والاشمئزاز والغربة والوحشة. كان رفيق ماما يعاني حساسية تجاه القطط، لذا فقد تخلّصت هي حتى من هرّتنا البيتية المحبوبة التي كنا اقتنيناها طوال سنوات.

كانت حياتي أمست مسلسلاً لا ينتهي من التعاسات، وكنت خجلة من عجزي عن القيام بأي شيء حيال ذلك.

كانت الأوقات الوحيدة التي تتحسن فيها حالي بعض الشيء حين أقوم بالدردشة مع أحد الفتيان محتسية كأساً من الشراب، أو ونحن نمارس الحب لأنه عندها كنت أشعر أني أساوي شيئاً. عندئذ فقط أشعر بالغبطة لأن أحداً ما يرغب في شيء ما امتلكته في خلال الأشهر الستة الأولى عقب تخلّصي من صديقي الأول حظيت بلا ريب بأكثر من عشرين فتى، إن أضفنا فرسان الليلة الواحدة اليتيمة.

كنت أنهك نفسي كليّاً جسداً وروحاً باحثة عن أحد ما مميّز يكون قادراً على شفائي من وحدتي. شخص ما يعّول عليه وحميم، أحد ما سيعشقني بشغف ولا أحد غيري، شخص سوف لن يهملني البتة أو يتخلى عني.

لكن لم يكن بوسعي أن أتوقع ذلك الصنف من المساعدة من الشبان الذين كنت أعاشرهم. كانوا في مثل حماقتي وعاجزين عن حب أحد باستثناء ذواتهم. كانوا يريدون وحسب أمراً واحداً وينشدونه طوال الوقت. وكلما كنت أمنحهم أكثر وأكثر ما يرومونه، تكدس أكثر فأكثر الفراغ في داخلي.

*

كان هذا كله يجري في بداية الثمانينات، في ذلك الوقت كانت اليابان تستعد لدخول «حقبة الفورة الاقتصادية» آن أدرك تأجج الاقتصاد درجة الغليان وأصبح خارج السيطرة كلياً. كان الناس تواقين بشدة إلى المال والمقتنيات المادية، وكانت المدينة مليئة بالبضائع الجميلة والأمكنة الأنيقة التي لم نر مثيلاً لها من قبل. فوق كل هذا كانت أسعار كل شيء مرتفعة. الأولاد أغبياء وعبدة للرغبة. كنا نجهل ما نريده فعلياً، لذا أردنا كل شيء.

أنا بالذات كنت فتيّة. كنت أريد الاستحواذ على كل ما أراه وكل ما سمعت عنه، وإن كان ثمة من مكان ما يمكن أن نلهو فيه كنت أريد التوجه إليه. كنت أضجر من الأشياء لحظتما أحظى بها، وما كنت أبداً البتة مكتفية. كانت جملي المفضلة «هذا مقرف» و «أليس هناك شيء

ما أفضل؟» ما رغبت فيه بشكل خاص وبتوق كان المال.

حياة المراهق إلى حد ما محدودة، الرقص في الملاهي الحديثة، والتوجه إلى حفلات مجنونة في أماكن على الموضة، وتبضع أزياء مصممين معروفين إبان التنزيلات، والمواعدة في مقاهي أو بارات صغيرة لطيفة. سرعان ما يعتريك الملل من كل تلك الأمور، وعندها ما سترغب في القيام به هو الحصول على ذلك النوع من اللهو الذي ليس بمقدورك تحمل كلفته، أو الذهاب إلى أمكنة ليس بوسع الأولاد دخولها وحدهم.

الصورة المطبوعة في خلدي عن تلك الأمكنة كان مصدرها الفنادق التي كانت أمي تصطحبني إليها في مناسبات عيد ميلادي، المطاعم الأنيقة حيث لم يكن الزبائن جميعاً طلاباً ومراهقين، وتلك البوتيكات الهادئة غير المزدحمة التي تبيع أزياء كبار المصممين وبأسعار ثابتة لا حسومات فيها. بيد أن الذهاب إلى أمكنة كتلك دون ماما كان يتطلب نقوداً.

الجميع يريد المال في مجتمع رأسمالي، وهذه الرغبة لا تعني بالضرورة أنك مريض روحياً. تعتبر مريضاً حين تكون رغبتك في المال بلا حدود وحين لا حائل يمكن أن يمنعك من الحصول عليه.

معظم رفيقاتي كن يعملن في وظائف جزئية كنادلات في مقاهي أو مدّرسات خصوصيات، حين سمعت بشأن الأجور التي كن يتقاضينها والمشاحنات التي كن يكابدنها للحصول عليها، قلت في نفسي «لا مجال» كنت أمتلك حس كبرياء متضخماً، وأبيت التقوّس أو الانحناء لأي كان. علاوة على هذا كانت شهوتي للمال عندها أمست خارج

السيطرة كلياً ويستحيل أن يرويها ما كانت صديقاتي يكسبنه في وظائفهن الجزئية. وكان ذلك أشبه بقذف كوب من الماء إلى حريق غابة. حفّزني توقي إلى النقود من أجل ابتياع الملابس والانغماس في حفلات الأنس والرقص والسمر فدفعت إحدى الصديقات إلى إدخالي إلى ناد ليليّ للضيافة. تسترت بشعر طويل مستعار، وشرعت أعمل هناك من غير أن أنبس بحرف لأمي. في البداية كنت راضية بالعشرة آلاف ين التي كانوا يدفعونها لي مقابل مناوبة مدتها أربع ساعات، بيد أن ذلك بدأ يبدو مثيراً للشفقة إلى حد بعيد ما إن أخذ زبائني المداومون الداعرون والحديثو النعمة يتعوّدون دس أوراق نقدية من فئة عشرة آلاف ين في جيبي مع رقم الهاتف، ويهمسون لي الدعوة للاتصال بهم وموافاتهم إلى العشاء ذات ليلة.

في أمكنة كتلك يدفع الزبائن بدل جلساتهم أكثر مما يجب بكثير ويحسبون أن ذلك يخوّلهم أن يختبروا مع المضيفة نظرية مشوهة «لمفهوم الحب الحر» ولهذا السبب كانوا يحاولون معك بهذا الأسلوب. كانوا يميلون إلى وهب الفتيات رزمة من المال الكثير، المال الذي يمكن الحصول عليه بطريقة أكثر سهولة بكثير من الجلوس طوال ساعات مجهدات أنفسهن للإبقاء على الابتسامة اللطيفة الملائمة.

وانطلاقاً من اعتبار أنه كان من طبيعتي الانجذاب إلى المال السهل، فلو واصلتُ ملازمة ذاك النادي الليلي، لربما كنت سأمسي مضيفة اسميّاً لكن عاهرة مبتذلة عمليّاً. وبالفعل مقابل كل مضيفة مستقيمة كان هناك عدة عاهرات يستخدمن لقب تلك الوظيفة ستارة رقيقة مخادعة من الاحترام. إن عفناً كذلك العفن لهو سريع الانتشار، وكنت

سرعان ما سأجدني متورطة في المتاعب.

ما إن تنتهك محرّمة واحدة حتى تتهاوى المحرّمات الأخرى مسرعة. وما إن تبدأ بالتدحرج في الهاوية حتى تتابع التدحرج إلى أن تدرك قاعها. بالنسبة لأحد من غير هدف في الحياة وما عرف البتة الحب فإن عيش حياة محترمة يبدو مسألة تافهة لا تحتمل. ولكن إن حظيت بالمال والوقت اللذين يجيزان لك الحرية، فإن أحساسيك سوف تضل بشكل لا محدود. سقطت في حفرة من الوحشة أعمق مما قاسيت في أي وقت سابق.

كنت أتسلل ثلاث ليال في الأسبوع من تحت أنظار أمي المحدّقة، أمارس بعض الضيافة في نادي غينزا الليلي، أتصرف كعاهرة مع أي رجل كبير مهتاج يمكن أن يدفع، ثم أبدد مكاسبي عبر الحصول على كل صنوف اللهو المكلف والذي لم يكن في الواقع مسلّياً على الإطلاق. خلال عطلة الربيع الجامعية، كان اضطرابي أكثر مما عرفته أبداً. وحصل آنذاك أن بادرني هاجيمي وهو أحد الفتيان العرضيين رفاق الوقت الضائع باقتراح.

«هاي يا سايا، لم لا نحاول الحصول على هذه الوظيفة الجزئية؟ ليس لديك ما تفعلينه خلال العطلة بأية حال، أليس كذلك؟ لم لا نعمل لمدة شهر واحد وننفق المال في رحلة إلى مكان ما؟»

عجزت عن إيجاد أي سبب معيّن للرفض.

لقد كانت في الواقع فكرة ممتازة، إمضاء النهار في وظيفة ما جزئية سهلة، التوجه لبعض الوقت إلى نادي غينزا والعمل كمضيفة في العشية،

ثم المغادرة سريعاً في رحلة إلى مكان ما. لن يكون هناك متسع من الوقت لإنعام النظر، وسيكون ذلك مريحاً للغاية!.

ما كنت أجهله أن تلك الشركة التي كانت تعلن حاجتها إلى موظفين مؤقتين وبدوام جزئي لم تكن غير «كابوتوشوجورنال» وهي شركة استشارية للاستثمار سرعان ما ستصيب شهرة سيئة في فضيحة احتيال كبيرة.

قال هاجيمي «يبدو أنها شركة خطيرة» وتابع «لكن لا حاجة لأن نقلق إذ إننا لن نكون سوى موظّفين مؤقتين. يقولون هنا إن الرجال يمكن أن يكسبوا أكثر من مئتي ألف ين شهرياً في المبيعات، والنساء يكسبن سبعمائة ين بالساعة مجيبات على الاتصالات الهاتفية. سوف نعمل هناك مدة شهر وحسب، نقبض أجرنا ونترك الوظيفة».

«اوه، حسناً، موافقة».

في يومنا الأول هناك تساقط الثلج، في غير موسمه، كثيفاً بشكل غير متوقع. كان يتراكم بسرعة «آه، انظر» صرخت بحدة قائلة لهاجيمي عند خروجنا من محطة كيوباشي مندفعين بمرح في الثلج «كل ما هنالك في الأرجاء أبيض».

وعندما خرجنا من المحطة وتوجه بي هاجيمي كنا نسحق بجلبة الثلج الهش نحو مكاتب «كابوتوشو جورنال». طويلاً ونحيلاً كقصبة ومكسواً من رأسه حتى أخمص قدميه بملابس فاخرة من ماركات مثل واي و «كوم لي غارسون»، كان هاجيمي أشبه إلى حد بعيد بتعليقة راجلة لبوتيك للثياب. في تلك الأيام كان أحد أكثر رفاقي الفتيان أناقة. بيد أني حين أتذكره الآن أرى أنه كان يشبه إلى حد ما والي في فيلم

«أين هو والي؟» كان من الصعب جداً استكشاف ماهية ذلك الفتى تحت الملابس الأنيقة، بالتأكيد لم يكن هناك أدنى بصيص من الجاذبية الجنسية فيما يختص بجسده الناحل. في المقابل كان والده رئيس شركة صغيرة وسمح لهاجيمي بالاستحواذ على بطاقة ائتمان مصرفية ذهبية، كانت تتيح له أن يغرف منها مئات آلاف الينّات شهرياً، وما بين الفينة والأخرى كان يبتاع لي بعض الأشياء. ليس بوسعي القول إنه كان الشخص الوحيد الذي كنت أواعده، ولكن بما أني لم أكن معجبة بشخص معيّن، اعتبرت أنه من المستحسن أن أرافق فتى غنيّاً كون ذلك يجعل الحياة أكثر بهجة إلى حد بعيد.

واحسرتاه، آن أفلست شركة والده، اضمحلت على الفور ميزة هاجيمي الأكثر إغراء، انتزعت منه بطاقته المصرفية الذهبية ولهذا السبب كان يبحث عن وظيفة جزئية. وبما أنه لم يكن يريدني أن أواعد فتى آخر عندما يكون هو في العمل، خطرت له فكرة اصطحابي معه لكي يتسنى له مراقبتي عن كثب.

سألته «ما هي هذه الـ«كابوتوشو جورنال» على أيّة حال؟» وأردفت «هل تقوم بنشر مجلات خاصة بالأعمال أو ما يشابه؟»

على الرغم من أننا أحسسنا بأن هناك شيئاً مريباً بشأن الشركة، إلا أني وهاجيمي كنا جاهلين إلى أقصى الحدود. لم نكن ندري أن شارع كابوتوشو حيث كانت تقوم الشركة كان شهيراً عالمياً بكونه في طوكيو مرادف وول ستريت. كنا نجهل أيضاً أولئك الأشخاص البالغين الذين يحاولون إدراك الثراء عبر شراء حصص وبيعها في شركات وأشياء من هذا القبيل. كنا طفلين رضيعين. الأمور الوحيدة التي كانت تهمنا

كانت الموسيقيين الممتازين الذين كنا نشاهدهم على محطة «ام تي في»، أو الكافي بار الجديد في شارع نيشي ازابو، أو أحد المنتجات التي كنا مولعين بها، أشياء من هذا القبيل.

«لربما كان ينبغي على أيّة حال، أن نبدّل القطار وأن ننزل في كاياباشو. حاذري الانزلاق يا سايا».

كان الثلج يتراكم إلى جهتي الطريق المكسّوة بالثلج وبدأنا نلاحظ كميّات من السيارات الفاخرة.

«ما هذه؟ فيراري؟ لمبورغيني كادنتاش؟ مرسيدس بنز؟ إم.ار.تو؟ يبدو هذا المكان أشبه بمعرض للسيارات الخارقة».

اتسعت عينا هاجيمي مستديرتين كصحني حساء.

«هذا مذهل! لا بد أن هذه الشركة تحقق أرباحاً وافرة. قال الإعلان إنه يدفع للرجال حسب قدراتهم، لذا لربما إن قمت فعليّاً بمجهود.)».

مثل حمار في مواجهة جزرة مدلاّة أمامه أصبح هاجيمي فجأة متوقداً حماسة للعمل، مهما كان ذلك العمل.

«كابوتوشو جورنال»، ها هوذا هناك!»

أبصرنا الاسم مزخرفاً بألوان زاهية فوق لافتة بلاستيكية حقيرة في أعلى بناء صغير للمكاتب المؤجرة. دخلنا وحملنا المصعد إلى الطبقة المشار إليها، لنلج غرفة غاصة بالمكاتب المعدنية الكئيبة ووراء كل واحد منها كان ينحني أشخاص ضئيلون كل فوق هاتفه. كانت الغرفة مثقلة بدخان السجائر. فوق كل طاولة وضِع مجلد صغير ثخين يحمل عنوان «تقارير فصلية متحدة».

من على كرسي لصيق بالنافذة في مؤخرة الحجرة انبثق رجل قصير

بدين مبتسماً. بدا أنه مدير شؤون المستخدمين.

«مرحباً! شكراً لحضوركما، حسناً في مقدور الفتاة الجلوس هنا والرد على الهاتف. إن اتصل أحدهم قولي بلطافة «صباح الخير، هنا كابوتوشوجورنال، كيف يسعني مساعدتك؟» إن سأل المتصل عن أحد ما بالاسم اطلبي منه الانتظار وحوّلي المكالمة. تصميم نسق وترتيب الجلوس وامتدادات الهاتف موجودة كلها على هذه الورقة. بعض الموظفين يملك اسمين. نقوم بتبديل نسق الجلوس كل أسبوع وفق نتائج المبيعات، إنما ستصلك اللائحة المحدثّة. والآن هل ترين هذه الأسماء على هذه المذكرة الأخرى؟ إذا تلقيت أي اتصال يطلب التحدث مع أحد هذه الأسماء، تردين «آسفة ليس موجوداً في مكتبه في هذه اللحظة». وإن سألوك متى سوف يعود، تردين «أعتذر، أنا هنا مؤقتاً ولست أعرف»، هل فهمت؟ وتابع بطريقة آليّة وبسرعة وحيوية مثرثراً على هذا المنوال لفترة من الوقت.

في الواقع كان كل هذا فعلياً غريباً. تبادلنا أنا وهاجيمي نظرات عجلى مترعة بالمعاني.

«أوه، ماذا بشأن المقابلة؟»

«آه، ذلك! لا ضرورة. أنا متأكد من أنكما ستبليان بلاء حسناً. أقصد، أنتما جامعيان، صحيح؟ نحن هنا لا نأبه كثيراً لمسألة السن أو الكفاءة، إنما يسرنا أن يعمل لدينا شبان أذكياء. يأتي إلينا في الواقع عدد غير قليل من الطلاب للعمل بشكل جزئي. إن طلاب هذه الأيام يخططون كما تعرفان لإقامة حفلات ويجهدون كادحين لجمع المال لتمويلها.

آه بلى هممم، سوف أصطحب الفتى إلى البناء الآخر» واستدار نحو هاجيمي. «سوف تستطيع العودة إلى هنا حالما تكون قد تعلمت قواعد العمل وبدأت القيام ببعض المبيعات».

تبادلنا أنا وهاجيمي مجدداً نظرة عجلى. كانت الحجرة قد فرغت عملياً ولم يبق فيها سوى شخص بدا على نحو مبهم منفعل السمات، في قرابة الأربعين من عمره، إضافة إلى شاب ذي مظهر شرير خلف نظارات مستديرة مصفرّة العدسات وكأنه أكيرا وقد خرج للتو من «فينغر فايف».

بدا الفتى الشرير فتيّاً جداً. حملق في هاجيمي وفيّ وهسهس باستهجان «غلمان» بصوت خفيض نصف مخنوق، نظرنا أنا وهاجيمي بعضنا إلى بعض بعصبيّة. لم يسبق أن التقينا أناساً من هذا النوع. أحسسنا بوطأة ما كنا نواجهه ولكن في الوقت عينه يتوجب عليّ أن أعترف بأن الأمر كان مثيراً.

همس لي هاجيمي «حسناً، سوف اتصل بك لاحقاً» ليقوم بعدها باللحاق بمدير شؤون الموظفين القصير السمين المبتهج على نحو سخيف. ابتداء من تلك اللحظة توجب عليّ القعود خلف مكتب كئيب ممل داخل حجرة منتنة عابقة برائحة السجائر.

«صباح الخير. هنا كابوتوشوجورنال. صباح الخير، هنا كابوتوشوجورنال. أنتظر لحظة رجاء. إنه ليس موجوداً على مكتبه الآن».

جعلت أتمرن على ترديد جملي في رأسي بيد أن الهاتف لم يرّن البتة.

«ما هذه الشركة العجيبة؟ ليتني جلبت معي كتاباً».

قطعت أفكاري التافهة إذ أحسست بنظرة تتفرسني من وراء جهتي اليمنى. كان الفتى الشرير يحدّثني بأسلوبه المتشدق الوقح الأزعر.

«هممم، لا بأس بك من على كثب. ما اسمك إذا؟»

«سايا تاكاغيشي».

«حقاً، وذلك الفتى الذي كان هنا للتو... إنه رفيقك، أليس كذلك؟»

«أوه، إلى حد ما أظن».

«أوه، إلى حد ما اظن؟ يا لهذا الأسى! هيه هيه هيه، حسناً، لا بأس. اسمعي اعتذر بشأن ما قلته سابقاً. أرى بوضوح أنك لا تشبهين جماعة «البانكس» الغلمان على الإطلاق. كنت أخوض عراكات كثيرة مع الغلمان «البانكس» منذ زمن بعيد هناك في شارع هاراجوكو، تعرفينه أليس كذلك؟ وحتى الآن حين أرى فتياناً في ملابس سوداء أخال على الدوام أنهم بالتأكيد من غلمان «البانكس». يبدو أن هذا الشعور أقوى مني».

تابع الفتى الشرير مزوّداً إياي بمعلومات حول ما تقوم به الشركة وما كان يجري في الغرفة.

كانت الوظيفة تقتضي الانطلاق من قائمة بأرقام هواتف زبائن وإقناع هؤلاء الزبائن بابتياع أسهم في شركات كان اختارها أحد ما عالي الشأن في الشركة. من جانب الزبون كانت المسألة تقتضي إرسال النقود إلى الشركة التي سوف نظرياً تستخدمها لشراء أسهم واعدة لمصلحة الزبون بالنيابة عنه. إلا أنه في الحقيقة، كانت الشركة تستخدم

المال كرأسمال عملي لابتياع مجموعات أضخم من أسهم أخرى، تلك التي كانت ترغب فيها فعلياً، وما كانت البتة تقوم فعلياً بشراء الأسهم التي كانت تنصح بها.

«لب الموضوع هو أننا نستخدم نقودهم لشراء أسهم أخرى أوفر مكسباً، توفر لنا مقداراً كبيراً من المال ونقوم بعدها بإعطاء الزبائن المبلغ الأصلي الذي وظّفوه زاعمين بأسف شديد أن أسعار الأسهم لم ترتفع هذه المرة أو شيئاً ما من هذا القبيل».

لم أفقه تماماً ما استرسل في شرحه، غير أني استنتجت أن الأمر الأساسي كان تملّق الزبون ليصدق أنه سوف يحقق مكسباً لا بأس به لكي يقوم بإرسال ماله إلى الشركة. بدا جلياً أن الفتى الشرير كان بارعاً بشكل استثنائي في هذا العمل.

«كلما تحسن سجل مبيعاتك قربوا مكتبك أكثر إلى النافذة إلى الجهة المشمسة من الحجرة. الفتى الأقرب إلى الباب فوق الكرسي الأكثر عتمة والهواء الأشد نتانة، يكون أدنى المجموعة. جلي بالطبع أني صاحب المرتبة العليا في مجموعة هذه الغرفة ولهذا السبب أجلس هنا ولديّ الرؤية الأفضل للفتاة الصغيرة الفاتنة الجالسة عند الهاتف. وأؤكد لك أن هذا الكرسي سيبقى لي إلى الأبد لأن البقية ليس لديهم في رؤوسهم سوى الهراء. العالم مليء بالحمقى. لكن الأشخاص الموجودين في هذا المكان هم فعلياً الأسوأ. لقد رأيت للتو ذاك الكهل الخمسيني القابع في وسط الحجرة أليس كذلك؟ فهو لا يتوقف عن التحدث عن أيام دراسته في جامعة واسيدا لأن معظمنا لم يدخل البتة الجامعة. على أيّة حال،

سجل مبيعاته في حالة يرثى لها. وفي الواقع إن وضعه أشد سوءاً. إذ إن رأسه محشو بحمولة من النظريات المتوهمة حول سبل التنبؤ بأسعار الأسهم المالية انطلاقاً من المعطيات والبيانات، ويستخدمها لشراء أسهم على حسابه الخاص غير أنه يخسر بشكل متواصل هذا المخفق الأحمق. قدم إلى هنا بهدف دفع ديونه، وكل ما أنجزه هو الغرق على نحو أعمق فأعمق في الديون. سوف لن ينجو البتة أبداً!»

ما إن يشرع الفتى الشرير بالكلام حتى يستحيل إيقافه، وهذا تماماً هو المتوقع من أستاذ بارع في لغة المبيعات. بدا جلياً أن الرجل الكبير في السن، السريع الغضب كان يمتلك مؤسسة إنتاجية للنشر خاصة، شركة أصيبت بالإفلاس تاركة إياه غارقاً في الديون حتى عنقه. ولقد قدم إلى هنا آملاً بكسب ما يكفي من المال للتحرر من ديونه.

«هذا إذا يفسر لماذا بدا سيئ المزاج. بالمناسبة لماذا ليس هناك أحد هنا الآن؟»

«الحق إن معلوماتك ضحلة فعلياً، أليس كذلك يا سايا؟ إن البورصة تقفل عند الساعة الثالثة. سوف لن يرجعوا حتى المساء، لأنهم كانوا قابعين هنا منذ السابعة صباحاً. وبعدها سوف يمكثون حتى العاشرة ليلاً. هذا لا يزعجني، أنا فتيّ، غير أن البقية رجال كبار في السن متعبون. إنهم بحاجة لاستراحة أليس كذلك؟ سوف يعودون في مستهل العشية، جاهزين للاتصال هاتفياً بموظفي المكاتب في منازلهم».

المذهل أن الفتى الشرير كان عمره ثمانية عشر عاماً وحسب. كان قد ترك المدرسة الثانوية العليا بعد ثلاثة أشهر من التحاقه بها، وكذب بشأن سنّه كي توظفه الشركة، وقد ابتاع مؤخراً سيارة فراري حمراء

اللون مدفونة في الثلج في الأسفل.

للحظة وجيزة تساءلت في نفسي، أي صنف من العوالم كان هذا العالم، كم يبلغ ثمن الفيراري، وإلى ما هنالك. ولكنه راودني بعدها «وماذا إذاً، لا علاقة لي بكل هذا. تبدو الأمور نوعاً ما مسلية هنا، وفي غضون شهر واحد أقبض معاشي وأترك العمل».

منذ ذلك اليوم تباعاً أضحت حياتي كثيرة الانشغال. لحظة أنتهي من مهمتي على الهاتف أكون جاهزة لارتداء وجه عملي الليلي. لم يكن لدي متسع من الوقت للتفكير عميقاً في الأمور التي تحدث من حولي.

*

كنت أمكث في النادي الليلي من الثامنة حتى منتصف الليل، بعدها أتوجه إلى المحطة مع رفيقاتي من العمل للحّاق بالقطار الأخير بعيد نصف ساعة من منتصف الليل، نزدرد كعك الأرز الساخن الذي نبتاعه من أكشاك جانب الطريق، ونتبادل تعليقات فظّة حول زبائن العشية ونحن نسرع نحو رصيف المترو. بمزيج من البهجة والارتباك اتضح لي أن تلك المضيفات كن إلى حد بعيد أشد شكيمة وأكثر إثارة من الفتيات المتكلفات اللواتي كنت أعرفهن في المدرسة.

أما البار، «كوكتو»، الذي كنت أعمل فيه، فلربما كان أحد أفضل البارات سمعة في المنطقة. الـ «ماما سان» التي أدارته كان يفترض أنها فنانة بمعنى ما. لست أدري البتة إن كان هناك أي حقيقة في هذه القصة، وبالتأكيد كانت الصالة في الداخل مزخرفة بأشنع ديكور «ركوكو» يمكن أن تراه في حياتك. كان يوجد هناك مضيفتان محترفتان لا غير،

البقية كن تلميذات جامعيات على غراري يعملن بضع ليال في الأسبوع للاستحصال على مصروف الجيب.

كان لي صديقة تدعى ميناكو قد عرّفت بي وأدخلتني إلى بار كوكتو. كن التقينا في المدرسة الخصوصية حين كنا نكدح من أجل اجتياز امتحانات الدخول. كانت ميناكو ابنة مدير شركة كبيرة لتصنيع الأدوية. كان قد قام بمحاولة فاترة لضبط أسلوب حياتها من خلال التقتير عليها بعلاوتها، لذا ما إن دخلت الجامعة حتى حطت رحالها في الوظيفة الليلية دون أن تخبر والديها.

«من السهولة بمكان ابتداع أعذار لأهلك حين تعملين يومين أو ثلاثة وحسب في الأسبوع. بوسعك وحسب التذرع لوالدتك بأن الحياة في حرم الجامعة تبدلت عما كانت في أيامها، وأن الطلاب باتوا يطيلون المكوث حتى وقت متأخر أكثر بكثير مما كانوا يفعلون سابقاً. إن الأهل يعرفون ما عانينا فيما يتعلق بامتحانات الدخول، لذا عموماً سيسمحون لك بالقيام بما ترغبين فيه، طالما لا يسبب ذلك لهم المتاعب».

بطبيعة الحال إن المكوث في مكان يعّج برجال كهول مملّين ليس تماماً مسلياً، لذا فإن الفتيات اللواتي ينخرطن في وظائف من هذا النوع غالباً ما يحاولن إيجاد صديقة تشاطرهن العمل لكي يحظين بمن يمكن أن يتبادلن وإياها الحديث. إن هذا يشكل فعلياً جزءاً من المشهد.

كانت ميناكو تتطلع لأن تحظى بزبون ثري كي توقعه بحبائلها. إن طبيباً ما، سيكون صيداً مثالياً، لكني أعتقد أن الضحايا المعنيين لاحظوا الومض

المفترس في عينيها الصقريتين. وقد لاذوا جميعهم حتى الساعة بالفرار.

أخال أن المرء ينوء طوال حياته تحت ثقل خيبات أهله. كان والد ميناكو قد رغب في أن يصبح طبيباً، بيد أنه لم يكن أهلاً لذلك، لذا توجب عليه أن يرضى بوظيفة في مجال الصيدلة. ميناكو في المقابل كانت فتاة كسولة، أنموذجاً مثالياً لصديقة لي، وردّة فعلها حيال أي تحد كانت: «يا له من عائق، لست قادرة فعلياً على تكبّد كل هذا العناء». لم تكن البتة راغبة في الدراسة بخبل لتصبح طبيبة مهمّة. كان هدفها الأساسي ليس أن تصبح طبيبة بل أن تتزوج طبيباً.

غالباً ما كانت تشكو من أن الحياة متعبة للغاية وشاقة وأنها ستقضي نتيجة ذلك قبل إدراكها سن الثلاثين. كان من الصعب تصوّر ذلك إذ أنها كانت مثال الصحة الخارقة. على أيّة حال، كان كلانا يعشق الخروج إلى المدينة بالنقود التي نكسبها في بار كوكتو وتبديدها بأسرع ما بالوسع على الملابس الأنيقة والحفلات، كانت ميناكو إحدى أفضل صديقاتي الفاسدات.

*

كان أسلوب نادي الضيافة يقتضي الشعر الطويل، غير أن شعري كان قصيراً حسب موضة الآرت ديكو ومقصوصاً قصيراً جداً من الخلف. لذا استعرت الشعر المستعار الذي كانت استعملته ميناكو (كانت أطلقت شعرها ووصل الآن إلى كتفيها) وتعلمت من الماما سان الفن النبيل الخاص بوضع الماكياج سميكاً ما يكفي للظهور تحت أضواء النادي الخافتة. وأعارتني الماما سان فضلاً عن ذلك بعض الملابس والفساتين

المبهرجة التي كانت ارتدتها في صباها، وهكذا صرت جاهزة للعب دوري في الكوكتو.

حين كان يغلق النادي أبوابه في نهاية الليلة كنت أبدّل ملابسي بسرعة الضوء واندفع بسرعة للحاق بالقطار. لم يكن لدي حتى ما يكفي من الوقت لخلع شعري المستعار.

يكون آخر قطارات المترو مليئاً ومحشواً بكهول ثملين، وفي حال يرثى لها كلياً، كانوا ينامون وقوفاً، وأحياناً كانوا حتى يبولون على أنفسهم، هناك تماماً وسط القطار. ما الذي يجعلهم بحق السماء يفعلون هذا؟ لم لا يكتفون وحسب بشرب كأس بهدوء في البيت؟ إن تحمّل مشقة اللحاق بالقطار الأخير كان مبرراً لمن هو في مثل حالي، يقوم بذلك من أجل المال لكن هؤلاء كانوا دفعوا في الواقع مقابل بؤسهم. كان ذلك لغزا مستداماً بالنسبة إلي.

ما إن أركب القطار الأخير بشحنته المنتنة من البؤساء السكارى حتى تغدو الأمور أشد صعوبة. في خلال الدقائق القليلة التي كانت تستغرقني للسير من المحطة إلى المنزل، كان يتوجب عليّ أن أخلع الشعر المستعار تحت جنح الظلام ثم أخفيه في حقيبتي وأزيل علامات قلم الماكياج النافلة عن عيني بقطيلة قطنية مغمّسة بزيت للتنظيف.

وإذا كانت والدتي مازالت صاحية حين أصل إلى البيت، فيكون لقاؤنا غير المتوقع أبشع حتى من حدوثه لدى وصولي المنزل فجراً. كان سبب هذا أن الماما سان التي فرّت بمعية والدي كانت مضيفة نموذجية بشعر مصبوغ محمّر اللون وظلّة ماكياج مفرطة السماكة تحت عينيها. حين رفعت عني حظر الخروج وحضور الحفلات، اشترطت عليّ

شرطين، «لا تعملي في بار ولا تصبغي شعرك، موافقة؟»

من أجل أن تنشئني على نحو لائق، كانت عملت طوال سنوات مثل جارية متجاهلة بالنتيجة ضياع مظهرها وابيضاض شعرها. كانت في آن واحد تحتقر وتغار من النسوة اللواتي كن يصبغن شعورهن ويجملن أنفسهن ويتاجرن بمجرد واقع أنهن نساء.

بعد انقضاء أسبوع على وظيفتي الجديدة في شركة كابوتوشو جورنال قمت أنا وهاجيمي بتبادل وجهتي النظر. كان هاجيمي يتقد حماسة ومنشغلاً جداً. كانت عيناه تشعان بالإثارة، أصبح رجلاً مختلفاً كلياً.

«إنه عالم مذهل، فعلياً! صباحاً لدينا هذه الشعيرة حيث ننتصب جميعاً ساكنين مثل مجموعة من رجال المافيا، وفعلياً يلقي علينا رجل ملتح عظيم البدانة اوزاكيّ اللكنة خطاباً لينفح فينا النشاط والحيوية. إنه رئيس مجلس الإدارة أو شيء من هذا القبيل. يقوم بتصرفات جنونية مثل كسر بيضة مسلوقة على رأسه مباشرة أمام الجميع، مشهد وكأنما تشاهده تماماً في الرسوم الهزلية! ترافقه فتاتان فاتنتان تقفان إلى جانبيه. تشبهان عارضات الأزياء ويفترض أنهما سكرتيرتان أو ما يشابه ولكنه بالتأكيد يضاجعهما. ترافقانه طوال النهار، وكل ما يجعلهما تقومان به هو أن تستنسخا له بضع أوراق بين الحين والآخر.

«وما الذي تقوم به أنت يا هاجيمي؟»

«مبيعات بوساطة الهاتف. إن تقومي ببيع الكثير تحصلي على

علاوات طائلة. يبدو أني بارع في هذا لذا أعتقد أني ناجح في هذا. سوف يكون بإمكاني أن ابتاع لك مجدداً ملابس. مثل ثوب «بيغي» الصيفي ذاك، أتذكرين؟ ذاك الذي على طراز زي البحارة،كان قد أعجبك أليس كذلك؟

«أهو أحمق هذا الفتى؟ أليس ثمة أمور أخرى أحرى به القيام بها؟ هذا ما راودني غير أن ما قلته كان «واو، رائع!»

لست أدري كيف وجدتني في حال كل ما استطعته خلالها كان الاستجابة آلياً لكل من الأوضاع الطارئة التي تصادفني. كل سنوات مراعاتي لأمي متكيّفة وفق توقعاتها حولتني إلى روبوت مبرمج لقبول اقتراحات الآخرين بحبور.

«وماذا بشأنك أنت يا سايا؟»

«لقد قاموا لسبب مجهول بنقلي اليوم إلى مكان آخر».

«حقاً؟»

«أجل، إلى غرفة منفردة في مبنى جديد أقرب بعض الشيء إلى كاباباشو. ثمة ثلاثة أشخاص فقط يعملون هناك، في حين كنتُ وتلك الفتاة الأخرى التي تحسب أنها فاتنة جداً نقوم بالرد على الاتصالات ونحضّر الشاي».

«اتضحت الفكرة، آه، وهناك مسألة أخرى... هل تدرين ماذا يدعوننا زملاؤنا في العمل؟ روميو وجولييت!» ها ها ها مذهل! على أيّة حال، كيف جرى أنهم نقلوك؟»

«في الواقع، دخل كهل خمسيني ذو جسد تغطيه الدهون وراح يجوب داخل المكتب وشرع يتبادل ومدير شؤون الموظفين الحديث

والضحكات شبه المكبوتة بعد ذلك مباشرة صدر القرار. كل ما قاله لي مسؤول الموظفين أني سوف أحظى هناك بمعاملة أفضل بكثير واصطحبني إلى هناك على الفور».

«وكيف كانت الأمور؟»

«حسناً، الغرفة جميلة ومريحة، والجميع فعلياً لطفاء. ويبدون أكثر بحبوحة من أولئك الذين في المكتب الآخر. لقد قدموا لي اليوم وجبة سوشي للغداء».

«واو، يا لك من محظوظة!»

«أحسب أنك تستطيع قول ذلك. قواقع بحرية وبيرة للغداء ليس بالأمر السيئ على الإطلاق، ها؟»

«قواقع بحرية؟» هاي، هذا ليس عادلاً!»

يا لي من بلهاء! كان يفترض بي أن أحدس على الفور بأن ثمة أمراً مريباً يحصل. في أحد الأيام عند نهاية الأسبوع أقبل الرجل صاحب الجسد الذي تغطيه الدهون الذي كان رتب مسألة نقلي إلى المكتب الجديد، والذي يبدو أنه المسؤول الأول في هذا المكتب بالذات، ودعاني إلى العشاء في حال كنت غير مرتبطة بأمر آخر.

«هكذا تجري الأمور، هل تفهم، يتوجب عليّ أن أرافق رئيس المكتب إلى مطعم فرنسي، مطعم «الهلال» في حي شيبا، هل تعرفه؟، إنه بصدد الخروج إلى موعد مع صديقته غير أنه لا يريد أن يكونا وحدهما في حال صادفا أحد أصدقاء زوجته أو ما يشابه. لذا طلب مني موافاتهما مصطحبة معي رفيقة كي نصبح أربعة. في الحقيقة لن تكون مبادرة حذقة من جانبي إن قمت باصطحاب الزوجة، وعلى الرغم من

أني طلبت من إحدى المضيفات في النادي الليلي حيث أعمل، إلا أنها اعتذرت في آخر دقيقة».

«حسناً، لقد خطر لي أنه يستحسن أن نتقصى بشأن مطعم الهلال؟»

«حقاً؟ سيكون ذلك خير عون لي».

إذاً، الواقع أن وظيفة إعداد الشاي النهارية كانت فعلياً مجرد نوع آخر من المضيفة. مضيفة نهاراً، مضيفة ليلاً، هذه كانت حياتي العملية.

بيد أنه، توجب أن أقرّ بأن الذهاب إلى مطعم فرنسي فاخر كان أمراً مغبطاً، وثمة لا كلفة ولا مشاكل بالمقابل فيما يخصني. ممتاز!

*

كان هناك بعض الأوغاد شديدي البخل بين زبائن نادي كوكتو. كان همّهم الوحيد المضاجعة وبأبخس الأثمان. كانوا يناولونني خلسة الحد الأدنى من النقود لحفظ ماء الوجه ويدفعون أجرة غرفة فندق ممارسة الحب. بعضهم كان من الواضح أنه يرى في إطعام المرأة وجبة جيّدة لمجرد لذة سريعة مضيعة للمال، لذا كانوا يصطحبونني إلى أحد فروع سلسلة مطاعم السوشي المقيتة. كان ينبغي بالطبع أن تكون وجبة سوشي، وليس طعاما مبتذلاً. أعتقد أنه كان من المفترض أن يحدث فيّ ذلك انطباعاً قوياً.

ما دمنا نتحدث عن مطاعم السوشي الشعبية، كان صديق أمي يدير في الواقع سلسلة من مطاعم السوشي التي تملكها عائلته، وغالباً ما كان يجلب لنا علبة كبيرة «جامبو» من سلسلة مطاعم سوشي اوزاكا، ولقد

كان وقحاً إلى درجة أنه كان يصفها بالهدية.

«هدية؟ أيها البخيل! هذه بقايا وجبات» تلك كانت صرخة اعتراضي المكبوتة. غير أن الأسوأ أنه كان يصطحبنا إلى مانسي، مطعم تابع لسلسلة المطاعم الرخيصة في كاندباشي التي كانت تقدم وجبة قوامها لحم البقر المسلوق إلى جانب سلطة خضار وتدعى «شابو شابو»، ويطلب مني أن أكذب على أصدقائي وأزعم أننا كنا في الـ «سيرينا» وهو مطعم راق جداً في شارع ريبوندي يقدم أفضل وجبة «شابو شابو» في المدينة. كان يسقمني إلى أقصى الحدود. هذا أقوى مني لا أستطيع تحمّل رجال الأعمال المحدودين،هل يعقل أن تقضي معظم حياتك وأنت تحسب الربح والخسارة في كل شيء تفعله؟

لا تنسوا أني كنت أقضي متسعاً من الوقت برفقة نماذج من هذا الصنف تماماً في نادي كوكتو. مديرو مطاعم وجبات خاصة، أصحاب غاليريات فنية صغيرة، تجار مجوهرات وباعة كيمونو. سواء كان هناك حد أقصى للمبلغ المتاح لهم تبديده دون أن تلاحظ الشركة أو الزوجة، أو سواء كانوا مجرد رجال أعمال حتى الصميم، فإنهم كانوا معتادين كلهم على حساب كل فلس ينفقونه على نشاطات أوقات فراغهم الداعرة.

حتى حين كانوا يشاطرونني الفراش، كنت أحياناً ألحظ تلك النظرة الحذرة فوق وجوههم، كما لو أن كامل أجسادهم كانت مخضبّة بحسابات إدراك الحد الأقصى من الربح بالحد الأدنى من المخاطرة. فلم يكن مجرد أني طالبة جامعية مبرراً يقينياً لعدم الريبة بسوابقي، وما كانوا البتة مستعدين للمخاطرة باحتمال الإصابة بالسفلس، أو أن

يجابهوا يوماً ما بطفل غير مرغوب فيه، لذا كانوا دوماً يحرصون جيداً على استخدام واق ذكري. تبعاً لجمّ هذه الاعتبارات التي كانت تثقل كواهلهم غالباً ما كنت أعجب من تكبدهم عناء هذه المسألة الدنيئة أولاً بأول. «لِمَ لا يضاجعون زوجاتهم وحسب؟» إذ لم تكن المسألة على الإطلاق أنهم كانوا بصدد اختبار أي وضعيات غريبة.

الفتيات غير الاعتياديات كن يجذبن زبائن غير اعتياديين. لسبب ما مبهم بدا أن ميناكو كانت تحظى بكل المنحرفين.

«يا ربي، كان ينبغي أن تري ذاك الذي كنت بمعيته ليلة أمس!» كان أمراً مذهلاً! كان بحوزته أفعى! انتشلها فجأة وألقاها بقوة على بطني خلبني كلياً! يا إلهي!»

المنحرفون الاعتياديون، أولئك الذين يرتدون ملابس جلدية ويمتشقون سياطاً ويطلبون منها ارتداء ملابس على طريقة ملكة المتحوّلين جنسياً كانوا أسهل ما يكون. كانت ميناكو معتادة على ذلك النوع من الأمور، حتى أنها كانت تسأل أولئك الأشخاص بأن يسمحوا لها بالاحتفاظ ببعض أزياء الاسترقاق المفضّلة لديها، والتي كانت ترتديها لاحقاً في ملاهي الديسكو. كان هناك على سبيل المثال ذلك الزي الكامل اللصيق الأحمر الفينيلي المرصع بالأزرار، فكانت حين تقوم باعتلاء الحلبة في أحد ملاهي الديسكو لترقص وهي مرتدية إياه تطيح ببقية الفتيات من على الحلبة.

لحسن الحظ لم يبد أني كنت أحظى بأولئك الزبائن. ما كان يحصل معي هو مجرد جنس اعتيادي مع رجال عاديين مهتاجين، أكثر تصرفاتهم جسارة كان استئجار غرفة مسقوفة بمرآة مع حصان خشبي مسرج،

مثل طفل ذاهب إلى حديقة الملاهي، أو اصطحابي إلى فندق للجماع بديكور ياباني تقليدي كي يتمكنوا من الزعم أنهم اصطحبوا عشيقتهم الفتيّة في رحلة إلى ينبوع حار في منطقة ريفية منعزلة. بعدما كان يفرغون من ممارساتهم الجنسية البسيطة العادية كانوا جميعهم يرددون الشيء نفسه، «واو لقد كان ذلك رائعاً! أتتخيلينني أمارس الحب مع فتاة صغيرة مثلك. أو تدرين؟ لدي ابنة من عمرك تقريباً».

كانوا يتلفظون بذلك بعاطفية وكانت ممتعة في واقع الأمر مراقبتهم وهم يجهدون بأقصى قواهم لأجل لحظة اللذة هذه الضئيلة المثيرة للشفقة، متخذين بالتأكيد كل الاحتياطات الضرورية.

غير أن التعاطف كان أمراً في غير محله كلياً. لم أكن من المحترفات بل طالبة في جامعة للإناث خاصة بالطبقة الراقية. ليس الأمر وحسب أني كنت فتيّة، إلا أني كنت بالأحرى فخورة بجمالي. شريكي في المقابل تجده متدلي البطن، أو أقرع ساذجاً، أو منتناً تفوح منه رائحة زيت الشعر ذاك الرديء الكريه والذي تجده على الدوام قرب المغسلة في فنادق الجماع. كان هذا عالم الملذات الجسدية المتاعة بأسعار السوق من قبل رجال همّهم الأول هو المساومة.

كان إحساسي بالإثم معدوماً. حين كان يقترب وقت العودة إلى المنزل كنت أقوم بالجلوس على السرير مراقبة الرجل وهو يناولني النقود مبتسماً بشكل مبهم لسبب ما، متسائلاً كم مجموع المبلغ الذي أنفقه عليّ في سياق العشية وحاسباً قيمتي نقداً وعداً.

طوال سنة كاملة حتى الآن، ما عنى لي الجنس شيئاً على الإطلاق، مهما يكن من شاطرته الفراش. لم يعجبني أياً من شركائي، في الواقع

كنت احتقرهم. حتى حينما تكون الممارسة محمومة. كنت أجدني مستهزئة من انغماسهم الأعمى في المهمة التي ينجزونها، متسائلة ما إذا لم يكن بمنتهى السخف أن ينهمك المرء كلياً في أمر كهذا.

*

حين التقيت لأول مرة بوغي في مكاتب شركة «كابوتوشو جورنال» حصل أخيراً أن شعرت بالخزي من ذاتي. حتى ذلك الوقت لم يكن خطر لي ذلك إطلاقاً، لكن لحظتئذ راودني مثل برق مباغت «أني نجسة».

لم يخالجني البتة ذلك الشعور من قبل، لأول مرة في حياتي أصادف شيئاً ما حنوناً نقياً. هل كان هذا نتيجة شيء ما في داخلي؟ أوهل كان بوغي هو السبب؟ في الحالين منذ اللحظة التي التقيته فيها توقفت عن التوجه إلى وظيفتي الليلية ومن غير أن أكلّف نفسي البتة عناء إنذارهم مسببة جراء ذلك مشاكل جمة وإحراجاً لميناكو التي كانت عرّفت بي في نادٍ كوكتو.

لن أعود البتة إلى تلك الحياة. بطبيعة الحال كان بالكاد مرجحاً أن يتنازل كبار المبذّرين الذين يعملون في «كابوتوشو جورنال» وليمسوا زبائن في نادٍ سيئ السمعة مثل نادي كوكتو. لكن المسألة كانت أنهم يخرجون للسهر في المدينة كل ليلة في نوادي شوارع غينزا واكاساكا وروبونغي، وليس بالمستطاع أن تحزر متى أو أين يمكن أن تصادف أحدهم. ماذا لو دخل بوغي شخصياً إلى النادي ورآني قابعة هناك متبرجة كمومس رخيصة؟ ماذا لو صادف أن يكون عابراً لحظة خروجي من أحد فنادق الجماع الحقيرة بصحبة أحد الكهول المقامرين

المثيرين للقرف؟ سيكون ذلك بمثابة نهاية العالم، أو أنه هكذا بدا الأمر بالنسبة لي.

*

ظهر بوغي لأول مرة في حياتي حين دخل فجأة إلى مكان عملي الجديد في بداية الأسبوع بعيد انتقالي إلى هناك.

كان يرتدي معطفاً خاصاً بالمطر ماركة «Burberry» يغلف جسماً ريّاناً ممتلئاً أشبه بدبدوب صغير. كان شعره ناعماً متموجاً لوّح بعض أجزائه شيب مبتسر. عيناه الكئيبتان كانتا مؤطرتين بأهداب طويلة رائعة وشبه مختبئتين تحت جفنين شرقيين ناعمين. كان أنفه دقيقاً وممتلئاً وشفتاه مقطبتين بعض الشيء. بشرته كانت بلون الزيتون وبدا وجهه صبيانياً. المذهل بالنسبة لشخص في خريف العمر أن بشرته كانت ناعمة وجافة غير دهنية على الإطلاق.

بوغي كان صورة الرجل المثالي بالنسبة لي. يستحيل أن ترسم مثالاً أفضل.

أول مرة وقعت عليه عيناي كانت حين دخل إلى مكتبي بعد فرصة الغداء، عاقد الجبين ناقراً منخريه دون الشعور بالخجل ونافضاً رماد سيجارته في كل الاتجاهات فيما يتفحص صحفاً مالية ورياضية متجعدة ملخبطة. كاكيو زميلتي فتاة تحضير الشاي الأخرى وبخته بمرح قائلة «بصدق يا سيد هوتا، كيف لي أن أنظف الحجرة وأنت توسخها بهذه الطريقة؟»

«آه، بلى أنت محقة... ها ها ها... سامحيني!»

حين يكون صامتاً كانت سيماء بوغي توحي بالاستقلالية والوقار،

لكن لحظة كان يفتح فمه كانت تتدفق على الفور الضحكات والنكات. أول ما تبادر إلى ذهني كان «أنه كهل، غير أنه لا يتصرف وفق ذلك. ثمة شيء من الشباب فيه».

في تلك اللحظة بالذات تلقى بوغي اتصالاً هاتفياً وغادر الحجرة.

سألت تايكو، «من يكون هذا الرجل؟» فتورد خداها قليلاً خجلاً.

«آه يا سايا، ألا تعرفين؟ بالطبع لا. لقد كان مسافراً في الأسبوع المنصرم في رحلة عمل لذا لم يحصل أنك رأيته من قبل. هذا لا يعني أنه يزور المكتب كثيراً، حتى حين لا يكون مسافراً في رحلات عمل! إنه يدعى هوتا، أيضاً... في الواقع إنه شخص رائع، ألا تجدينه كذلك؟ إنه السبب الوحيد الذي يمنعني من مغادرة هذا العمل، ها قد قلتها».

«حقاً؟»

«وهو أيضاً أعزب! يبدو أن زوجته ماتت، لعلها انتحرت».

أخفضت تايكو صوتها ولكن تابعت بنبرة القيل والقال ذاتها.

«إنه يقيم حالياً علاقة مع فتاة ماما سان من أحد نوادي غينزا الليلية. لكن يبدو أنه يرغب في التخلص منها. إنها تهاتفه بلا انقطاع إلى المكتب تلك البقرة! «معك شخص من منزل السيد هوتا» بهذه الطريقة تقدم نفسها. لا أظن أنها تذهب كثيراً إلى منزلها. وهو غالباً ما يبدو منزعجاً حين تتصل. نمي إليّ أنها تقوم حتى أحياناً بالقدوم إلى الشركة مستجدية المال وأشياء أخرى. عاهرة! يتوجب عليه أن يتخلص منها على الفور! وربما بعدئذ أقوم أنا... لكن... آه، لست أدري! يحكون أنه بلوة، فاتن نساء حقيقي!»

اجتاحت المشاعر تايكو كلياً، وراحت تنظف مكتب السيد هوتا

باستمتاع وحيوية بالغة.

«هكذا إذا؟»

بدأت أفكر فيه، وكلما فكرت فيه أكثر فأكثر كان إعجابي به يزيد أكثر.

كان ثمة جانب قاتم في حياته ولكن على الرغم من ذلك كان لا يزال يمتلك حسّ الدعابة، لم يحاول البتة محادثة الصبايا اللواتي كن من حوله، على العكس بدا في غاية السأم من لعبة الغرام. روادني خاطر حياله «يبدو للوهلة الأولى بارداً، ولكن إن حدث وأغرم فعلياً بامرأة ما فسوف يحبها حباً أشد عمقاً من البحر الأزرق العميق».

بفضل غريزة ما حيوانية، استشعرت فيه قدرة على الحب العميق. ما كنت أبحث عنه كان يمتلكه. رغبت بشخص يعنى بي وليكن ما يكن، بشخص يعشقني بصدق دون شروط ملحقة. وعلى استعداد للمجازفة بحياته من أجل حمايتي. كان بوغي يمتلك كل المزايا اللازمة للقيام بكل ذلك.

إلا أنه بينما فكرت في المسألة، اتضح لي تدريجياً كم كان بعيداً احتمال أن ألقى كل ذلك العشق، وغرقت في اليأس. على أيّة حال، كان يعيش مع ماما سان من أحد نوادي غينزا، كنت راقبت رب العمل في نادي «كوكتو» وكنت أعرف يقيناً أن نسوة من ذلك النوع ليس من السهل أبداً هزيمتهن في معارك القلب. لسن نسوة عاديّات محترمات. إنهن بحاجة إلى أن يعشقن الرجال ليبقين على قيد الحياة. إنهن آلات عشق محترفة.

لم يكن بوسعي التصور أنه باستطاعتي أن آمل بالتغلب على منافسة

مرعبة كهذه. حسناً، صحيح أني كنت عشت قليلاً في السنة المنصرمة، بيد أني كنت لا أزال بالكاد خارجة من روضة الأطفال مقارنة بها. ويمكن أن تحزر من النظرة الأولى أن بوغي كان رجلاً بالغاً بكل المعاني، رجلاً دنيوياً بكل ما للكلمة من معنى.

لعله أحس بتحديقي فيه فبادرني بالقول في أحد الأيام «هل باستطاعتك تدليك كتفيّ لخمس دقائق؟ سأعطيك ألف ين إن فعلت».

كانت الساعة تجاوزت الثالثة للتو وكان سوق البورصة مقفلاً وكما جرت العادة توارى الجميع إلى المقاهي ونوادي السونا وقاعات التدليك باستثنائنا هو وأنا.

لا أظن أني سأنسى ما حييت تلك اللحظة، ذلك الشعور حين لمست بيدي ظهر بوغي العريض وكتفيه الغليظتين، كنت ألمس لأول مرة في حياتي جسد رجل بمهابة وحب. كنت قد وهبت جسدي إلى كل من رغب فيه من الرجال غير أن قلبي كان لا يزال بكراً.

لم يسبق أن عرفت البتة راحة مماثلة من ملامسة جسد ذكري، ليس مع هاجيمي أو بقية الفتيان الآخرين الناعمين المرنين من معارفي، وبالتأكيد لم يحصل ذلك مع الأجسام الكهلة الدهنية التي كنت أصادفها في نادي كوكتو. برفقة أولئك الرجال استلقيت هناك وحسب أشبه بشريحة تونا فوق خشبة التهريم، آملة أن ينجزوا الأمر سريعاً. لكن هذا كان مختلفاً. بحق السماء كنت أدلّكه لا أكثر، إلا أنه فيما دلّكت كتفيه بدا أن فيضاً من البهجة العصّية على التفسير تتدفق من رؤوس أصابعي عبر جسدي بالكامل.

سمعت من تايكو أن مزاج بوغي كان يرتفع وينخفض بالتزامن مع الأسهم التي كان يتاجر بها. لقد كانت أسعار أسهم السوق اليوم مرتفعة وبالتأكيد كانت معنوياته بالتالي ممتازة. كان يطلق ببراعة النكتة تلو النكتة، ساخراً من ظِرفه هو بالذات.

«يا سايا، هل تخرجين للسهر طوال الليل، كل ليلة؟ لقد سمعت أن الطالبات الجامعيات يستمتعن بأوقاتهن بجموح في هذه الأيام».

«ليس إلى هذا الحد، كنت في ما مضى أعود إلى المنزل بعد الفجر أحياناً، ولكن هذه الأيام أنا مهتمّة بشكل جدّي بدروسي».

«حقاً؟»

«أجل!»

وخطر في بالي «ومن تخاله السبب من وراء فقدان السهر والسحر إثارتهما؟ إنك السبب من وراء كل هذا؟»

لعله حدس أفكاري المكبوتة، لأنه فجأة انبرى مقترحاً عليّ هذا «يا سايا ماذا يقتضي عمله كي تخرجي برفقتي طوال الليل؟»

كانت نبرة صوته ساخرة إنما ليست فاسقة على الإطلاق واخترت من جهتي أن أتقبل التعليق كنكتة راشد جذلة.

«آه، لست أدري... مطعم من الدرجة الأولى، مطعم ياباني تقليدي لربما. لم أزر الكثير منها. وبعدها لربما بار مقصور فعلياً على البالغين، يمنع دخول الأولاد. وبعدئذ فندق من الدرجة الأولى وليس فندق جماع. أجل، سيكون هذا كافياً لتحظى لك بموعد.

كنت أبغض أن أحسب فتاة صغيرة ساذجة في حال ذعر جليّ. إن غندوراً متمرساً على غراره لا يعقل أن يخطر له الخروج برفقة طفلة

مثلي. كنت أسعى إلى إخفاء انعدام ثقتي بنفسي من خلال القيام بالهجوم عليه. استوعب ذلك بهدوء واف.

«إذاً، أي فندق تهوى الفتيات التوجه إليه هذه الأيام؟»

«في الواقع، كثيرات منهن يتحدثن عن الجناح الجديد في فندق «أمير أكازاكا».

«قلتِ أمير أكازاكا، أليس كذلك؟» كل الأميرات يعشقن الأمير، صحيح؟ إن أدركت مقصدي!»

«مضحك جداً، ها ها».

أظن أنه لربما كان هناك جانب صارم وحذر لديّ، أراد التثبت من أن بوغي غير زائف، كان حقاً مختلفاً عن الفاشلين الحقيرين المثيرين للشفقة الذين عرفتهم في نادي كوكتو. كان بوغي فطناً كفاية ليحدس ذلك الفضول. وعلى نحو مقامر محترف قام بخطوته.

«حسناً إذاً! ماذا بشأن هذا السبت؟ سألقاك عند الساعة السابعة أمام مقهى «الموند» عند محطة ريبونجي».

الفصل الثاني

تساقط الثلج كثيفاً ذلك الشتاء.

كنت فيما مضى أقوم بالانزلاق خلل تكدسات الثلج نزولاً عبر منحدر اوزنزاكا من محطة روبونغي وصولاً إلى شقة بوغي في منطقة أزابو جوبان. كان يستغرقني الوصول إلى روبونغي عبر مسلك هيبيا نصف ساعة وبعد ذلك كنت أمشي لمسافة ربع ساعة. اتسمت منطقة أزابو جوبان على غرار منطقة ميمويا عموماً بالفسق والاستهتار الأخلاقي. ميمويا تلك المنطقة من طوكيو حيث ولدت ونشأت، بيد أن أزابو جوبان اتسمت بحيوية ليس بوسع ميمويا البتة مضاهاتها، وكان بالوسع أن تشتم في هوائها رائحة المال.

في غابر الأيام كانت أزابو جوبان مشهورة بكونها أحد أبرز أحياء المتعة في طوكيو. وحالياً باستثناء أصحاب المتاجر فإن معظم من يعيشون هناك تقريباً مرتبطون بطريقة ما بعالم الليل. إما هذا أو تراهم يسيطرون ويعقدون الصفقات في الأسواق المالية أو العقارية. أظن أنه لا فرق كبيراً بين هؤلاء الأشخاص وطيور الليل أو أولئك الأشخاص الذين يتسكعون قرب منزلي في ازاكوسا، غير أن أولئك الذين يقطنون في أزابو جوبان كانوا من طبقة أعلى. يجالسون مضيفات من نوادي غينزا المبهرجة في الشارع الليلي رقم واحد في اليابان وجماعة الطبقة التي

ينتمون إليها. كميّة المال المنتشرة في الأرجاء كانت أيضاً مختلفة. كان هذا المكان حيث تروّح المضيفات عن أنفسهن حين تنتهي دواماتهن، لذا كان جوّ المكان أشبه بجّو كواليس حجرات تبديل الملابس الخاصة لفراشات الليل. ولقد كان له الطنين الخاص بها.

في وسط أزابو جوبان قام مقهى «ادنبره»، المقهى الذي تعوّد بوغي ارتياده بانتظام. في خلال ساعات النهار كانت مضيفات نوادي شارع غينزا وتلك التي في حي روبونغي يترددن باستمرار إلى هناك، دون ماكياج متناولات وجباتهن نصف الصباحية بنظاراتهن الشمسية وأحذيتهن اللمّاعة، وبالطبع مصطحبة كل واحدة منهن كلبها الصغير النبّاح. الرجال في المقابل كانت تزين رؤوسهم قصّات شعر متموّجة جعدة على طريقة العصابات ويرتدون سترات فضفاضة كتلك التي تعود الطيارون لبسها، ويروحون يقعقعون بأساور وساعات رولكس ذهبية من عيار 18 قيراطاً، ملتهمين الصحف الرياضية، وشاغلين بلا انقطاع الهواتف التي في خلفية المقهى.

لقد اختار بوغي دون أدنى ريب أن تكون قاعدته هناك لأنه كان يهوى الابتذال وجوّ حديثي النعمة، هذا بالإضافة إلى زوال الصفات البشرية الفظة لديهم جراء مراودتهم عالم الغانيات. لم يكن ثمة أناس عاديون هناك، لا أشخاص عاديين يشقّون بمشقة طريقهم داخل قطارات غاصة بالركاب للوصول إلى شركاتهم أو مكاتبهم الحكومية لكسب الخبز لإعالة عائلاتهم التي تسكن الضواحي. بيد أن ذلك لم يكن يعني أن أزابو جوبان كانت قد خسرت في لعبة الحياة الكبرى بل على العكس. الأشخاص القلائل الذين كانوا يقطنون هناك كانوا أناساً

غير أسوياء لكنهم كانوا على الرغم من ذلك ناجحين. كانوا يستأجرون شققا غالية ويعيشون حيوات مبهرجة متلألئة من الترف. بالطبع لم يكن الطابع غير المحتشم إلى حد ما للمكان يزعج بوغي إطلاقاً. كان بالنسبة إليه كما الماء للبطة.

كان بوغي خريج جامعة هيتوتسوباشي وهي جامعة للنخبة. هذا الواقع أفسح لمساحة صغيرة في قلبه تخيّل فيها باعتزاز أنه كان مختلفاً عن الأشخاص الآخرين في مهنته. غالباً ما كان يسترسل متحدثاً كيف أن الظروف أجبرته على دخول هذا العالم الزائف ضد مشيئته. الحقيقة كانت أنه كان يهوى الطبيعة البشرية البسيطة المنقادة للرغبة القائمة في المكان.

قدم بوغي إلى طوكيو قبل ثلاثة أعوام. كان يدير وكالة سفريات في كوبي غير أنها أفلست. لذا قرر البدء من جديد في المدينة الكبرى. كان في الخامسة والثلاثين ومفلساً بكل معنى الكلمة. قطن بداية متطفلاً في منزل صديق له في ضواحي أزابو جوبان. هذا الصديق كان كاتباً مخفقاً كنت أدعوه «الكبير في السن». في الواقع كان يصغر بوغي بسنة يتيمة غير أنه كان يبدو فعلياً كبيراً في السن، كان شكله الخارجي يوحي بالإنهاك الكليّ.

كان بوغي والرجل الكبير في السن التقيا لأول مرة منذ سنوات عديدة، حين اقترض بعض المال من بوغي بعدما تعرف الواحد إلى الآخر من خلال صديق مشترك. ليست لربما بداية واعدة البتة لبدء صداقة، غير أن بوغي رومنسي من أعماقه وكان من الأحب إلى قلبه لو

أنه قدر له أن يصبح روائياً هو نفسه أو ما شابه. لذا على الرغم من أنه انجرف إلى عالم المال، فهو ما برح ينزع إلى اعتبار أشخاص على شاكلة هذا الروائي غير المعروف أصدقاءه الحقيقيين.

ليلاً كان بوغي ينام فوق الأريكة في منزل «الرجل الكبير في السن» ونهاراً يجوب مفتشاً عن وظيفة، لا تنسوا أن لا رب عمل محترماً كان سيقبل بتوظيف شخص في سنه وتاريخه المهني، لذا كان ما ينويه فعلياً في قرارة نفسه هو اكتشاف مكان ما يلائم كفاءاته ليبدأ انطلاقاً منه مشروعه الخاص. جعل يجرّب كل الاحتمالات، بيع أدوات مكتبية، بيع أزهار بالجملة، تأمين مراحيض نقالة لورش البناء وهكذا دواليك.

أخبرني متذكراً «كنت أتسكع لا أكثر في أرجاء المدينة متسائلاً ماذا بالوسع أن أفعل» وأضاف «كنت أطوف حول مقهى «الموند»، غارزاً يديّ في جيبي راكلاً الحصى. هذا يبعث فيك الرغبة في الضحك أليس كذلك؟ مرة جلست أشرب القهوة هناك وفجأة أدركت أني لا أملك ما يكفي من فكة النقود لدفع ثمنها. تسللت مغادراً حين لم يكن النادل ناظراً ناحيتي وأطلقت ساقيّ للريح. واختبأت في العتمة وما أدراك، ها ها ها».

كان بوغي قادراً باستمرار على إضحاكي، وما سئمت أبداً من الاستماع إلى قصصه.

كان الطعام في منزل «الرجل الطاعن في السن» رديئاً إلى درجة أن زوجته كانت فعلياً تعاني من سوء في التغذية. بالطبع لم يناسب ذلك بوغي الذي كان على الدوام توّاقاً إلى أفضل أنواع الطعام، لذا بسرعة استحصل له على عشيقة وانتقل للسكن معها. وكانت هذه هي بالذات

ماما سان نادي غينزا الليلي التي كانت حالياً تقّض مضجعه باتصالاتها الهاتفية إلى مكتب عمله. كان يريد التخلص منها إلا أن الأمر كان محرجاً بعض الشيء باعتبار أنها كانت احتضنته واعتنت به حين كان مفلساً ومحبطاً. كان عاجزاً عن هجرها هكذا بكل بساطة. من جهة أخرى لم يكن يتحمل النسوة التملكيّات، لذا توصل إلى حل وسط واستأجر له ملاذاً صغيراً في أزابو جوبان.

كانت شقة بوغي تقع تماماً في وسط منطقة التسّوق داخل بناية للشقق المفروشة مطلية بالأصفر الشاحب كان كل ما فيها يوحي بحداثة النعمة. احتل طبقتها الأولى مطعم سوشي إضافة إلى مطعم فرنسي صغير والأشخاص الذين أقاموا هناك كانوا في الأغلب من النوع المحترم بكل ما في الكلمة من معنى. مضيفات من ملاهي ونوادي غينزا وروبونغي، عاهرات، ومساكنات رجال ما. كان العشاق والزبائن يجيئون ويغادرون، لذا كنت لتحسب في الانطباع الأول أن البناية مليئة بالمتزوجين ولكن في الواقع كان معظم المقيمين نسوة عزباوات يستقبلن زواراً. وعلى الرغم من أنه لا يفترض اقتناء حيوانات داخل هذه الشقق المستأجرة إلا أن الإدارة كانت تغض الطرف حيال الحيوانات الأليفة التي كانت تقتنيها معظم تلك النساء.

الطبقة العليا من البناية كانت مؤلفة من شقة واحدة ضخمة تسكنها ممثلة في الأفلام الإباحية التلفزيونية وكانت بشكل خاص مولعة بحب الحيوانات. سمعت القصة التالية من أحد طهاة السوشي في مطعم الطبقة الأولى.

«توجهت إلى هناك في أحد الأيام لتسليم طلبية، وكان ما أبصرته

مذهلاً! يستحيل أن تحزري ماذا كانت تأوي.. لديها دب! لست أمزح! دب بشحمه ولحمه. لقد رأيت خلال حياتي الكثير من الحيوانات الأليفة، ولكن يتوجب الاعتراف بأنه لم يسبق أن أبصرت شيئاً مماثلاً. أقصد ماذا ستفعل حين سيكبر؟»

غالباً ما كنت ألتقي بالصدفة تلك الفتاة في المصعد. كانت ترتدي عادة جوارب طويلة شبكية وملابس من طراز «نيو وأيف» كانت تبدو وكأنها أخرجت مباشرة من خزانة النجمة مادونا. بيد أنها لم تكن في أي مرة تصطحب معها الدب. كنت على الدوام أعجب من ذلك. ألا يتوجب يا ترى إخراج الدببة في نزهات قصيرة؟ أو هل كان الدب يظهر معها في أفلامها التلفزيونية؟ إن كان هذا الأمر صحيحاً، أويجعله ذلك دباً عارياً؟ تدفقت الصور في مخيلتي بسرعة فائقة. بمطلق الأحوال كان تقريباً معظم الأشخاص الساكنين في تلك البناية من ذلك الطراز.

كان بوغي يقتني في ملاذه زوجاً من القطط الفارسية الأصليّة. ذكر أبيض من سلالة نسب أميركي ممتاز رائع وأنثى متلوّنة بالأصفر الشاحب الضارب للازرقاق.

قال «في الواقع رغبت في اقتناء حيوان أكبر حجماً» وتابع «زرافة على سبيل المثال. لكن حينما ستكبر سوف تضطر إلى إقحام عنقها في النافذة وحينئذ قد يلاحظ المالك أني كنت انتهك قانون منع اقتناء الحيوانات».

كان بوغي طفلاً حين يتعلق الأمر بالحيوانات. برنامجه التلفزيوني المفضل كان «أرض الحيوانات السعيدة السعيدة».

قال لي مرة «سمعت إنهم استولدوا نسلا جديداً من القطط الفارسية». وتابع «تزن الواحدة منها ثمانية كيلوغرامات وتشبه كلاب التشاو الصينية. لكن يبدو أن نوع النسل هذا لم يثبّت بعد، لذا ليس بوسعهم بعد بيعه».

كان بوغي يعشق التحدث عن الحيوانات.

فيما كان يحاول التخلص من الماما سان، كانت هي تمسي باطراد أكثر هستيرية. لم يكن راغباً في أن يهجرها فجأة خشية أن تقوم بتصرف ما شاذ على غرار الإقدام على طعنه بسكين، لذا بدلاً من ذلك خطرت له هذه الفكرة الحاذقة باستئجار منزل ثان بسرية تامة وشيئاً فشيئاً قضاء ليال أكثر في الشقة الجديدة وأقل بمعيّتها. المرأة تلك كانت على وشك أن تصبح قصاصاً. من ناحية أخرى سرعان ما أحس بوغي بالوحشة، لذا ابتاع الهرّين ليؤانساه في عزلته.

كان بالكاد قادراً على الاهتمام بنفسه، دعكم من زوج الهررة الفارسيين المسترسلي الشعر الرائعين. لذا أصبحت إلى حد ما مدّبرة منزل لبوغي وحاضنة للهّرين، وبدأت أزور بشكل منتظم البناية الشاحبة الاصفرار في أزابو جوبان.

*

تلك الليلة اصطحبني بوغي إلى مطعم متخصص بمطبخ السمك والخضار، كان الجو فيه متواضعاً ولكن الطعام من الدرجة الأولى ومثله الأسعار. توجهنا بعدها إلى بار لموسيقى الجاز للبالغين جداً في

مركزه الأساسي في أوساكا، ولاحقاً إلى الجناح الجديد في فندق أمير أكازاكا... كلّه تماماً كما طلبته.

في نادي الجاز قدمت لنا مضيفات بوغي المفضّلات شراباً جديداً يسمى «نيكولاشكا» قيامه البراندي الصرف ويقدّم مع شريحة من ليمون الحامض تغطي فوهة الكأس رشّت فوقها بشكل مخروطي طبقة من السكر. كان يفترض بك أن تطوي شريحة الليمون بسكّرها داخل فمك وتحتسي البراندي عبرها بجرعة واحدة. وأتينا على عدد كبير من كؤوس الـ« نيكولاشا» وثملنا بشكل فظيع. تبادلنا نكاتاً بذيئة وفي محل ما في سياق الجلسة انبثقت كنية بوغي.

كان بوغي يصير رجلاً مختلفاً بعد احتساء بضع كؤوس. يصبح ثملاً. لم يتوقف عن المزاح بشأن أن الحياة كانت ظالمة، وكيف أنه كان يصرف عشوائياً المال لاستضافة وامتاع فتيات في النوادي الليلية ثم ينتهي به الأمر راجعاً وحيداً إلى المنزل وإلى ما هنالك. أنا أيضاً شخص مختلف حين أكون ثملة. بطريقة ما أصابت روح الفكاهة الناتجة عن ثمله، صميم وتر حسّ الفكاهة لديّ ورحت أروي بدوري بعض نكاتي الخاصة. بعد برهة كان كلانا يضحك مبددين مخاوف أحدنا الآخر لاغين ظلم المجتمع ومتقاذفين النكات مثل زوجين من المهرجيّن.

«في الواقع أنتما تبدوان بلا أدنى ريب متآلفين كلياً. قد يخال أي كان أنك ابنته!»

«أهذا حقاً موعدكما الأول؟»

«لا خزعبلات يا سيد هوتا. دع هذه الآنسة الشابة تعود إلى

منزلها، اتفقنا؟»

هذا ما رددته المضيفات حين سمعن أني كنت فقط في التاسعة عشرة من عمري. في الواقع لم تكن لدي أدنى رغبة في التوجه إلى منزلي، أو هو بالسماح لي بالمغادرة، انطرحنا داخل سيارة أجرة معدمي الأرجل عملياً، وبما أننا كنا متوجهين إلى فندق أمير أكازاكا وليس أحد فنادق الجماع القذرة، بدونا إلى حد بعيد أشبه بوالد وابنته وليس في موعد غرامي. بدا الأمر وكأننا عائدان للتو من حفل اجتماعي ودود جعلنا والداً وابنته.

*

استفقت صباح اليوم التالي وأول ما وقعت عليه عيناي كان بطن بوغي الضخم شاهقاً بمواجهتهما. كنت غرقت في النوم غارزة رأسي تحت إبطه. كانت عضلات صدره على وشك الترهل وجعلت أداعب إحداها عابثة.

قلت في نفسي «له حلمتان جميلتان!»

أحسستني مغمورة بالدفء والطمأنينة. ثمة مثل ياباني يقول إن بعض الناس يلائم طبيعياً أحدهم الآخر إلى حد أنها «بشراتهم تكون متلائمة». لأول مرة في حياتي أدركت معنى ذلك. لأول مرة أصادف رجلاً يحرّك فيّ مشاعر الحنين، كما لو أنها لم تكن المرة الأولى، كما لو أني عدت إلى الديار.

بالطبع لم أكن بعد على يقين إن كان بوغي يحبّني، غير أني افترضت

أنه سوف لربما يفعل في نهاية الأمر. صحيح أن أياً كان من الناس سوف يحسب أننا أب وابنته. كنت أبدو أصغر من سني في حين أنه بشعره الملوح بالشيب كان يبدو أكبر سناً مما هو عليه. وكنا نعيش في عالمين مختلفين. على الرغم من كل هذا فإننا بوغي وأنا كنا ننتمي إلى الصنف نفسه.

طردت من العمل في شركة «كابوتوشو جورنال» بعد ذلك مباشرة. كان بوغي فاشلاً في التخفّي واكتشف المدير السمين ما كان يجري بمجرد أن ألقى نظرة واحدة على وجه بوغي الشارد الذهن. لذا عوض الذهاب للعمل في الشركة صرت أتوجه إلى شقة بوغي.

«أنت تحبّين القطط، صحيح؟ حسناً تعالي ولاعبي قطتيّ».

المفتاح الذي أعطاني إياه كان لا يزال تماماً كما أرسله سمسار العقارات، معلّقة به بواسطة شريط معدني مفتول تلك البطاقة الورقية الصغيرة وعليها عنوان البناية. كان قد مضى أسبوعان لا غير منذ أن قرّر بوغي أنه قد ضاق ذرعاً بالنساء واستأجر لنفسه هذه الشقة، وها هوذا يسلّم المفتاح لفتاة لها نصف سنّه.

«حين أتصل، أدع الهاتف يرن مرة واحدة ثم أقفل الخط، وبعدها أتصل مجدداً. هذه هي الشفرة، جيد؟ سوى ذلك إياك الرّد على الهاتف. هل فهمتِ؟»

«فهمت»

كان قد أخبر عشيقته الماما سان أنه يسكن بمفرده وأعطاها رقم

الهاتف، لكنه لم يعطها العنوان.

توجهت على الفور إلى الشقة لتفحّصها مرتعدة بفعل إحساس بالذنب، كما لو أني كنت أقوم بزيارة حديقة ملاه مفتوحة لي وحدي وحسب.

كانت البناية لا تزال جديدة تماماً، تزيّن مدخلها ظلّة مزخرفة ومصعدها الكهربائي من ذلك الطراز المتضمن نوافذ، وكانت ما تزال تعتبر أنيقة في ذلك الوقت.

لكن لحظتما فتحت البوابة البيضاء اللماعة ودخلت الشقة... يا إلهي! كانت تنبعث من المكان برمته رائحة بول القطط الكريهة والحليب الفاسد ودخان السجائر القديم. وهناك وسط وبر وشعيرات القطط المنجرفة عبر الغرفة ككومة أعشاب برية لمحت كرتين أكبر حجماً من الشعر متدحرجتين باتجاهي تموءان طلباً للحليب.

«رباه أيتها البائستان! يا لها من إهانة لنسبكما!»

كانتا لا تزالان هريرتين ولم تكتشفا بعد إحساس الريبة من الناس. لا بد أنهما شعرتا بالوحشة وقد تركتا وحدهما لوقت طويل، وأقبلتا مندفعتين إليّ كما لو أني أمّهما. كان وجهاهما مكسوين بقشرة من زبد الحليب، ومؤخرتاهما قذرتين ببقايا ضئيلة من الغائط الملتصقة بفروهما.

«يع، هذا شنيع للغاية!»

بينما حملتهما بين ذراعي رحت أتكلّم بصوت مرتفع، أنا الكسولة بامتياز تفاجأت بعزمي وبالإثارة التي تملكتني وهي فعليّاً مشاعر غريبة عني.

وجدت منفضة سجائر كريستالية تراكم فيها عالياً ما يعادل بقايا أسبوعين من أعقاب السجائر محاطة بالرماد. غطاء الأريكة كذلك كان مكسّواً برماد السجائر فضلاً عن روث الهريرتين والشعر. كان هناك كدسة من الصحف الرياضية القديمة المبقعة ببول القطط، وبعض المجلات الأسبوعية، وكومة من الروايات البوليسية وكلها لمؤلف واحد هو كنزو كيتاكاتا. كان هناك كومات من الأكواب التي كانت احتوت مرّة شراب الويسكي والماء وعدد غير قليل من الكؤوس وأعقاب السجائر المدموغة بآثار أحمر الشفاه فضلاً عن بطاقات عمل مضيفات وومسات. بعض البطاقات كتبت على ظهرها أرقام هواتف شخصية ورسائل من نوع «اتصل بي» ومكتوبة دوماً بذلك الخط الطفلي المصقول الذي تهوى النسوة محاكاته. كانت فظيعة، شقة عازب نموذجية قذرة.

الأسوأ من كل ذلك، أن المكان برمته كان مفروشاً بأبشع صنوف الذوق قاطبة، بمفروشات كان بوغي ابتاعها من يوشيزويا وهو متجر محلي غالي الأسعار لكن طرازاته غير حديثة. مما تضمنته تصاميم المفروشات أريكة زهرية على بنفسجية مع وسادات ثقيلة مكشكشة متناسبة الألوان. الخوان كان من الطراز الياباني إلى حد ما، بلون بني محمّر ومصمم ليبدو ثقيلاً وضخماً حتى أقصى الحدود. ورفوفه وخزاناته كانت كلها فارغة. منشورة في الأرجاء ألفيتها بعض قناني الـ «شيفاز ريغال» والـ«هينيسي»، وبعض أقداح الويسكي الزجاجية المزخرفة وأخرى منتفخة للبراندي، إضافة إلى دلو للثلج وعلبة من لحم البقر المقدد علك طرفها قليلاً هرير جائع.

لم تكن حجرة النوم في وضع أفضل. الخزانة احتوت عدة بدلات

قاتمة اللون مجعدة ومكسّوة بشعر القطط ووبرها. كان السرير وخوانه هائلي الحجم، من طراز المفروشات الضخمة خاصة متجر كاريموكو وهي شركة متخصصة بالمفروشات المصممّة لتبدو غالية الثمن. غطاء السرير الخمري المخملي كان على شفة أن يتحول أبيض وقد كسته شعيرات القطتين والوبر.

التلفزيون كان من الطراز العملاق الضخم الذي تتوقع أن ينصح به رجل طاعن في السن ما في متجر لبيع الأدوات الكهربائية وبجانبه جهاز فيديو من نوع مايومي إتزوا لا بد اقترحه أحد ما من ذوّاقة الأغاني الشعبية البائدة. المساحة حول بوابة خزانة التلفزيون الزجاجية كانت مكسوة بالمغلفات المجّعدة من النوع الذي تعطيه المصارف عند أجراء سحوبات مالية، فضلاً عن رباطات ورقية ممزقة كانت حزمت في ما مضى لفائف أوراق مالية.

لم يكن هناك أي ستائر.

«يا لها من فوضى! يا له من أسلوب عيش!» يتوجب القيام بشيء ما حيال هذا!» أحسستني مغمورة بإحساس بالتصميم غير مألوف.

رددت في نفسي «كيف يسعه أن يفعل هذا بشقة رائعة كهذه؟ يا للخسارة!» قد تكون قديمة بالية، غير أنها لا تزال بناية بيضاء في وسط المدينة، ومختلفة كلياً عن المنازل الخشبية المعمّرة منذ عشرين سنة في منطقة الطبقة العاملة في تلك المدينة حيث أسكن.

كان عمل بوغي في شركة «كابوتوشوجورنال» يستمر حتى قرابة التاسعة أو العاشرة مساء. كان يتوجه بعدها إلى المدينة لتمضية ليلة أخرى من السكر ولا يرجع بعدها إلى الشقة حتى ساعات الصباح الأولى.

عطل نهايات الأسبوع كان لا يزال يقضيها مع ماما سان شارع غينزا التي يصعب التخلص منها. أحياناً كان يمضي طوال الليل ممارساً لعبة الماجونغ ولا يعود إلى المنزل قبل اليوم التالي. لم يكن منصفاً إهمال الهريرتين بهذه الطريقة، وإن لم أقم أنا بأي تصرف بشأن وضع هذه الغرف فإن أحداً لن يفعل. كوني قضيت كل تلك السنوات الفارغة هازّة كتفي بلامبالاة مرددة «ليكن ما يكون» فإن الشعور فجأة بأن هناك من يحتاج إليّ ملأ أيامي بالإشراق وجعلها متألقة كما لو أنها جديدة.

*

توجب عليّ إطعام الهريرتين كما ينبغي، لذا كنت أتوجه إلى حي أزابو جوبان كل يومين على الأقل. نادراً ما تمكنت من رؤية بوغي بالذات، كان يحصل فقط أحياناً أن أتلقى المكالمة المزدوجة الرنين من مقهى ادنبره وكان يصطحبني إلى متجر الحيوانات الأليفة لابتياع حاجيات للهريرتين. كان يبتاع كل ما ينصحه به بائع المتجر حتى ولو اتفق أن يكون ذلك شجرة اصطناعية عملاقة يبلغ ثمنها مئة وخمسين ألف ين لتستخدم كقائمة لتخمش فيها الهريرتان أظافرهما.

كان هناك أمر مميز حيال الأسلوب الذي يستخدم فيه بوغي ماله. كان ذلك لبقاً وفاتناً بالكاد يفسح لك الوقت لتلاحظ سلوك إنفاقه المريب بعض الشيء وغير السويّ كلياً. ما التقيت أبداً قبلاً أو رأيت شخصاً بالغاً يستخدم المال كما لو أنه نثار أو ورق مرحاض.

كان يردد «المال هو مجرد مال لا أكثر» ويضيف «لذا ثمة لا معنى

في أن يصير المرء مولعاً به. الكثير من الأشخاص يتصرفون تبعاً لذلك المنوال وينتهي بهم الأمر في البالوعة. الطمّاعون يعاشرون الطمّاعين وفي أمكنة جشعة. يستولون على أموال الآخرين، ينتزعون الأموال من بعضهم وهذا كل ما في الأمر. هذه ليست طريقتي. ثمة وفرة من المال في الأرجاء، كدسات منه إن عرفت أين تفتشين. في أيما طريقة استطعت كسب ورقة عشرة آلاف ين فإنها ستظل بكل الأحوال تساوي عشرة آلاف ين. ولست أرغب في العبث عبر القيام بمهام حقيرة لصالح أحدهم لينتهي بي الأمر مقتولاً. ما أقوم به لا أكثر ولا أقل هو أخذ المال من حيث هناك الكثير منه وإنفاقه على أمور أهوى القيام بها. أين الضرر من ذلك».

كان هذا مفهوم بوغي في ما يختص بالمال. ولكن حين كان الأمر يتعلّق بي، كان يصرّ بعناد أنه يتوجب عليّ التعلق بنظام من القيم أكثر تقليدية.

«أنت طالبة، صحيح؟ لذا يفترض بك أن تكوني منطقية فيما يتعلق بالمال. سأعطيك فقط هذا القدر، موافقة؟ إن احتجت في أي وقت مبلغاً «إضافياً» ليس عليكِ سوى إعلامي بذلك».

عند انتهائه من ترداد ذلك، نقدني كمصروف جيب خمسين ألف ين لا أكثر. كانت تلك المرة الأولى التي أخاطب فيها بالطريقة التي يفترض أن يتكلم بها الأب إلى ولده، غارساً في الذهن بعض الانضباط، ولقد أحببت ذلك جداً. أخيراً هناك ثمة من يمكن أن أعتمد عليه. تخلّصت دون إبطاء من هاجيمي ورفاقي الفتيان الآخرين وأيضاً من رفيقاتي الزائفات على غرار ميناكو وبدأت أعيش كمدبّرة منزل.

كنت أتوجه إلى الشقة، أنظّفها، ألاعب الهريرتين راضية مسرورة.

أما بالنسبة لبوغي فقد كان أكثر من راض منيّ كامرأة بيد أنه كان يدلّلني كما لو أني كنت فعلياً ابنته. كان يستمتع بمراقبتي بعين ناقدة فيما كنت أكابد بغية إرضائه، وكان يتطلّع إلى سبل لتحسيني كامرأة.

«لقد حان وقت أن تبدأي بالاكتساء كامرأة بالغة. أهذه الملابس الولاديّة هي كل ما لديك؟ ما رأيك لو جهزّتك بعدّة جديدة؟.. أحذية، ملابس، جزدان، كل ما هو مطلوب!»

بالنسبة إلى بوغي بالذات كانت ماركات المصممين الطوكيويين التي كنت أرتديها مجرد سقط متاع ولادي، وقصة شعري الحديثة حسب موضة «الآرت ديكو» أشبه بالرأس الجرسي لقضيب أحدهم كما عبّر بدماثة بالغة!

«إن الرجال يفضلون الفتيات اللواتي يبدين أكثر بعض الشيء انتظاماً، إلى حد ما أكثر اعتيادية. إن بدت الفتاة «على الموضة» أكثر من اللزوم، يخالجنا أننا سنعجز عن مجاراتها، أتفهمين مقصدي؟ ويتوجب عليك كذلك أن تطيلي شعرك. هذا لا ريب فيه البتة».

بكل سرور أطلت شعري واخترت أزياء أكثر اعتيادية. كنت أود وحسب أن يزداد إعجابه بي. رغبت في أن يكون بوغي راضياً عني وانطلاقاً من ذلك انطلقت بحماسة لأصبح تلك المرأة التي تروق لذائقته.

كلما التقينا كان بوغي يسألني تواً «هل أنت بحاجة إلى نقود؟» ويناولني على الفور خمسة آلاف ين. كنت أستخدم النقود لابتياع طعام ومهاد للهرتين، أسد نقص مخزون الكحول، وبشكل عام أحافظ

على انتظام الشقة وترتيبها مستمتعة بمذاق زواجي إلى حياة جديدة. إن حصل وتبقّى في حوزتي بعض النقود، كنت أستخدمها لابتياع أشياء ما كانت ضرورية على غرار قدور مزخرفة للنبتات ووحدات إنارة غير مباشرة، وأشياء أخرى. شيئاً فشيئاً زينّت شقة بوغي كي أعبّر له عن مشاعري نحوه.

كنت راضية. أتوجه يومياً إلى منزل الرجل الذي أحبه، أستخدم أفكاري الخاصة لأجعله أكثر حميمية وألاعب الهريرتين اللتين بدتا أكثر فتنة من أي وقت مضى. في النهاية كان لدي متسع من الوقت، وفي منزلي كان غير مسموح أن أقتني قطّة. إن رؤية الهريرتين كل يوم جعل تعلقي بهما قوياً على الرغم من أنهما ما كانتا في الواقع خاصتي. قلت لنفسي إنه كان من المخزي تركهما دون عناية لفترات طويلة واستخدمت ذلك كذريعة لقضاء أكثر ما يمكن من الوقت في شقة بوغي.

«لقد أتيت مجدداً إلى شقتي اليوم، صحيح؟»

«أجل»

«توقعت هذا، بدت الشقة نظيفة جداً ».

في بداية علاقتنا كان بوغي يتصل غالباً بي في منتصف الليل (أمي لحسن الحظ كانت تظل مستغرقة في نومها) فيروح يتحدث على نحو مشتت قرابة الساعتين حول موضوع ما تافه، لكني مع ذلك كنت أنتظر مكالماته بفارغ الصبر. بشكل عام كان يتصل بعد أن يكون قد احتسى بضع كؤوس وفي مزاج طيب. يكون عاد لتوّه إلى شقته وشرع مجدداً بالشرب.

كان يخبرني قائلاً «أني أشرب الهينيسوي» وهذه كانت واحدة من نكاته الخفيفة. كان يهوى تناول كونياك هينيسي مضيفا إليه الماء، والماء باليابانية تعني «سوي».

ومن هنا ركب كلمة هينيسوي. أو قد يقول «حضّرت لي للتو القليل من معكرونة شاروفيرا العصائبية الجاهزة وهآنذا أقوم بأكلها الآن. إنها الأفضل ألا توافقين؟ إن مذاقها يشبه تماماً ما يتوجب أن يكونه طعم العصائبية الجاهزة».

كان واضحاً أنه كان مجبراً على إطلاعي على كل تفاصيل ما كان يقوم به كي يتجنب الشعور بالوحدة. كنت أستمع إليه مثل أمّ وأتحدث قليلاً عمّا كان يجري في حياتي أنا بالذات، وفي بعض الأحيان كان يحصل له أن ينساق إلى النوم ويغفو فيما لا يزال ممسكاً سمّاعة الهاتف. في مناسبات أخرى كان يبادرني فجأة مقترحاً «أو ترغبين في المجيء إلى هنا؟ سأدفع أنا أجرة التاكسي. تعالي. هيا انطلقي!»

وهكذا مثل بغي التلفون الرخيصة كنت أقوم بهندمة نفسي وأتوجه إلى شقته. عند الثالثة أو الرابعة صباحاً تكون الطرقات خالية والرحلة من منزلي إلى شارع أزابو جوبان كانت تستغرق حوالي ربع ساعة لا أكثر.

بما أن معنويات بوغي كانت ترتفع وتنخفض حسب بورصة مؤشر اسهم نيكاي، فقد كان من الممكن أن يتأرجح مزاجه بشكل متطرف من يوم إلى يوم إلى حد يفرض عليك وصفه بالمكتئب الممسوس. حين يكون مكتئباً كان يتصل بي ويقول لي «لا تتعبي نفسك بالقدوم إلى هنا بعد اليوم. لقد انتهى كل شيء بيننا».

حسب وجهة نظر بوغي حين يكون فاقدا الثقة بنفسه، كانت ساذجة صغيرة مثلي مجرد متاع فائض.

كان يبادرني بالقول «لا تزالين فتيّة» ويضيف «ولا يجدر بك العبث مع واحد مثلي. أنا شخص سبق وأن انتهت حياته مرّة. عودي إلى حياتك السابقة».

كان يردد لي أشياء من هذا القبيل. لكن في حقيقة الأمر لم تكن حياتي السابقة تستحق العودة إليها. حسناً كانت تبدو ظاهريّاً جيدة، العيش مع والدتي والدراسة في جامعة يفترض أنها عالية المستوى. غير أن الحقيقة كانت غير ذلك تماماً، وعشيق أمي يحضر إلى منزلنا في أيما وقت يشاء، وأنا أعمل جزئياً في أحد نوادي غينزا الليلية الرخيصة من أجل كسب المال للعبث هنا وهناك، والقيام بين الفنية والأخرى من أجل استحصال مصروف الجيب بمضاجعة سكّيرين كهول وقرعان ما كنت حتى أهواهم، والخروج بصحبة فتيان لم يكن لديهم البتة ما يقولونه. كان الأمر برمته مضجراً إلى أقصى الحدود وكنت سئمة حتى الموت من المشهد برمته.

كنت أعرف أن بوغي كان لا يزال مستمراً في علاقته مع ماما سان غينزا، وكنت مدركة أنه على الرغم من أنه كان بوسعه الحصول عليّ دون مقابل، فإنه لم يتوقف عن استدعاء مومسات التلفون بين الحين والآخر. كنت أعرف أيضاً أنه كان يخرج بهدف التودد إلى كل مضيفة ليل قد يلتقيها. كنت أحياناً أعثر في أرجاء الشقة على أكسسوارات وكماليّات دارجة للزينة النسائية ملفوفة في علب هدايا صغيرة لم تكن مجلوبة لي.

لم أكن أمتلك أية مهارات جنسية لمضاهاة تلك التي عند النسوة المحترفات اللواتي كان يجول برفقتهن، كنت أستلقي وحسب مثل قطعة التونا أو السوشي فوق خشبة الطاهي للتهريم وأدعه ينجز الأمر. وتلقيت ملاحظات ما كانت قطعاً جنتلمانية إيجابية البتة على غرار «اللعنة، أنت تجهلين تماماً كيفية التصرف».

لقد كان بغيضاً، بوغي كان كذلك، إلا أنه على الرغم من ذلك كان التحدث إليه مبهجاً حين يكون ثملاً أو في مزاج طيب، ومع أني كنت أخرج برفقته مرتّين لا غير في الشهر فقد وهبتني تلك المواعيد برفقة بوغي أفضل البهجات التي عرفتها طوال حياتي.

اصطحبته إلى مقهى كافيه بارنيشي- أزابو في شارع مطاعم صغيرة كانت على الموضة في ذلك الوقت، غير أنها ما كانت تناسب مزاج بوغي. إلا أنه بكل الأحوال استمتع بتقليد تكشيرة وجه النادل الوقور الذي دوّن طلبيتنا. كان أحياناً يصطحبني إلى ناد ليلي حقيقي رفيع المستوى في شارع روبونغي لمعاينة الأنواع المتعددة من المضيفات هناك، وكان يدلي ببعض التعليقات المجتمعية التافهة «ماذا تفترضين بشأن هذين الزوجين؟»، «أعتقد أنه مصرفي وأنها ماما سان، ممكن؟» يحكى أن هذا الرجل هو رئيس شركة عقارية، لكنني أفترض من جهتي أن لديه تجارة أخرى بالإضافة إلى ذلك، وهكذا دواليك، ما إن يقفل النادي أبوابه حتى يصطحبني إلى أحد البارات التي تفتح حتى ساعات الصباح الأولى في شارع أكازاكا أو روبونغي حيث كان يتوجه موظفو النوادي الليلية من أجل الراحة والمتعة خاصتهم ومجدداً نروح نراقب الأزواج وننهمك في فضولية

مجتمعية تافهة هازلة. كان ذلك مسلياً إلى أقصى الحدود.

على الرغم من أني كنت قمت بتصرفات فاحشة في ما مضى، غير أني كنت لا أزال طالبة جامعية. كنت أعرف بعض الأمكنة حيث يهوى الشبّان أمثالي التسكع، ولدي فكرة تقريبية حول العيش كمضيفة من الدرجة الثالثة. غير أن بوغي كان متمرساً في حياة طوكيو الليلية. كانت بقعة انتشاره واسعة وتاريخه فيها طويلاً. كنت أعشق الإنصات إليه وهو يتحدث عنها.

يبدو أن بوغي كان شديد الذكاء في صغره إلى درجة أنهم كانوا يسمّونه الطفل المعجزة. كانت المدرسة مضجرة بالنسبة إليه لذا كان كرس جل وقته للعب البايسبول وألعاب الورق. «كنت بارعاً جداً في ألعاب الورق. نظفّت جيوب كل أولاد الحي فكانوا يذهبون ويبكون عند أمهاتهم اللواتي كن يوبخنني شر توبيخ».

حين أدرك الثانوية تعرّف بوغي إلى مباهج المراهنة على سباقات الخيل من الأولاد الأكبر منه، وفي الجامعة تدرّج إلى سباقات الدراجات الهوائية ولعبة الماجونغ. وطوّر أسلوبه، كان يكسب المال من لعبة الماجونغ ويراهن به على سباقات الدراجات. كانت الأمور لا تزال على هذا المنوال حين التقيته.

في الجامعة أول ما قام به بوغي هو تفحّص كل نوادي الماجونغ الموجودة حول حرم جامعة هيتوتسوباشي، ثم قام بعدها بالانتقال إلى جامعة أكبر في شينجوكو. في آخر الأمر وجد أنه حتى في شينجوكو لم تكن الرهانات عالية ما يكفي لإثارته، لذا انتقل إلى ناد خاص لكبار المقامرين في منطقة هيغاشي ناكالو القريبة. وأصبح مواظباً هناك وأخبرني

أنه يكسب تقريباً كل مصاريف حياته الليلية على طاولة الماجونغ.

تخرج بوغي من الجامعة وحظي بوظيفة في قسم التسويق في وكالة إعلانات كبيرة. لم يكن معاشه ليقارب الحدود الدنيا التي يمكن أن تحافظ على الترف الذي كان أصبح معتاداً عليه، لذا قام بالإضافة إلى عمله بتأسيس شركة طباعة صغيرة مستخدماً مركزه في الوكالة ليحّول بصورة سريّة قسماً قليلاً من العمل إلى شركته الخاصة. في خلال تلك الحقبة كان تعوّد التردد إلى نوادي غينزا الليلية. وبعد فترة تزوج من فتاة جميلة جداً كانت تعمل بشكل جزئي في الوكالة، ملكة جمال الجامعة سابقاً. انتقلا للعيش في شقة في منطقة شينجوكو حيث كان بدل الإيجار يوازي تقريباً معاش بوغي الشهري. بعدئذ وكان أصبح في التاسعة والعشرين من عمره، نقل فجأة إلى مكتب أوزاكا حيث لم ينسجم مع مديره وسرعان ما وقع في ورطة.

«لقد كان بخيلاً فوق التصور يا سايا. كان يصطحب فتياناً من المكتب إلى البار ويتوقّع من الجميع أن يدفعوا ثمن مشروباتهم. وبالفعل! كان الأمر أشبه بـ«عظيم لقد أترعتم، صحيح؟» وكان يحسب كم كان كل منّا يدين للبار. لم يكن في مقدوري أن أتحمّله أتفهمينني. وكان ينتقدني باستمرار مثرثراً هراء بلا انقطاع طوال اليوم. أولعت بارتياد ذلك النادي في شارع شينشي، وبعد ستة أشهر أصبحت مديناً بخمسة ملايين ين، وكان هذا مبلغاً ضخماً في تلك الأيام. حاولت أن أسترجعه من خلال التلاعب في سوق البضائع».

«قلت سوق البضائع؟»

«بربك ما هذا يا سايا. ألا تعرفين ما هو سوق البضائع؟ يا لهذه

السذاجة! وكأني برفقة راهبة أو لست أدري ماذا! إنه سوق صفقات الفاصوليا والمطاط وأشياء من هذا القبيل. التلاعب بأسهم هذا السوق خطير جداً. على الرغم من ذلك قرّرت أني سأفلح لأني كنت فطرياً محظوظاً؟ غير أني أخفقت.. وأخفقت بطريقة كارثية كان رجال مافيا ياكوزا يقرعون بشدة بابي مطالبين بأموالهم. أرسلت زوجتي والأولاد إلى عند أهلها للحفاظ على سلامتهم. طاردني محصّلو الديون ولاحقني أنسبائي طالبين دمي. لم يعد لدي أي مكان ألجأ إليه. يا للورطة!»

روى بوغي الحكاية كما لو أنها كانت مزحة كبيرة كما عهده على الدوام، غير أني أعقل من أن أخدع بالمظاهر. كانت تلك ربما الفترة التي حاول بوغي من خلالها وضع حد لحياته. حيث أمسى عرضة لإرهاب سفاحي مافيا ياكوزا وهو عاجز عن القيام بأي شيء حيال ذلك كان بالتأكيد بمثابة صفعة رهيبة لكبريائه.

غالباً ما كان يردد على مسامعي «يا سايا قد تكون الحياة بمثابة قتال وشاقة وكل ما هنالك، لكن مهما فعلت إياك التخلي عن الدراسة الجامعية. مهما كانت ماهية الحياة التي سوف تعيشيها لاحقاً، ما دمت تخرّجت من جامعة جيدة، فسوف تدركين في أعماقك أنت لست الأسوأ بين البشر. خذيني مثالاً»، فبفضل أني خريج جامعة هيتوتسوباش استطعت أن أؤمن بأني مختلف عن الأشخاص الآخرين». كان معصما بوبي يحملان ندوب ثمانية جراح، أربعة في الأيسر وأربعة في الأيمن. كانت السنوات قد جعلتها بالكاد مرئية بيد أنها أظهرت لي بجلاء شدة الوحشية العصيّة عن الوصف وعذابات أسلوب حياة بوغي.

لسبب ما أجهله صرت مربوطة بهذا الرجل، لربما تحديداً لأنه كان

كما هو تحديداً أحسستني منجذبة إليه. لحظتما أبصرت تلك الندوب قررت في قرارة نفسي أني لن أتخلى عنه بأي شكل من الأشكال. كان قلب بوغي ممزقاً إرباً حينما عمل تلك الجروح البليغة في معصميه. كان لا يزال مجروحاً في الصميم، وأسير مأساة تعجز الكلمات عن وصفها. سوف يتوجب القيام بشيء ما حيال ذلك، وسأكون أنا من سيفعله.

حاجته إليّ كانت كذلك عزائي الأكبر. أخيراً وجدت ملاذاً، الملاذ الوحيد لروحي القلقة.

لذا، أجل وحينما أستدعى أطير لأكون إلى جانبه، حتى في منتصف الليل. بالطبع لا يمكن جعل الكثير من الفتيات يخرجن بكامل زينتهن في الثالثة أو الرابعة صباحاً والركوب في سيارة تاكسي وطلب التوجه إلى مكان ذي سمعة مريبة مثل حي أزابو جوبان. كان سوّاقو التاكسيات يستخلصون استنتاجات واضحة ويسعون أحياناً بإلحاح إلى ابتياع مضاجعة سريعة.

على أيّة حال، كنت أخرج من التاكسي أمام البناية في حي أزابو جوبان وأركب المصعد إلى شقة بوغي. كنت على الدوام أشعر بالحزن حين أذهب إلى هناك. على الرغم من الازدراء الذي كان يعامل به النساء فقد كان بوغي شخصاً وحيداً بكل ما للكلمة من معنى. كان عموماً يبتاع حاجاته اليومية من الدكاكين التي تفتح طوال الليل، وكان يبتاع زوجين من كل شيء، تجد منشفتين مضجرتين، فرشاتيّ أسنان، كوبين بلاستيكيين، فانيلتين من النايلون وحتى عبوتي شامبو وبلسم للشعر مماثلتين. وكان يدون على كل زوج بالألوان «له» و «لها». تكون الكتابة على إحداهما زهرية وعلى الأخرى زرقاء، أو تكون إحداهما

بالأحمر والأخرى بالأخضر.

كان يفسّر لي قائلاً «الرجال حيوانات أنانية» ويكمل «نرغب في وجود النساء ولكن فقط حين يناسبنا ذلك. أما في ما تبقى من الوقت فهن مزعجات، نرغب في أن ندلّل ولكن فقط حين نكون في المزاج المناسب. لهذا ما عدت أود مشاطرة عيشي مع شخص آخر. لقد قررت أن أعيش وحدي».

كان يردد هذا الكلام، ولكن بالطبع لم يكن فعلياً مرتاحاً في العيش وحيداً. اتصالاته الهاتفية الليلية وعادته في التسوق دوماً لاثنين، وبطاقات أرقام هواتف مومسات الهاتف، كل هذه كانت تشهد على ذلك.

ذات ليلة تلقيت اتصال الاستدعاء المعتاد وسمعته يغنّي في الحمام حين وصلت.

«يا غرامي، كن قريباً مني، عانقني فأنا خدرة بفعل البرد..».

كانت واحدة من أغاني ما يومي اتسويا العاطفية. عادة لكان ذلك أضحكني، غير أنه كان ثمة في جلوس بوغي في حوض الحمام وغنائه هذه الأغنية الحزينة وبجديّة تامة، ما خرقني في الصميم ووجدتني انفجر بالبكاء. باب الحمام كان مفتوحاً قليلاً وكان بمقدوري رؤية وجه بوغي جانبياً. بحق السماء لقد كان هو أيضاً يبكي.

«بوغي؟»

«سايا، أهذا أنت؟ أتودّين الانضمام إليّ في حوض الاستحمام؟»

دخلت في الحوض بمعيّته. لم أكن فتاة ضخمة وتكيّفت متضامة بين فخذي بوغي. متشبثة بتلك الطريقة انغمست في المياه الدافئة.

«آه هذا رائع!»

غسلت بالصابون ظهره العريض وبالشامبو شعره. وعلى غرار مدلّكة في حمام حقير للسونا غسلته من رأسه حتى قدميه. أحببت غسل جسم بوغي.

حين خرجنا من المغطس وشرع كالعادة في احتساء الـ«هينيسوي» بدا بوغي بالكلام.

«اليوم تصادف الذكرى السنوية لموت زوجتي».

عجزت عن الإجابة.

«يمكن أن تعتبري أني قتلتها في الواقع بعد إفلاس وكالة السفريات في كوبي. أقمنا مع الولدين عند أهلها موقتاً إلى أن أكون قد رتّبت أموري. كانت عائلتها تملك شركة تجارية في كوبي. أنزلونا في حجرة مكتب الإدارة أتتخيلين ذلك؟ ومن يوم مضجر إلى آخر توجب عليّ أن أتحمل نق الأقارب، إلى أنني ما عدت في النهاية أستطيع التحمل البتة. فجئت إلى طوكيو وقلت لزوجتي إني سأعود لاصطحابها ما إن ارتب أموري. في الواقع، كما تعرفين سرعان ما انتهى بي الأمر مساكناً تلك الماما سان».

اختلست مرّة نظرة إلى صورة زوجة بوغي المتوفاة التي كان يحتفظ بها في علبة بطاقاته المهنية. وكما يتوقع أن تكون ملكة جمال سابقة للجامعة ألفيتها رائعة الجمال. كان في الوسع أن تكون ممثلة. الظاهر أن ما دفعها إلى الانتحار كان إفلاس بطاقة الاعتماد المصرفية خاصتها.

تابع «لقد دمرتها» وأضاف، «بسببي لم يعد بإمكانها عيش حياة اعتيادية. استطاع محصّلو الديون إيجادها، وكانت عاجزة عن القيام

بإرسالهم إليّ لأنها كانت تجهل محل إقامتي. لذا توجهت باكية إلى عند والدها، غير أن الرجل الكبير البخيل رفض أن يمد لها يد العون. وفي الليلة نفسها قتلت في حادث اصطدام، الظاهر أنها كانت تقود سيارتها وهي ثملة. حتى ولو لم يكن ذلك على وجه الدقة انتحاراً، فإن الأمر بالحالين إلى حد بعيد سواء».

كان بوغي يبكي. لم يكن مضى على موت زوجته سوى سنتين، وساعد هذا في تعليل كآبته وبهجته المتكلفة ما بين الحين والآخر.

«أتعرفين، كنت أعشقها فعلياً. ثم حدث ذلك للأسف. منعوني من حضور جنازتها. لم يسمحوا لي حتى برؤية الولدين. كنت أفكر أني سوف أتمكن قريباً من التوجه إلى هناك وجلبهما.».

كانت مضنية مشاهدة الرجل الذي أحبه يبكي علانية امرأة أخرى، لكن المشهد جعلني أكثر تصميماً لأن أكون أنا مخلّصته من تعاسته.

تلك الليلة، لاطمئنان البال وحسب، ظللت مستيقظة وسهرت على بوغي قرب سريره في حين كان هو نائماً.

«كيموكو... آه كيموكو..».

لا بد أنه كان اسمها ما راح يئنّه في نومه.

في صباح اليوم التالي استفاق بوغي رجلاً آخر متحوّلاً. ارتدى ملابسه بسرعة وجعل يستعد للتوجه إلى العمل، وبينما كان يعقد ربطة عنقه استدار باتجاهي وبادرني بالقول مبتسماً، «يا سايا أوتتلطفين وتسمحين لي بالحصول على خصلة من شعرك؟»

«موافقة» أجبته بإبهام، «لكن ما حاجتك إليها؟»

أجابني «فأل جيد امتلاك شعرة عانة امرأة في جيب القميص»

وأضاف «اليوم سوف أشن معركة لأنتقم لموتها!»

فغرت فاهي مشدوهة ونسيت إطباقه.

مهما يكن الابتلاء الذي أصابه، فقد كان بوغي دوماً يحاول حل المشكلة من خلال القيام بما يهوى القيام به. كانت تسحرني جرأته. ومجدداً اكتست أرجاء الشقة برباطات ممزقة كانت تشد حزم مبالغ كبيرة من النقود. مطمئنة غرقت في النوم إلى جانب الهريرتين.

استفقت عند الغسق. عاد بوغي وبدا مثبط الهمّة.

أعلن قائلاً «لقد خسرت مليوني ين» وتابع «إنها لعنة زوجتي الراحلة، هذا كل ما في الأمر».

*

جاءت عطلة الصيف، كنت وبوغي عملياً نعيش معاً. كانت أمي قالت لي إني إذا دخلت جامعة محترمة فباستطاعتي بعد ذلك القيام بما أشاء. ووفاء لوعدها ما كانت البتة تنتقد أسلوب حياتي طالما ظللت مثابرة على حضور المحاضرات الجامعية. في الواقع بدا أنه أفضل بالنسبة للجيرة إن أنا سكنت خارج المنزل وظهرت بين الحين والآخر في وقت محترم خلال النهار عوض أن أفعل ذلك فجراً كل يوم.

في غضون ذلك الوقت أخبرتها بشأن بوغي. بالطبع لم يسرّها كثيراً ارتباطي بعلاقة مع مقامر من الطراز الأول يكبرني بما يضاهي ضعف سنّي. كانت تدرك أن ثمة لا أمل في أن تستطيع ردع ولَه فتاة صغيرة مثلي، غير أنها كانت تطالعني في أية مناسبة بمواعظها.

«لا يجدر البتة أن تكون لك علاقة بمقامر. قد يحظى المقامر بربح

واحد كبير بيد أنه سيبدد بالمقابل حظ حياة بأكملها».

أجبتها «لا تقلقي يا أمي» وأضفت «ما رأيت بوغي البتة مرة رابحاً في المقامرة».

كان هذا مبدئياً صحيحاً. حسناً، لربما كان ربح في فترة من الفترات مبلغاً كبيراً نسبياً، لكنني كنت موقنة أنه كان يخسر أكثر، أكثر بكثير مما كسبه. كل تلك المبالغ التي كان يبذرّها في كل مكان كان مصدرها العلاوات الكبيرة التي كانوا يدفعونها له في شركة كابوتوشو جورنال. كان بوغي هو التجسيد الحيّ للمثل الياباني القائل «المكاسب الحرام سرعان ما تتبدد».

كل مساء تقريباً كان بوغي في طريق عودته إلى المنزل يعرّج على أحد النوادي الليلية في شارع روبونغي.كان هناك كل أنواع النوادي الليلية في روبونغي، لكن تلك التي كان يفضلها بوغي كانت تكلف زيارتها الواحدة خمسين ألف ين. كان بدل إيجار شقته في أزابو جوبان ثلاثمائة ألف ين شهرياً. وكان يتعشى على الدوام في أحد المطاعم الفاخرة، ليلة في مطعم ياباني، وفي مطعم كوري أو صيني في الليلة التالية، الكثير من أجود أنواع السوشي، هكذا كان أسلوب حياته.

مبدئياً كان يحيا بطريقة كانت ممكنة فقط بشكل سريع الزوال في نتوءات الفورة الاقتصادية. كان بوغي رائع التصرف لا يمكن أن يقوم أو يتلفظ بأي شيء بذيء، غير أن زملاءه كانوا مبتذلين. مرّة اصطحبني بوغي لاحتساء الشراب برفقتهم، ولن أنسى البتة سلوكهم المثير للغثيان.

لعلها كانت بلا ريب عشيّة إحرازهم كسباً كبيراً مفاجئاً. أظن أنه

حين يرتبط عمل الأشخاص بمخاطرات عالية لا بد وأن يتفجر الضغط النفسي حين يحظون بيوم عظيم. لم أكن أعرف الكثير عن العمل الذي كانوا يقومون به، وحتى ولو أخبروني فما كنت لأفقه، لذا لم أكلف نفسي عناء الاستفهام لكن غالباً ما شرح لي بوغي بهذه الطريقة، «ما أقوم به بالكاد شرعي. لكن الجميع يفعله إن كانوا يرغبون فعلاً إحراز مكاسب كبيرة، وأولئك الذين يلقى القبض عليهم هم الحمقى. باختصار هم مجموعة كبيرة من الطمّاعين المحتشدين في أمكنة بشعة، محاولين الاستيلاء على أموال أحدهم الآخر. إذاً هل ثمة من يحق له نعت الآخر بالباطل؟»

كان ثمة لا ضير لربما لو أن بوغي كان قادراً على ادخار بعض ما كان يكسبه حين كان يحرز المكاسب الطائلة، ويوظفه في تجارة أكثر جدارة بالاحترام يمكن أن تتيح له في نهاية الأمر الخروج من هذه الحياة، وهو أمر لطالما تطرق إليه. لكن في النهاية ما كان يفعل سوى تبديد ماله في النوادي الليلية والمقامرة. كنت أدرك الحقيقة القاسية التي لا مفر منها... إن عملي الوجيز في مجال الضيافة الليلية بيّن لي أنه حين يتدفق المال كالمياه، فسوف لن تبقى قطرة واحدة في الدلو. إنها قاعدة في عالم الليل.

كانت تسنت لي نظرة خاطفة إلى الطرق المجنونة المحزنة التي كانت لزملاء بوغي في العمل مع المال وذلك ذات ليلة في بار كاباريه في روبونغي، حيث استخدموا سلطة المال للسخرية من الندل وتحويلهم إلى سعادين مهّرجين.

ارتدى كل الندلاء بذلات وربطات عنق سوداء أنيقة وكانوا شباناً

من عمري تقريباً. كان بعضهم في الواقع تلامذة جامعيين يعملون في وظيفتين. لربما كانوا يعملون في مكان كهذا من أجل تأمين تكاليف الميول الباهظة لفتاة ما متكبّرة على غرار ما كنت أنا بالذات، كانوا جميعهم مسفوعين وبدوا من ذلك النموذج بالذات. جعل بوغي وزملاؤه يناولون الندل مبالغ ضخمة من البقشيش، وكان ذلك يحولهم إلى مخبولي بقشيش.

كانوا يعجّون حول حفلة بوغي وجماعته مثل نمال عثرت على شيء ما حلو المذاق.

انبرى كنجو قائلاً «حسناً إذاً!»، وهو يعرف لدى بوغي وصحبه باسم كن كن، «سوف أضع بعض النقود وبعض البراندي في دلو الثلج هذا، وفي وسع كل من يتجرّع كل البراندي بجرعة واحدة الحصول على النقود».

بعدما أعلن ذلك أفرغ كن كن ببطء ما يقارب قنينة مليئة من براندي ريمي مارتان داخل الدلو. ثم رمى فيه حفنة من الأوراق النقدية من فئة عشرة آلاف ين.

«آاوه!» كاد الندلاء يدركون هزّة الجماع.

«سأقوم بذلك!»

«لا، أنا من سيفعل ذلك، أنا! أنا!»

كانوا يتعاركون للاستحواذ على دلو الثلج.

همهم بوغي باهتمام قبل أن يبادر «ماذا لو نرفع الرهان؟»

«ممتاز، هيا نلهبه بعض الشيء».

مردداً ذلك راح يقذف بعض الأوراق الإضافية من فئة عشرة

آلاف ين داخل الدلو.

توهجت أعين الندلاء تلهّفاً. افترض أنها كانت مسألة مزاح ثمالة سمجة تمادت بعض الشيء أكثر من اللزوم، غير أني كنت لا أزال مندهشة كيف أنهم لم يخجلوا وهم يتقاتلون لتجرّع دلو الثلج مباشرة أمام فتاة من عمرهم. ولكن أظن أني لم أكن لحظتها ضمن مجالهم البصري.

ها هم في الخدمة في بذلاتهم السوداء التي زودّهم بها مستخدمهم، يتجرّعون جرعات كبيرة من شراب البراندي من دلو ثلج للزبائن تتمايل فيه أوراق نقدية قذرة لا أحد يدري كم لمستها من الأيادي القذرة، كل هذا وسط نوبات من الضحك الثمل لبعض الزبائن الأكثر إثارة للريبة. إلا أني كنت أفهم جيداً جداً توقهم إلى كسب المال سريعاً وبأية وسيلة ممكنة، ولكني أجد بالتأكيد أن قبض النقود لقاء مضاجعة مقامر أصلع كبير في السن مولع بك كان أفضل من هذا!

في الوقت نفسه اجتاحتني موجة من الحزن إذ أدركت أن بوغي نفسه هو أحد أعضاء هذا العالم. مهما كان كمّ المال الذي يكسبونه فإن أصدقاء بوغي كانوا يتصرفون بأحقر أنواع السلوك الممكنة. سلوك كن كن مع المال كان بشكل خاص قذراً وحين كان بوغي يجالس هؤلاء الرجال كان يصبح مباشرة مبتذلاً وجلفاً. لربما كان يفعل هذا في جزء منه لتحاشي إفساد لهوهم، ولكن حتى وإذا كان الأمر كذلك فلقد أقلقني ذلك التحوّل.

أجهز أحد الندلاء أخيراً على ما تبقى من شراب ريمي مارتان وسقط منهاراً على الأرضية. مستغلين الإرباك قام الآخرون بحشو أوراق

العشرة آلاف ين في جيوبهم وبدأوا بترتيب المكان. صحوت فجأة وخطر لي «لا يجوز أن يتورط بوغي في هذا النوع من الأمور».

لم تكن لديه أي دراية في كيفية استخدام النقود. إذا كان سيقوم برميها في كل مكان كأوراق المهملات فسيكون أفضل بكثير إن توليت أنا أمر إنفاقها لمصلحته. الواقع أن بوغي هذا بالذات كان غالباً عاجزاً عن دفع فواتيره المنزلية. غالباً ما كانت تقطع الكهرباء بسبب عدم الدفع وكذلك الغاز والتلفون وحتى المياه. إبان عطلة نهاية الأسبوع كان يخسر في المقامرة كل النقود التي تكون في حوزته ليمسي مفلساً فعلياً. كانت الشقة لا تزال تحوي المفروشات الفظيعة إياها التي كان ابتاعها حين انتقل إليها ولا شيء آخر.

ذات يوم، ولم تكن أول مرة، صدف أن لاحظت بعض رزم النقود فوق الخوان إلى جانب التلفاز. كانت كل رزمة تضم مليون ين. قلت في نفسي «ها قد حانت لي الفرصة» وواجهت بوغي.

«يا بوغي ما دمت تملك كل هذه النقود الملقاة ههنا ما رأيك لو نبتاع أريكة أفضل بعض الشيء؟»

تفاجأ بوغي فرد قائلاً «أتقولين أريكة أفضل؟»

«إذاً تفترضين أن هذه ليست أنيقة كفاية، أو أنها بشعة أو شيء من هذا القبيل؟»

«في الواقع ليس بالوسع إنكار هذا».

«همم.. أعتقد أنك لربما محقة. لقد ابتعتها لأن البائع في متجر المفروشات نصحني بها».

«هذا ما خطر لي».

«لكن يا حبيبتي سايا، لست أنا الأسوأ في هذا المجال. أتذكرين اوتا، ذلك الشخص المسؤول عن تلك الحجرة حيث كنت تعملين؟»

«أهو ذلك الرجل القصير السمين الكبير في السن الذي أعجب بي وعمل على نقلي إلى الغرفة حيث كنت تعمل؟»

«هو بالذات، في الحقيقة ينبغي أن تري شقته. لديه شقة بديعة في ليكورا كاتاماشي تحوي حجرة جلوس هائلة، مساحتها حوالي خمسمائة قدم من أرضية الباركيه، غير أنه لم يكن يدري ماذا يفعل بكل تلك المساحة. أتدرين ماذا فعل؟ قسّم بقاطع زاوية منها ووضع فيه كوتاتسو».

الكوتاتسو عبارة عن طاولة قصيرة الأرجل تتضمن أرضيتها سليكات كهربائية كي تدفئك في الشتاء. من النوع الذي يستخدم في حجرة صغيرة ضيقة في بيت خشبي قديم. كانت إلى حد بعيد في غير محلها داخل شقة فخمة ذات تدفئة مركزية، كان هوتا قد أنشأ لنفسه كوخ فلاح صغير وسط قصر.

«حقاً؟»

«أجل وللأسف».

لوهلة عجزت عن إيجاد الكلمات المناسبة. لم يكن لدى أولئك الأشخاص في تلك الشركة أي فكرة حول كيفية إنفاق المال. لهذا السبب كان ينتهي بهم الأمر ممارسين بواسطته ألعاباً سخيفة، ومستعملين الأوراق النقدية وكأنها أوراق مرحاض. إن أشخاصاً على هذه الشاكلة يمكن أن يحظوا بأموال طائلة وسوف لن تنفعهم في النتيجة بشيء. لم

يكن بوغي شخصاً متنّوقاً يمتلك ذائقة عصرية ولكنه كما قال لم يكن الأشد سوءاً.

فعلياً كان ذلك صحيحاً، إذ إن محل إقامة كن كن كان أيضاً صرحاً للذوق الرديء. كان يعيش مع تلك المضيفة من روبونغي وكانت هذه الأخيرة قد زخرفت الشقة على الطراز التي تهواه، الطراز البحريّ. كانت الجدران مفسطنة بصور فوتوغرافية تافهة كبيرة لجزر الهاواي والمراكب الشراعية. حتى الحمّام احتوى رسماً شاطئياً مكرّراً وأجزاء صغيرة من شبكة للصيد وطافيات زجاجية معلقة على الجدار.

«على أيّة حال يا بوغي، رجاء فلنحضر أريكة؟»

أحسستني أشحب قليلاً، لم أستطع تحمل خاطر أنه ينتمي إلى الفئة نفسها تلك التي ينتمي لها أولئك الرجال.

اقتنع بوغي وقال «موافق» وارتسمت علامات التصميم فوق كامل وجهه «اذهبي وانتقي واحدة جميلة واحضري لي الكرّاسة».

انطلقت واثبة فرحاً إلى مبنى فوروم روبونغي قاصدة متجراً كنت راقبته بعناية طوال فترة. كان يبيع مفروشات مستوردة رفيعة المستوى، وبين القطع العديدة البديعة الموجودة كنت لاحظت أريكة جلدية إيطالية كانت أروع من الأخريات. بالمعاينة ثبت أن السعر أقل قليلاً من مليوني ين. ممتاز! واضح أنه كان مقدّراً لنا أنا وبوغي أن نبتاع تلك الأريكة. كانت أنيقة ولا تبدو مصممة بشكل واضح لأشخاص شبان ولا لكبار السن، وكانت مريحة جداً، ومن غير الممكن أن يلتصق بسطحها الأملس وبر شعيرات القطط وكان حجمها مناسبا تماماً للشّقة. يا لها من لقية!

عدت إلى القاعدة قابضة بإحكام على الكرّاسة اللمّاعة المليئة بالصور والمواصفات. ألقى بوغي نظرة وحيدة إليها ولم يسرّه ذلك.

«مليون وثمانمائة ألف ين؟ لا بد أنك تمزحين! لا يمكن أن ينفق المرء هذا القدر من المال على قطعة من المفروشات!»

فجأة بدا لي أشبه بأحد باعة معلومات المراهنات السرّية المحتالين الذين يتسكعون قرب مراكز المراهنات خارج مضمار سباقات الخيل.

«لكن يا بوغي أنت تبدد هذا القدر من المال في يوم واحد في مضمار سباق الدرّاجات».

«آه بحق السماء، أنت لا تدركين فعلياً ماهية المسألة، أليس كذلك؟ مهما أنفقتِ من المال على شراء الأسهم أو مراهنات سباق الدراجات، ثمة على الدوام فرصة لأن تسترجعي عشرة أضعاف ما أنفقتِ، صحيح؟ والآن أخبريني، كيف بوسعك كسب المال من أريكة؟»

«حسناً لا يسعك كسب المال من الأريكة، لكن أيضاً يستحيل أن تخسرها وحسب، إلا إذا احترق المنزل. وهي قطعة جميلة».

لم يكن لجوابي أي وقع. ارتسم على وجه بوغي تعبير يعلن بجلاء «لا أستطيع أن أتحمل مزيداً من الحماقة من هذه الغبية الصغيرة». غرف المليوني ين وتوجه مباشرة إلى مضمار سباق الدراجات وخسر المبلغ بكامله في ما بعد الظهيرة تلك بالذات.

ما كان بوغي يمضي طوال النهار في مضمار السباقات. كان يحضر دورة ما بعد الظهيرة ويمكث هناك وحسب الوقت الذي يتيح له التمتع بإثارة السباق الأخير. لذا كان يبقى هناك لمدة ثلاث ساعات فقط. ثلاث ساعات، ومليونا ين تتبخر مثل نفخة دخان!

«اسمعيني جيداً يا سايا، الوقت المناسب لابتياع مفروشات أنيقة هو حين تملكين منزلك الخاص، المكان الذي تحبينه فعلياً. ثمة لا معنى في القيام بشراء مفروشات لشقة مستأجرة مثل هذه لأنه عاجلاً أم آجلاً سوف يتوجب عليك الانتقال منها. بالنسبة لمكان مثل هذا فإن مفروشات من متجر بوشيزونا كافية وافية.

«غير أنها بشعة جداً».

«يا سايا في يوم من الأيام سوف أشيد لك منزلاً جميلاً، حديث الطراز مثلما تحبين».

«حقاً؟»

آخ من براءة الصبا!

«في الواقع لقد ترعرعت قرب شاطىء شونان، لذا قد أرغب لربما في منزل في مكان ما قرب البحر. لا بأس بمنطقة أوداوارا، ثمة مضمار لسباقات الدّراجات هناك، وفيها بالطبع ينابيع مياه حارة. وبالوسع الوصول إلى طوكيو عبر الاوتوستراد في وقت قصير. على أيّة حال، بوسعي القيام بكل شيء من المنزل، كما تعرفين أستطيع التلاعب بأسهم البورصة بواسطة الكومبيوتر تماماً مثل ذاك المدعو غينزو كوريكاوا، هل سبق وسمعت بغينزو كوريكاوا؟ ذلك الرجل الذي يسمونه «آخر المضاربين العظماء؟»

«يا للروعة!»

أيامذاك كنا أنا وبوغي نمتصّ أحلامنا مثلما يمتص الواحد حبة الكراميل. إن تحقيق تلك الأحلام كان بالطبع يقتضي الصبر والمثابرة والكدح على مدى فترة طويلة، ولكن في ذهنينا لم يكن هناك مكان

لتلك الافكار الواضحة اللامغرية.

«ما إن أوفّق بكسب كبير حتى ابتاع منزلاً قرب الشاطىء. وسوف أقوم بمراهناتي بواسطة الكومبيوتر، لذا سيكون من السهل علينا كسب عيشنا. وما إن نستقر حتى أقوم بكتابة رواية غير أني لست متعلقاً جداً بهذه الفكرة إلى درجة أن تعاني زوجتي وأولادي جراء ذلك، على غرار شيغيو «الرجل الطاعن في السن». سأقوم فقط بالانغماس فيها حين تصبح الأسس المادية ثابتة بشكل راسخ. سوف أكتب واحدة كلاسيكية حقيقية حول زمننا هذا. ما رأيك يا سايا؟»

كان بوغي معجباً كثيراً بالمؤلف كنزو كيتاكاتا. كان يشتري كل قصص الجرائم القاسية الواقعية لحظة نزولها في المكتبات. وكان مولعاً بمواضيع الـ«غندورية» و «الجمال الذكوري» وكان يشمئز بشكل فظيع من أساليب الحياة اليومية المحترمة.

كانت محفظة جيبه الخمرية اللون تحوي باستمرار ما لا يقل عن نصف مليون ين وأحياناً ميلونا ين». كان محظراً عليه امتلاك بطاقة ائتمان مصرفية لكونه كان مدرجاً على اللائحة السوداء بسبب كل الديون التي كان تهرب من دفعها حين عبث وأخفق في سوق أسهم السلع. كان بالإمكان على الدوام الاستدلال إلى أشخاص مثل بوغي من خلال محفظة الجيب المكتنزة المنبثقة من جيب البنطال الخلفي مثل مصبّع سمين ضخم من الشوكولا، إنها فخرهم ومجدهم وسمتهم الأساسية المتمايزة.

إلا أن العجيب في الأمر أنه على الرغم من نفوره الشديد من أسلوب الحياة المحترم، فقد كان بوغي يريدني على الدوام أن أكون مثالاً في

اللياقة. كان يودني أن أطيل شعري وأبدو أشبه بابنة عائلة معصومة من الطبقة الوسطى. على الرغم من أنه كان يميل إلى الحسناوات البارعات الشبيهات بممثلته المفضلة كيواكو تاييشي، كان باستمرار يطلب مني أن ألبس باحتشام «لأنك مختلفة عن فتيات البارات تلك». كان ذلك في الواقع يروقني إذ وراء تلك الكلمات كنت أستشعر ذلك الإحساس المنحرف قليلاً بالكبرياء والشرف الذي يمّيز العبث السطحي عن الحب الحقيقي.

في ما يختص بشؤون القلب كان بوغي رجلاً يابانياً تقليدياً، كان يريد زوجة قديسة وعاشقة عاهرة.

قال لي «أتعرفين حين التقيتك في البداية قلت في نفسي «هذه الفتاة مغفّلة بعض الشيء»»، وأضاف «أستطيع أن أطلعك على ذلك الآن لأنك لا تأبهين، صحيح؟ ثم ذكر أحدهم أنك طالبة في جامعة ساكورا للإناث، فخطر لي «الحق الحق ليس بالوسع فعلياً الحكم على المظاهر». ردد هذا وانفجر بالضحك. بقدر ما كان فخوراً بكونه هو نفسه خريج جامعة راقية، فقد كان مسروراً بواقع أني كنت طالبة لائقة في واحدة من أفضل الجامعات سرّني أن ذلك كان يغبطه. خطر لي «أنا سعيدة بكوني أدرس في جامعة ساكورا للإناث» كانت المرة الأولى التي يمر فيها ببالي ذلك الخاطر.

*

كنت سعيدة. إبان تلك المرحلة كنت مغفلة كليّاً كم من الخطورة التورط في حياة بوغي. كنت وحسب سعيدة بأن أكون بمعيّة الرجل الذي أعشقه، مغتبطة بإحساسي بأن ثقته بي تزداد شيئاً فشيئاً وأنه

يعاملني بمزيد من اللطافة والدماثة. بالكاد فكرت في أي أمر آخر.

حلّت عطلة الصيف مجدداً، وتعودت السكن طوال الوقت تقريباً في شقة بوغي. حتى أني أطلت شعري أكثر وخضعت لحمية. كنت أعرف أن بوغي مولع بالنساء النحيلات طويلات الشعر ذوات الجمال التقليدي.

خلال تلك المرحلة ترك فجأة وظيفته في شركة «كاتوبوشو جورنال». اضمحل كل التوتر المرتبط بالعمل وأصبح بشكل عام أكثر لطفاً وحلو المزاج طوال الوقت. حين كان لا يمارس لعبة الماجونغ كنا نخرج لتناول العشاء وقضاء الليل متنقلين بين البارات. مع ذلك كنت أكثر سعادة، ما كان يجدر ببوغي العمل من شركة مريبة والتجوال مع أشخاص غريبي الأطوار. كان قراره بترك الوظيفة صائباً ولقد أفاده ذلك. كنت على يقين من ذلك.

بما أن بوغي كان يهوى البحر غالباً ما كنا نذهب معاً إلى صيد الأسماك. مرة وفقنا برف ضخم من أسماك الاسقمري وصدنا قرابة عشرين سمكة بالغة الصغر بالكاد احتوت أجسامها دهناً. لم تكن صالحة للأكل لذا وهبناها كلها إلى «الطاعن في السن» الذي كان كما العادة يصارع للإبقاء على دخل غذائيّ كاف. استطاع هذا الرجل أخيراً بطريقة ما نشر روايته الأولى، غير أنه كان لا يزال بعد عاجزاً عن تأمين قوته.

كنت سعيدة، الآن بما أننا أنا وبوغي نقضي الكثير من الوقت معاً، فقد كان يحدثني بصدق أكثر وبحميمية. كانت حياتنا الجنسية أيضاً تتحسن. ما كنت أدركه من هيجان ما كان ليتيح لي المثابرة على وضعية سمكة التونا الميتة.

قال لي مرة «يا سايا هل تعرفين أن الأجساد البشرية تتآلف في ممارسة الجنس؟» وتابع «إن جسدك أصبح متعوّداً أكثر على جسمي، ولسوف يصبح الجنس بعد أفضل. سرعان ما ستعجزين عن مضاجعة أحد آخر».

كان محقاً. فلقد خبرت للتو أحد أهم الحدوثات الضئيلة المهمة في حياتي... هزّة جماعي الأولى.

حين حدث ذلك تأثرت بالغ التأثر إلى درجة أني انفجرت بالبكاء. وسألت نفسي بكل جديّة، بحق السماء ما الذي كنت أفعله طوال ذلك الوقت.

«سايا سوف لن أخبرك ماذا تفعل «كابوتوشو جورنال» لأنك سوف لن تستوعبي ذلك، ولكن صدّقيني إن تلك الشركة سائرة نحو ورطة. سوف تعتقل الشرطة رئيسها يوماً. كنت أتوقع ذلك قبل أن أترك، ولذلك رفضت الانضمام إلى مجلس الإدارة. كنت فحسب هانئاً بكسب بعض المال السريع في حين كانت الفرصة متاحة، هل سمعت بشركة «توميتا ترايدينغ»؟

«أبدا، ما هي؟»

«إنها الشركة حيث عملت قبل «كابوتوشو جورنال». هاتان الشركتان خطرتان.

«همم... مذهل».

«يبدو أنه من الصعب جداً أن يحدث فيك أي أمر تأثيراً».

«حسناً، ماذا يفترض بي أن أقول؟»

في الواقع لم يحدث البتة أن فكرت ببوغي كرجل ذي جانب مشبوه

في حياته المهنية. العمل كان عملاً والمال مالاً والرجال رجالاً وحسب والنساء نساء... ونقطة على السطر.

«في الواقع بوسعك إبداء بعض الاهتمام! تايكو على سبيل المثال ذاك الذي كان يعمل في المكتب.

وردد مقلداً فأفأة تايكو المرتبكة «لعل السيد هو هو هوتا في خطر شديد!»

«حسناً إذاً.. قد يكون بو بو بوغي عرضة لخطر فظيع! أيرضيك هذا؟»

«بصدق يا سايا هل أنت حقيقة طالبة جامعية؟»

«في جامعة أفضل بما لا يقاس من التي درس فيها تايكو».

«إن الفتيات الأنيقات على غرارك يتحاشين عموماً نماذج مثلي من مافيا الياكوزا».

«لا علاقة لهذا بالمسألة. هذا أنت لا أكثر ولا أقل».

«فهمت. أنت لم تولعي برجل من مافيا ياكوزا. أولعت وحسب برجل صدف أنه من الياكوزا صح؟»

«أنا لم أولع بشخص من الياكوزا. الرجل الذي أولعت به صادف أنه إلى حد ما مقامر».

وقد ترك حتى الشركات المشبوهة التي كانت لتوظّف شخصاً بمواصفاته، كان بوغي يكسب حالياً عيشه كمخادع محترف.

عشت خليّة البال مع مقامر محترف، وكنت مستمتعة بذلك بيد أنه كان هناك مشكلة وحيدة وحسب. بما أن بوغي قد ترك عمله فإن ماما سان شارع غينزا التي كان يحاول التخلص منها ما عادت تملك أي رقم

هاتفي للاتصال به سوى الذي في الشقة، وكرست نفسها للاتصال بالرقم طوال اليوم. فترة الراحة الوحيدة كانت تحلّ حين تنام أو تدير بارها. فيما تبقى من الوقت كان الهاتف يرن بلا انقطاع رينغ رينغ رينغ رينغ. العاهرة! العاهرة الملعونة!

ما إن بدأت أحس أني ما عدت أستطيع تحمّل ذلك حتى عاد بوغي إلى المنزل ذات عشية مذعوراً.

«نحن في ورطة فظيعة. لقد استطاعت الحصول على العنوان. اليوم هو السبت لذا يكون بارها مقفلاً. أراهنك أنها ستحضر إلى هنا. هذا محتّم. ينبغي أن نغادر هذا المكان!»

«إلى أين؟»

«إلى أحد الفنادق طبعاً».

وكانت هذه بداية حياتنا كفارّين. اتصلنا بأحد الفنادق، حجزنا حجرة، التقطنا بعض الأغراض وقفزنا معجّلين داخل سيارة أجرة.

«إلى فندق نيو اوتاني إذا سمحت».

«آه، بوغي، كيف حدث بالضبط أن استحوذت على العنوان؟»

«لقد تعقبّتني إلى نادي الماجونغ ليلة الأمس».

«هذا لا يطلعها على عنوان الشقة».

«بعدما انتهت اللعبة ذهبنا معاً إلى منزلها. كنت قررت أخيراً أن أصارحها بأن ما بيننا قد انتهى، لكن كما تعرفين طال الحديث، ثم غفوت وفيما كنت نائماً عثرت على مفتاح الشقة في جيب سترتي مع العنوان المكتوب على عروته».

«إذاً لم تكن تلعب الماجونغ طوال الليل ».

كانت هذه مجرد البداية. كنت قد انطلقت في طريقي الطويلة الملتوية لأصبح امرأة بوغي، وكانت الطريق طوال الوقت عسيرة.

الفصل الثالث

«يا تاكاشي! افتح الباب، تاكاشي!»

بانغ بانغ بانغ بانغ بانغ

«هذه أنا كيكو!»

بانغ بانغ بانغ بانغ بانغ

كانت ماما سان بار شارع غينزا تشن هجوماً آخر. مذ اكتشفت عنوان بوغي صعّدت الهجمات من التلفون إلى عتبة الباب. ها نحن في مبنى الشقق الأبيض العصريّ جداً في أزابو جوبان، وكانت تضرب الباب بعنف مثل خطّاف خرافي منتقم من الجحيم.

بانغ بانغ بانغ بانغ بانغ

كانت ضرباتها تدويّ في نهاية الرواق عندما جعلت تطرق الباب الركوكي.

«يا تاكاشي! أعرف أنك في الداخل! أخرج! لن أغادر حتى تخرج!»

كانت نهايات الأسابيع تتسم بشكل خاص بالخطورة. بنات عالم الليل يعانين في عطلة نهاية الأسبوع وعطلة نهاية السنة وخلال فرصة منتصف الصيف. لماذا؟ لأنه إبان تلك الأوقات يعود الرجال الكهول وهم زبائنهن وعشاقهن إلى عائلاتهم. قانون العرض والطلب يفرض على معظم علب الليل في المدينة أن تغلق أبوابها، لذا كانت المضيفات

اللواتي يعملن هناك يغرقن في بحر من الوحشة.

كان لا ضير في ذلك بالنسبة إلى المضيفات الشابات، كان بمقدورهن التمتع ببعض السهر والسمر كزبونات على سبيل التغيير، أو يقمن برحلة خارجية، وبوسعهن كذلك التسكع برفقة صديقات زميلات في المهنة والاستمتاع بمضاجعة رجل ما من معارفهن. لكن بالنسبة إلى النسوة المتعبات الأكبر سناً اللواتي مضى على ممارستهن هذه المهنة وقتاً طويلاً فإن هذه الأوقات كانت صعبة. لذا كان من المنطقي أنه إذا قدّر لهن العثور على رجل متوسط العمر بهي الطلعة ومتطلق متاح للمرافقة، فلن يطلقن سراحه بتلك السهولة.

«يا تاكيشي! إني أحبك! افتح الباب!»

كانت مسعورة. قل ما شئت عن بوغي، إلا أنه كان يمتلك تلك الجاذبية الخارقة بالنسبة لهذا الصنف من فراشات الليل. لم يكن يمتلك وسامة جيغولو أو نجم سينمائي مثير، غير أنه ينضح سحراً خاصاً كان يغري النساء المحترفات اللواتي ينظرن مصلحياً إلى الرجال. إلى جانب هذا كان كريماً في ما يختص بالمال ومحدّثاً ممتعاً، وعطوفاً، وليس أبداً بغيضاً أو متهكماً. كان ذوّاقة يهوى الأطعمة الفاخرة وخرّيج جامعة ممتازة. إن رجالاً من هذا الطراز لا يحدث أن تصادفهم غالباً.

شائبتا بوغي الوحيدتان كانتا ضعفه تجاه النساء وإدمانه المقامرة. غير أن مضيفة مخضرمة متمرّسة خبرت آلاف المناوشات الرومنسية تستطيع بسهولة معالجة الشائبة الأولى (أو إنها اعتقدت ذلك). أما فيما يختص بالشائبة الثانية فإن امرأة تعودت كسب مالها من عمل النوادي الليلية ستكون قادرة على اقتصاد بعض النقود من أجل تمويل بعض المراهنة

العرضية. في الواقع لعل النوع الوحيد من النسوة اللواتي يستطعن مكابدة علاقة مع مقامر هي امرأة تعمل في النوادي الليلية وليس فقط مجرد مضيفة عادية، ولكن امرأة ماما سان تملك مؤسستها الخاصة. وحين كانت تلك النسوة يحدّقن ببوغي كان يراودهن أنه كان لا ضير في إعارته مالاً كان بالوسع أن يسترجعنه مضاعفاً مائة مرة.

هذه الماما سان كانت منافسة مرعبة، بما أنه لم يرد إطلاقاً على اتصالاتها الهاتفية التي لا تحصى، لا بد أنها حزرت أن بوغي كان يستخدم كوداً خاصاً، وذات يوم قامت الساحرة الشمطاء الماكرة بتجربة حيلة جعل الهاتف يرن مرة واحدة ثم الاتصال مجدداً. يا للروعة! نجحت في المحاولة الأولى. كنت هناك قابعة متوترة الأعصاب في الشقة بانتظار اتصال بوغي، مثل معزاة صغيرة تنتظر رجوع أمها.

حين تناهى إلى مسامعي الكود المألوف اندفعت معجّلة إلى الهاتف.

«سايا تاكاغيشي، أليس كذلك؟»

لقد تمكنت بوسيلة ما من الحصول على اسمي كاملاً.

تجمّدت على الفور فيما بدأت هي مباشرة توبّخني بعنف.

«أنت تلميذة، صحيح؟ جيد إذاً تصرفي كتلميذة واذهبي إلى المدرسة فأنت لستِ شيئاً سوى إزعاج لهوتا. أيتها الفاجرة الصغيرة الوقحة! إن المال هو ما تسعين إليه أليس كذلك؟ أو لعلك تعتقدين أنك سوف تجبرينه على الزواج منك؟ كم من الوقت ستمكثين بعد حيث لست مرغوبة؟ لقد حان وقت أن تتأدبي!»

ياه، لقد كانت هذه إحدى عراكات القطط تلك التي كنت سمعت شائعات حولها. غير أن كل ما خطر لي كان «ليس لديك أدنى حق في

التحدث إليّ بهذه الطريقة».

رددت ذلك بنبرة هادئة ازدرائية.

«ماذا تقولين؟ هل لديك أدنى فكرة كم مضى على علاقتنا بوغي وأنا؟»

«سنتان فقط، أليس كذلك؟ يصدف أني أعرف أيضاً أنه كان يحاول التخلص منك خلال الأشهر الستة الأخيرة أو أكثر».

كانت ضربة موفقة، خانتها فحارت جواباً ولكن ليس لوقت طويل.

«لا تقلقي بشأن علاقتنا، أنا وهوتا سوف نتزوّج».

قالت ذلك وأقفلت السماعة.

في الحقيقة بما أنها على وشك إدراك الأربعين من العمر ويتوجب عليها التفكير بمستقبلها، كان يمكن تفّهم رغبتها في أن تبتاع لها القليل من الأمان عبر قيامها بالزواج. إلا أنه لم يكن أمراً في الوسع القيام به وحدك. كان بوغي يدرك ما يساورها وكان قام بخطوات لتأمين ما يقدّر لها الاستمرار بإعالة نفسها بنفسها. على سبيل المثال كان قد اشترى البار التي كانت تديره وتنازل لها عن ملكيته. وابتاع لها كلباً صغيراً ليكون رفيقها بعد رحيله. قبل ذلك لم تكن سوى ماما سان موظفة بالأجر لا تملك باراً أو كلبها الصغير الخاص.

على الرغم من ذلك فإن كلامها المجنون حول كيف أنها ستقوم بالزواج من بوغي أقلقني. لقد بدت في ذروة التصميم. ماذا ستكون خطوتها التالية؟ ألفيتني مرتاعة حتى الموت.

*

«آها... أعتقد أنها سوف تأتي مجدداً هذه الليلة. يا سايا اتصلي بفندق، هيّا عجلي».

كنا لا نزال نقضي عطلات نهاية الأسابيع فارّين، موليين الأدبار في سيارة أجرة.

«انقلنا إلى فندق طوكيو برينس».

«إلى فندق نيو اوتاني رجاء».

«إلى المبنى الإضافي التابع لفندق أمير اكازاكا... ها ها إن هذا يعيد إلى البال ذكريات».

«إلى كابيتول طوكيو إذا سمحت. أحب هذا الفندق. إن جوّه رفيع المستوى، وخصوصاً ملهى «ليبوبار» فيه. فلنحتسي بعض الكوكتيلات هناك!»

لذا كما هو واضح في الحقيقة استمتعنا بجولتنا على فنادق طوكيو. كان بوسع بوغي تحويل أي مأزق إلى دعابة.

كان يردد «أنا أعشق الفنادق» ويضيف «الشراشف ناعمة ونظيفة، والمناشف غير مكسوّة بوبر القطط، ويجلبون لك أي شيء تودينه طوال 24 ساعة في اليوم».

غير أنه ذات يوم حدث أمر ما كاد أن يكلفّني حياتي. كانت ما بعد ظهيرة يوم سبت ولم يكن بوغي رجع بعد وقد كان غادر في العشية المنصرمة للمشاركة في جولة من لعبة الماجونغ تستمر طوال الليل. كانت تلك اللحظة المناسبة التي اختارتها الماما سان لتشن هجومها على بابنا.

بانغ بانغ بانغ بانغ بانغ

«يا تاكاشي افتح الباب! هذا أنا»

كان لصوتها النبرة الأنموذجية للمتمرّسات في حياة الليل، عميقة ومبحوحة بتأثير سنوات طويلة من الشرب والتدخين والتحدث ليلة تلو ليلة. يتوجب الاعتراف بأنه كان «مثيراً». ماذا خطر لي؟ لم يكن هذا بالوقت المناسب للإعجاب بصوتها! أسبوعيا كانت تأتي إلى هنا لتخبط على بابي. كان ذلك لا يحتمل.

إلا أني على الرغم من ذلك لم أستطع كبح نفسي من اختلاس النظر من خلال ثقب الباب لأرى كيف تبدو. كان وصوص الباب يحوي عدسة من طراز عين السمكة كانت تجعل أي شخص يبدو مثيراً للضحك ولكن هذه المرة عجزت عن الضحك. تسمّرت هناك حابسة أنفاسي.

كان ثمة ما هو مميز في ما يختص بها. ذكرتني بالوقت الذي رأيت فيه مرة امرأة مجنونة في ناصية الشارع. وسط كل نشاط وحركة الناس المسرعين كانت تقف هناك جامدة بلا حراك. الهواء ومرور الزمن من حولها بديا مختلفين. كانت تنظر عالياً إلى السماء وقد ارتسمت على محيّاها ابتسامة مبهمة، مغمورة بجمال غامض ليس من هذا العالم. اختلاس النظر إلى هذه المرأة من خلال عدسة العين السمكيّة وهبني شعوراً مماثلاً.

بدت أصغر بكثير ممّا توقعته، وكانت بشرتها جميلة أخّاذة. كان شعرها البني القليل التموّج متحابكا حول وجهها بفوضى كليّة. كانت مسكرتها ملطّخة مدى عينيها، وثمة بقع دمع فوق خديها. على الرغم

من كل شيء كانت امرأة فاتنة. كانت السنوات سلبتها بعض تألقها، لكن كان لا يزال بالوسع أن تدرك أنها كانت امرأة استثنائية ببشرتها الشفافة ورهافة وروعة تكوين عظام ذراعيها ورجليها.

كانت أناملها الطويلة البيضاء متلألئة بخواتم ذهبية وفضيّة من الياقوت والزمرد قائمة وسط عناقيد من الماسات الصغيرة. وبالطبع كانت تزّين عنقها النحيل بعقد ذهبي. تعرّفت إلى ساعة معصمها المصقولة التي من طراز «كارانداش» تلك المشابهة لساعة بوغي، لأنه كان مرّة أحضرها إلى الشقة ليأخذها إلى مكتب المسترهن المحلي. من الواضح أنه استطاع استرجاعها من الرهن وإعادتها إلى معصمها الرشيق.

كانت ترتدي ثوباً صيفياً محبوكاً أصفر ليمونياً، يبرز بنيتها النحيلة وصدرها الكبير، فضلاً عن حذاء عالي الكعب ذي درزات زخرفية. من أي ناحية نظرتها كان واضحاً أنها امرأة من عالم الليل ولكن واحدة راقية من الطراز العالي.

لم يكن ثمة سبيل لأن أخرج من الشقة، وبينما كنت أتساءل حول ما بوسعي أن أفعل اندلع صوتها المخيف مباشرة نحوي عبر الباب.

«سايا تاكاغيشي، أعرف أنك في الداخل، هيّا اخرجي».

يا إلهي! كيف حزرت؟ في تلكِ اللحظة بالذات رن جرس الهاتف. كان كود بوغي وهذه المرة من المستحيل أن يكون ذلك فخاً! ركضت مسرعة للإجابة على الهاتف.

«بوغي! ماذا أفعل؟ إنها الماما سان! إنها هنا من جديد، وهي تطلب مني الخروج إليها!

«فهمت، المسألة صعبة، المشكلة أني لم أنهِ بعد جولة الماجونغ».

«ماجونغ! لا أستطيع أن أصدق هذا! ألا تهتّم بما يحصل لي؟ إنها تقوم بقعقعة مسكة الباب ألا تفهم؟»

تحدثت إليه هاسّة بهمس ساخط، وجعل ذلك بوغي يصمت برهة متفكراً لكنه سرعان خطر له حل.

«لقد وجدتها! اتصلي بكن كن، سوف يحضر على الفور. هذا رقمه».

*

كان الحال على الدوام على هذه الشاكلة مع بوغي. كان للمقامرة المقام الأول في حياته، والسكر ثانياً، وكانت النساء عبارة عن وجبة ما بعد ظهيرة خفيفة ما بين أمور أهم. كان جرى تذكيري بذلك بعيد فترة ما من تلك الحادثة، حين وجدتني حبلى بطفل منه.

«هكذا إذاً» علّق عرضاً حين أخبرته. «خبر سيئ. قومي بإجهاضه».

«يا ابن الزانية! لا يحق لك مجرد قول هذا بهذه الطريقة!»

«لكنك طالبة سوفومور في السنة الجامعية الثانية. صحيح؟ لا يعقل أن تنجبي طفلاً الآن، أليس هذا صحيحاً؟»

«لكن..».

«وبينما أنت تقومين بذلك، دعيهم يضعون لك واحدة من تلك الحلقات».

«لا نريدك أن تحبلي مرة أخرى، إن الخضوع لعدة عمليات إجهاض

يؤذي المرأة».

«أتقول حلقة؟ هل تعني جهاز اللولب المانع للحمل الذي أخبرونا عنه في دروس الصحة وآداب الصحة في المدرسة الثانوية؟»

أعجب كيف يستطيع أن يتحدث إليّ بهذه الخفة عن أمور كهذه... أنا الفتاة البريئة التي ما أنجبت أبداً وكانت لا تزال عذراء من سنة واحدة فقط؟

ثمة لا حاجة للقول بأن بوغي ما كان ليحلم البتة في أن يكلّف نفسه عناء استخدام واق ذكري، كان يتوجب عليّ الاهتمام بمنع الحمل، ومذ البداية حتى الآن استخدمت «ميلورا» وهو عبارة عن غلاف مانع للمني على شكل حلقة تضعه المرأة قبل دقائق من ممارسة الجنس. كان من المفترض أن يقضي على المني ما إن يتماس والغلاف الحلقي، غير أنه لا يعوّل على تلك الأغلفة بشكل تام، كما اكتشفت ذات ليلة حين انبثق عضو بوغي بعدما أدّى مهمته على أحسن ما يكون مكلّلا بحلقة الميلورا.

ضحكت آنذاك بيد أني أعتقد أن تلك الليلة بالذات كانت ليلة خرابي. يصبح غلاف ميلورا فعّالاً ما إن تذوب الحلقة ولقد كنت بالتأكيد في ورطة.

كانت الغثيانات المريعة ترافق صباحاتي. في البداية حسبت أنها كانت وحسب الآثار البغيضة لإسرافي في الشراب، غير أني وبوغي كنا نجهز على قنينة كاملة من كونياك هينيسي يومياً، وكنت قد اكتسبت مناعة من التأثيرات الصباحية البغيضة. وشيئاً فشيئاً اتضحت الحقيقة.

« يا بوغي أعتقد أني أتقيأ لأني حامل».

«حامل؟ كيف حدث ذلك؟ لقد قلت لي إنك كنت تتخذين احتياطات».

«آه، أنسى الأمر».

بدا شديد الحماقة إلى درجة أني لم أستطع الغضب منه. كنت منزعجة أكثر بما لا يقاس من غثياناتي الصباحية. كانت فظعية إلى درجة أني كنت سأقوم بالإجهاض هناك وفي تلك اللحظة بالذات وبكل طيبة خاطر، إن كان ذلك يعني وضع حد للغثيان. أنا واثقة تماماً بأنه لو حدث وسمع أي ناشط ضد الإجهاض هذا الحوار لكان أرغى وأزبد.

«إن كنت لا ترغبين في الخضوع لعملية، اطلبي من الطبيب إعطاءك دواء ما يسبب الإجهاض. أنا متأكد تماماً أنه جرى اكتشاف دواء جديد. إن أسهم الشركة التي تصنعه رائجة حالياً. أنه دواء يعجّل حدوث المخاض ويخرج الجنين وحده وحسب. إن قمت بذلك خلال الأشهر الثلاثة الأولى يكون الطفل لا يزال صغيرا جداً، لذا لا يكون ذلك مؤلماً «عملياً»».

اجتاحتني موجة جديدة من الغثيان «آآغ، أي شيء، أي شيء! ولكن سريعاً!»

فعلت كما كان اقترح بوغي وسألت الطبيب عن دواء الإجهاض الجديد. ألفيته مرتاعاً تماماً.

«لا، لا، لا، أنت لا تريدين التورط في ذلك. ما كنت حتى لتأتي على ذكره لو كانت لديك أدنى فكرة كم هو مؤلم المخاض، لو أنك كنت ولدت سابقاً طفلاً لكان هذا أحد الخيارات، ولكن أنت مجرد فتاة صغيرة؟ لا مجال أبداً. ليس بمقدورك أن تتخيّلي الألم الذي يسببه».

«كان طبيباً نسائياً محلياً، من الصنف الذي تحيل إليه المستشفيات الكبيرة النسوة اللواتي يرغبن في الإجهاض. كان طبيب إجهاض من رأسه حتى أخمص قدميه وكانت تساعده زوجة كهلة، كانت تشتغل ممرضة وعاملة هاتف مرحبّة في العيادة الصغيرة.

يوم العملية توجهت إلى هناك بمفردي. أعطاني بوغي المال اللازم للإجهاض لكنه رفض مرافقتي. قال لي «اليوم سأشنّ معركة لأنتقم لموت هذا الطفل» وانطلق متوجهاً إلى ميدان سباق الدراجات.

«حسناً، تمددي هنا».

يبدو أن الطاولة التي كان يستخدمها الطبيب للفحوصات الداخلية كانت تخدم أيضاً كطاولة عمليات، هو وزوجته كانا نشيطين جداً وعمليين. ما كان يوحيان به من خبرة شجعّني وطمأنني.

«استرخي، لا داعي البتة للقلق، سينتهي الأمر بغمضة عين. الآن أريدك أن تعدي بطيئاً حتى المائة».

كان ثمة خساسة ما في لطافة الطبيب الكبير في السن وبدت ملائمة لمهنته غير المحترمة إلى حد ما. فعلت كما طلب مني فيما سرى مفعول المخدر.

«واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، سب...».

بعدئذ ما استطعت أن أتذكر تجاوزي السبعة.

«ها قد انتهينا، لقد تم كل شيء، يمكنك العودة إلى البيت خلال ساعة أو ما يقارب».

عندما استعدت رشدي، كان الطبيب الكبير في السن يقوم في اللحظة عينها بنزع القماشة التي كانت تغطّي نواحي جسمي السفلية،

وكان يواصل الكلام بالطريقة العملية إياها.

عجزت عن الحراك. أحسست ذهني وكأنه يبعد أميالاً عندما رفعت بطيئاً جفنّي الثقيلين. كان قد جرى حملي لست أدري كيف إلى الأعلى وألفيتني مستلقية في حجرة يابانية الطراز في الطبقة الثانية. كانت إلى حد ما أنيقة وتذكرت عندها أن العيادة العتيقة الطراز كانت كذلك مسكن الطبيب الجهّاض الكبير في السن وزوجته.

*

اتصلت بـ كن كن كما كان اقترح عليّ بوغي. فقدم على الفور، كان يقطن بنايتنا نفسها في إحدى الطوابق التي تعلو شقتنا. استطعت سماع صوته وهو يتحدث إلى الماما سان خارج الباب.

«رباه، رباه، رباه، يا كيكو، يستحيل أن ندعك تبقين جاثمة هنا في مكان كهذا، ستموتين من البرد».

«كن كن».

«اعقلي وتعالي معي».

«ولكن تلك المرأة في الداخل.».

كانت الماماسان تنشج وهي تتكلم.

«لا ليست هنا، ليس هناك أحد في الداخل. هيا بنا ننزل إلى مطعم السوشي بار في الطبقة الأولى ونحتسي كأساً من الشراب. وسوف نقوم بالاتصال بهوتا من هناك، موافقة؟»

كان كن كن يقيم باستمرار علاقات مع عدة معشوقات في الوقت نفسه، وكان محترفاً حقيقياً حين يتعلق الأمر بمعالجة مسائل النساء. فعلت

نبرة صوته اللطيفة المتملقة العجائب في الماماسان.

كانت بدت في غاية التصميم ولا سبيل لتهدئتها، إلا أنها سمحت لنفسها بأن تنقاد إلى مطعم السوشي بار الذي تلقيت منه بالذات مخابرة هاتفية هامسة بعد وقت قصير.

«سايا؟ كل شيء تحت السيطرة. ولكن بينما هي بمعيّتي في السوشي بار، سيكون من المستحسن أن تغادري إلى منزلك. هلاّ قمت بذلك، رجاء؟ سوف أجعل هوتا يتصل بك لاحقاً؟

كان كن كن موهوباً في طمأنة الأشخاص، لست أنكر أنه لربما لم يكن صاحب قلب كبير، غير أن صوته كان مفعماً باللطافة ومراعاة مشاعر الآخرين وقادراً على استرضاء أي كان. لقد وهبته الطبيعة موهبة الخداع ذلك الرجل. فيما جال هذا في بالي توجهت إلى حرم منزل أمي التي أهملتها منذ وقت طويل. كانت رجلاي لا تزالان ترتعشان بفعل صدمة تجربتي الحديثة المؤلمة.

*

كان من الواضح أن أمي مسافرة.

المنزل القديم المغبر كان أقرب إلى مستودع منه إلى بيت. كان هناك كدسات من الملفات والكتب المتعلقة بعمل والدتي، وكومات من الغسيل المنظف في أكياس بلاستيكية ومتراس من هدايا منتصف الصيف ولا تزال مغلفة تلك التي يرسلها اليابانيون عادة إلى كل من يقدم لهم معروفاً. هذا إذاً ما حل بالمنزل حين غادرته! أطلقت تنهيدة عميقة وشرعت بترتيبه.

في الأيام الخوالي كان والدي هو من ينجز عادة الأعمال المنزلية، حين غادر تسلّمت أنا المهمة. في مرحلة ما كانت تكسب من المال ما يفوق خمسة أضعاف ما يكسبه والدي. وكانت تقوم بدفع معظم فواتير نمط عيشنا المتزايد ترفاً.

«ماذا! أنا من يكسب كل المال ويتوجب عليّ كذلك تنظيف هذا المنزل السخيف. هذا غير مقبول كليّاً».

كانت هذه إشارتها المهذبة إلى أبي بأنه يتوجب عليه القيام بدور أكثر فعالية في الأعمال البيتية الروتينية. في الوظيفة كان وجود والدي مضيعة لمساحة في المكتب، لذا قاموا بركنه لصق النافذة وعهدوا إليه ببعض المهام التافهة لأجل الشكليات لا أكثر. لم يكن يحظى بأي ساعات عمل إضافية مجهدة، أو مشاركة بجلسات الشرب مع الزملاء، كان يعود إلى المنزل في الوقت المحدد تماماً ويروح يتسكع في الأرجاء فيما تتوعّده أمي غاضبة، وهو أمر كانت تفعله بانتظام. كان عديم الجدوى، لا يصلح لشيء، كان طفيلياً يعيش على حسابها. ذات مرة أفهمته بشكل واضح تماماً أنها سوف تصدر إليه الأوامر وسيبدأ العمل بنشاط.

يتوجب عليه أن يفعل ما يطلب منه. عليه أن يغسل الصحون، يخرج القمامة، ينظف المرحاض والحمام وأن يصفّر فيما ينجز أعماله. عادة لم يكن يصفّر البتة ولكن عندما يتعرض لضغط شديد، وحين بالكاد يستطيع تحمّل ذلك، كان يبدأ عندها بالذات بالصفير. كان من المفترض أن يكون وقعه مبهجاً، بيد أني كنت أجده حزيناً وعلى نحو ما هستيرياً.

أوهل كان يصفّر ليبدو الأمر كما لو أنه كان سعيداً بالقيام بهكذا

نوع من العمل؟ أو أنه كان عبارة عن مسعى لاجتراح نذر ضئيل من المتعة وسط بؤسه؟ كلما كنت أمضي في بيتنا ذاك أي مدة من الوقت، كان شكله المأسوي يطفو أمام ناظري.

«بحق الجحيم لست أفقه البتة لِمَ لا يغادر!» بهذه الطريقة العنيفة اعتادت أمي التحدث عنه وبصوت مرتفع لتتأكد يقيناً من أنه سمعها. «لا امرأة في العالم يمكن أن تتحمل ذلك! ما كنت لأستطيع! إنه مثير للقرف!»

لقد تحمّل أبي كل ذلك. ما الذي منعه من المغادرة؟ ألأنه كان مذعوراً من البقاء وحيداً. ولكن لحظتما وجد شخصاً يلازمه مضى مثل خفّاش من الجحيم.

حينما انتهيت من تنظيف المنزل كان الوقت تجاوز منتصف الليل، ما كنت أدري متى سيقوم بوغي بالاتصال، لذا وضعت جهاز الهاتف قرب وسادتي وتوجهت إلى النوم في فراشي القديم. كان منتن الرائحة كالقبر.

رنّ جرس الهاتف بعد ذلك ببعض الوقت. نصف غافية رفعت السماعة وألقيت نظرة إلى الساعة، كانت الثالثة صباحاً.

«سوف تتعرضين للقتل، فعلاً يا سايا».

«ما... ماذا؟»

كنت منهكة وكان صوتي ضعيفاً، كانت ما بعد ظهيرتي ضاغطة وتبعها خمس ساعات من تنظيف المنزل.

«تلك المرأة» يقول كن كن إنها كانت تحمل سكيناً مقوّساً ما بعد ظهيرة اليوم».

«أتقول سكيناً مقّوساً؟»

ألفيتني على نحو مفاجىء جالسة.

«لو أنك فتحت الباب، لكانت قتلتك».

كانت هذه القصة من النوع الذي كان يبرز على نحو مفاجىء خلال السنوات الجامحة التي عاشها بوغي في أوساكا وكوبي. لم أتخيّل للحظة واحدة أنه يعقل أن أتورط في أمر مماثل. كان روى لي بعض اللحظات الرهيبة في علاقاته الغرامية السابقة، مثل المرة التي دعته فيها إحدى فتيات البارات التي كان أنهى علاقته معها إلى ملاقاتها إلى رصيف حوض السفن وحاولت طعنه بزوجي مقص كبير. ثم كان هناك تلك المرأة الأخرى التي تظاهرت بالانتحار. لطالما افترضت أن حكايات الحب اليائسة تلك لا علاقة لها بفتاة صغيرة مثلي. غير أني كنت الآن واقعة تماماً وسط إحداها. أمسى وجهي أبيض شاحباً كورقة بيضاء.

«من المفضّل ألاّ نلتقي لفترة ما».

«مَنْ مِن الأفضل أن لا يلتقيا؟

«أنت وأنا بالطبع»

«لماذا؟»

«لأنه أمر خطر! أوترغبين في أن تتعرّضي للطعن أم ماذا؟»

«لو تقوم أنت بالانقطاع عنها بشكل تام سيصبح كل شيء على ما يرام! إن السبب من وراء كونها لم تفهم الرسالة بعد هو عدم توقفك عن الذهاب إلى عندها من أجل مضاجعة سريعة بين الحين والحين! هذا هو مسبب كل الورطة صحيح؟»

كانت هذه هي الحقيقة، كل أسبوعين كان بوغي يزعم أنه خارج

للعب الماجونغ طوال الليل، في حين أنه في الواقع كان يقوم بإمضاء الليل في سرير الماما سان. لم يكن من المشقة إدراك ذلك بما أنه كان يعود إلى المنزل مرتدياً ملابس داخلية مختلفة وتفوح منه رائحة شامبو مختلفة. كنت افترضت أن فتاة شابة قليلة التجربة مثلي غير قادرة على إبقائه مكتفياً طوال الوقت، لذا لم أتفوّه بأي حرف وغضضت الطرف. ولكن هذه المرة كان من الضروري أن أتكلم بوضوح بلا تردد. لقد وجدت أخيراً بعض المعنى وهدفاً لحياتي وتلك المرأة كانت تحاول انتزاعه مني.

«يا سايا، ما تقولينه ممتاز، غير أنه ثمة تراتبية في الأمور كما تدركين. يتوجب أن تتعاطي مع الناس كلّ واحد على حدة». من يصل أولاً يُخدم أولاً، شيء من هذا القبيل».

فقدت رباطة جأشي. كان هذا الرجل يتحدث كما لو أنه لا علاقة له كليّاً بالمسألة، كما لو أنها قضية شخص آخر كما لو أن النساء كن وحسب يطنطن من حوله كالبعوض.

زعقت عبر سماعة الهاتف «ثمة لا أول من يصل أول لعين يُخدم في الحب!»

فضلاً عن أني كنت أصغر منها وأجمل وكنت لا أزال في الجامعة. كنت أجدر بكثير بالنسبة لبوغي من تلك الحيزبون العجوز، بالتأكيد كنت كذلك! كان بالوسع أن تدرك أني كنت أمراً مميّزاً بالنسبة إليه من تعبير وجهه حين يقدّمني إلى أصدقائه، تعبير كان يقول هوذا شيء ما أكثر من مجرد عشيقة أخرى.

إلا أن بوغي هذه المرة حافظ على رباطة جأشه.

«على الرغم من ذلك، أنت تعرفين أن هناك هرمية طبيعية».

«لحظة واحدة بحق الجحيم، أنا قادمة على الفور».

«انتظري، انتظري! قد تكون كامنة للانقضاض عليك مجدداً».

«ماذا؟ تلك الحيزبون العجوز؟ مؤكد أنها لم تنم طوال الليل، فمن المحتّم أنها نائمة الآن».

نهضت دفعة واحدة من السرير وركضت خارجة من المنزل وجدت تاكسي واندفعت مباشرة إلى شقة بوغي. لا مجال لأن أدع تلك الفاسقة العجوز تغرز مجدداً مخالبها فيه!

أوهل كنت فعلياً شديدة التصميم؟ قبل ذلك لطالما كنت شخصاً من طراز «لا أبالي»، و«مهما حصل»، و«ليكن ما يكن». لم أكن من النوع الذي يصرّ أسنانه ويقاتل من أجل الحصول على مرامه. وما عهدت البتة مرة أدركت فيها درجة إثارة جلبة بشأن مطلق أمر. الحب يغيّر المرأة، بطريقة ما تحولت إلى امرأة من الصنف الذي كنت أكرهه أشد الكره، ذلك الطراز المخيف الذي يشق بالقوة طريقه، وتراهنّ في كل مكان.

رحت أفكر «لست آبه إن كانت كامنة في العتمة لتقوم بطعني. لتطعنني فليكن، ستكون هي من يدخل السجن، قد أتألم بعض الشيء، ولكن إن كان ذلك يعني إقصاءها من الطريق، من ذا يأبه؟ لن أموت لن تضرّني طعنة بسيطة. لن تستطيع تلك العاهرة أبداً قتلي. بضعة أيام في المستشفى، هذا أسوأ ما يمكن أن يحصل لست خائفة!»

مدمدمة لنفسي كذلك، استجمعت قواي في مواجهة ريح الليل وعبرت الطريق باتجاه بناية بوغي.

أدخلت المفتاح سريعاً في القفل وفتحت الباب بعنف، وتوجهت مباشرة نحو حجرة النوم. وهناك ألفيت بوغي في وضعيته المميّزة متمدداً

باسطاً ذراعيه وقدميه في سرواله الداخلي «البوكسر» القصير مستعرضاً كرشه اللحيم حاملاً في يده كأساً من شراب الهينيسي ممزوجاً بالماء. توجهت مباشرة نحو بنطاله الذي كان مرمياً متجعداً على الأرضية حيث تركه، وجعلت أنقّب في جيوبه وانتشلت حزمة مصلصلة من المفاتيح. كان هناك مفتاح واحد في الحلقة غالباً ما تساءلت حياله، بيد أني أعتقد الآن أني أعرف أي باب كان يفتح، زلقته خارج الحلقة متجاهلة صراخ بوغي «توقفي! أي لعبة تلعبين؟ إياك!» ركضت إلى الشرفة ورميته بعنف نحو العتمة بكل ما أوتيت من قوة. كنا في الطبقة السابعة وابتلعت الظلمة على الفور تلك الشظيّة الصغيرة الفضيّة اللون. كان هناك العديد من الهياكل في أزابو جوبان وكان إحداها مواجهها تماماً لطبقة الشقة، أعتقد أن المفتاح قد سقط في مكان ما فوق أرضية الهيكل الخشبية.

استدرت مخاطبة بوغي.

«هذا أفضل. لا زيارات بعد اليوم لتلك المرأة. لا مزيد من النشيج بشأن عجزك عن التخلص منها لأنك ترثي لحالها. هذه إهانة لها أيضاً، إنها امرأة فاتنة، وآن ستتجاوز علاقتها بك بشكل تام سوف تجد لها رجلاً آخر على الفور، أما فيما يختص بي وبك، فلنغادر هذه البناية وننتقل إلى مكان آخر!»

خطر لي أنها هذه كانت أول مرة أكون فيها حازمة مع بوغي. لأول مرة فكّرت بنفسي وعبّرت عن رأيي. ألفيت بوغي مشدوهاً.

كان علينا على أيّة حال، أن نرحل عن الشقة في أزابو جوبان ولأسباب مادية. كان مضى وقت طويل على ترك بوغي عمله في شركة

كابوتوشوجورنال. كل العلاوات السخية التي كانت ملأت جيوبه من تلك الوظيفة كانت قد تبددت مجدداً في سياق حفلات النبيذ والنساء والمقامرة الليلية.

في الوسع تكوين فكرة ما عن أحوال بوغي المادية من واقع أنه كان اضطر إلى رهن ساعة الماما سان الـ«كارانداش» إضافة إلى عقد وإسوارة ذهبيين كي يموّل مشاركته التالية في لعبة الماجونغ والتي بدورها كانت خطوة ضرورية لتمويل رحلته القادمة إلى ميدان سباق الدراجات.

على الرغم من العسر الذي كان يعانيه، لم يستطع بوغي كبح نفسه من الخروج للسهر في المدينة، فلقد كان من رواد النوادي الليلية المخلصين.

«أوتدرين يا سايا، منذ بدأت أنت تختارين لي ملابسي، أصبحت قبلة أنظار فتيات النوادي الليلية. إنهن يحتشدن من حولي! ينبغي أن تسمعي ما يرددن. انظرن هذا الرجل العظيم الشأن، أوليس فاتناً؟»

كالعادة كان يكفي أن يحتسي بوغي كأسين من الشراب لتضعاه في مزاج مرح. منذ غادر شركة كابوتوشو جورنال ما عاد بحاجة إلى ارتداء بدلات رسمية، لذا اعتاد ارتداء ملابس غير رسمية أو «بطريقة مدنية» كما كان يحلو له القول طوال الوقت. في البداية كانت الماما سان تنتقي له كل ملابسه وكان معظمها رثاً بعض الشيء وتوحي بالحياة الليلية، سترات غير رسمية من الكتّان، وبناطيل كتّانية شديدة التجعدات، وأحزمة من طراز «إيف سان لوران» و «هرمس»، ملابس تدفعك إلى التساؤل حول مغزى رغبة مرتديها في التشديد بكل هذا التصميم على واقع أنه في متوسط العمر.

لذا أخذت على عاتقي مهمة اختيار ملابس بوغي، كلما كان يتوجه لتبضع الملابس، كان يقصد أمكنة مضجرة مثل محلات الخياطة الرجّالية المحلّية، أو المتاجر الكبيرة التنويعية القديمة الطراز الرجعية مثل متجري «تاكاشيمايا» و «طوكيو». غير أني نجحت في جرّه «راكلاً وزاعقاً» كالأولاد إلى متجر «سيبو بي» في شيبويا.

هناك وجدت له كنزة صيفية بيضاء أنيقة، وسترة قطنية مزركشة برسوم لسمكة كبيرة. عثرت على بنطال جينز أبيض اللون ليتناسب مع القطعتين الأخريين وحذاء بلا أربطة عوضاً عن تلك المعقودة وتحول بوغي إلى شخص جذاب كما كنت تنبأت. أضف إلى هذا قميصاً قطنياً قصير الأكمام موشّحاً باللون النحاسي مفتوح العنق، واكتملت الصورة. تكاملت الملابس بشكل ممتاز مع لون بشرة بوغي السمراء الناعمة ورقبته الغليظة.

الرجال مثل النساء، يمتلكون أشكالاً وبنيات جسدية مختلفة، وبطبيعة الحال فإن الملابس التي تناسبهم تختلف أيضاً. لسوء الحظ يغالب الرجال الظن بأن الملابس نوع من التماثل «أنا في منتصف العمر لذا يتوجب أن أرتدي هذا» وينتهي الأمر بأن تصبح مظاهرهم خرقاء مزرية.

لاحظ بوغي على التّو الفرق حين جال في المدينة في أزياء سايا تاكاغيشي. زملاؤه في لعبة الماجونغ كانوا يدمدمون متذمرين حول كيف أنه كان يتباهى لأنه وجد له وحسب صديقة شابة. من جانب آخر أصاب نجاحاً كبيراً لدى مضيفات النوادي الليلية. «أواه يا سيد هوتا، لقد أصبحت فجأة في ريعان الشباب».

بالطبع كان يستطيب أن يكون موضع إطراءاتهن كما كانت الحال.

لطالما حسب أن ثمة لا أهمية لكسوته خارج الوظيفة، غير أنه الآن بدّل كلياً هذه النظرة، فقد أصبح في الواقع يفتش في خزانة ملابسه لإيجاد أفضل ما لديه.

«يا سايا أين هو «السنبلو»؟

«قلت لك ألف مرة، الكلمة هي بلوزون».

أصبح حالياً ينظر إلى نفسه في المرآة حتى وإن ارتدى ملابس غير رسمية. قبلها كان ينظر وحسب في المرآة آن كان يقوم بعقد ربطة عنقه. كان يتعلّم متعة التأنق.

إلا أنه يجدر الانتباه إلى أنه كان هناك بعض الأمور التي يتوجب عليه اكتشافها بخصوص فن التنسيق النبيل. إن لم أقم بمساعدته في ذلك، كان ينتهي به الأمر جامعاً أكثر المزاوجات اللاملائمة فظاعة.

«همم، يتوجب أن أسلّمك زمام الأمر يا سايا. لعلّك لا تملكين الكثير من حصافة الحس العام لكنك بالتأكيد تملكين حسّ الكسوة».

بينما كان يحدق فيّ بافتتان قمت بسرعة باختيار بعض الملابس الصالحة للاستعمال من خلال جبل من الملابس القديمة الطراز ذات الماركات الواسعة الشهرة التي كان يمتلكها، وألبسته إياها.

«هذا صحيح يا بوغي في الحقيقة كنت أرغب فعلياً في أن أصير مصممة أزياء».

«أجل كان هذا حلمي مذ كنت صغيرة. في ذلك الوقت لم يكن هناك الكثير من الأزياء الجميلة في اليابان، لذا كانت أمي تقوم بتصميم ملابسنا وتطلب من إحدى خالاتي أن تخيطها لنا. تلك الخالة كانت تخرّجت من «معهد بونكافاشن» للأزياء، وهي مدرسة لتصميم الأزياء

معاصرة على الموضة في شيبويا، ولقد وددت فعلاً ارتياد تلك المدرسة، كنت قررت في قرارة نفسي أن ابتدع أزياء وملابس لم يكن في المستطاع شراؤها ووددت أنا ارتداءها، أو رؤية أحد ما غيري مرتدياً إياها».

«لماذا لم تدخلي مدرسة تصميم الأزياء؟»

«كانت أمي ممانعة. لم تكن مدرسة مهنية لتناسب ابنتها الغالية. كان ينبغي أن تكون جامعة لائقة وإلا كانت ستمتنع عن دفع المال».

«لذا تخلّيت عن حلمك؟»

«فعلاً»

«لا رجاء منك يا سايا! كنت أحسب أنه من المفترض أن يحاول الناس التشبث بأحلامهم مهما كان الثمن».

«في الواقع، لست أنت تماماً من ذلك الصنف، أليس كذلك يا بوغي؟»

«أجل.. أنت محقة، طبعاً» وانفجر مقهقهاً.

لقد كانت تلك فعلياً هي الحقيقة، لم يكن لدى بوغي ما يتوق إليه بإلحاح كاف لدفعه إلى العمل بمشقة من أجله. مسألة دراسته على سبيل المثال. ما امتلك ذلك الطموح المتّقد للالتحاق بجامعة حكومية بارزة. مجرد الأمر أنه إبان دراسته الثانوية، عندما لم يشغل باله سوى لعب الماجونغ والمراهنة في سباقات الخيل، حدث أن أفلست شركة والده، وقالت له والدته إنهم لا يملكون المال الكافي لإرساله إلى جامعة خاصة. لكان من ضروب التباهي لو أنه سعى لدخول «جامعة طوكيو» (الأكثر مدعاة للتكبر في طوكيو)، لذا توجه إلى جامعة هيتوتسوباشي (ثاني الجامعات أناقة). إن أسباباً عيّابة كمثلها إلى حد ما كانت قادتني إلى

جامعة ساكورا للإناث. كان كلانا قد نجح في دخول ما كانت تعتبره والدتانا «مدرسة رفيعة المستوى» ولم تمانع ذلك. كان كلانا يهوى السخرية من أولئك الحمقى البائسين الذين كانوا ينهكون أنفسهم بالدرس من أجل الدخول إلى جامعة أعلى بدرجة أو درجتين من مستواهم ليصارعوا بعد ذلك بسعر للحصول على وظيفة مضاهية.

في الوقت نفسه الذي كان يقوم فيه بوغي بتجديد خزانة ملابسه، استطعت أنا أن أنجح في إطالة شعري ما يكفي لأن أبدأ يجعله يتاع لي ملابس رفيعة التصاميم خاصة بالشابات الأنيقات، فساتين لمصممين كبار من ماركات مثل «رينوما» و «الفاكيوبيك» فضلاً عن أحذية ذات كعاب رفيعة.

كنت قررت أني سوف أصبح امرأة من النوع الذي يهواه بوغي. امرأة شابة متكلفة، محتشمة ظاهرياً إنما مهيّأة بشديد العناية تحت المظهر الخارجي اللمّاع. لطالما اتخذت قرارات متطرفة وهأنذا الآن أضاعف مجهودات حميتّي. قلت في نفسي «سوف أنحل حتى ينقصف خصري».

*

كان هناك سبب آخر من وراء اضطرارنا للمغادرة. كانت الأمور تزداد حماوة في شركة كابوتوشو جورنال وتناهت إلى أسماع بوغي عبر مصدر سرّي أن الشرطة سوف تقوم قريباً بتفتيش منازل الموظفين السابقين.

كان بوغي وكن كن يتشاوران بشأن العثور على منطقة نائية حيث في

الوسع أن يستأجرا لهما شقتين. كان كن كن قد ترك العمل قرابة الوقت الذي كان بوغي قد فعل، وكان كلاهما يعاني من أزمة سيولة نقدية. لم يكن كن كن يقامر، كان من النوع الذي يفضّل تبذير كل ماله على النساء.

كنا نروم شقة لا يزيد بدل إيجارها عن ثلث ما ندفعه في الشقة الحالية وهذا يفترض التوجه إلى المناطق الريفية. اقترح كن كن كاوازاكي وهي مدينة صناعية كئيبة منحشرة ما بين طوكيو ويوكوهاما حيث كانت تقطن إحدى عشيقاته، لذا شرعنا أنا وبوغي منصاعين نفتش عن شقة في كاوازاكي.

على أيّة حال، كانت الشقة التي تفحّصناها تقع في منطقة غريبة عسيرة التصنيف ومضجرة لم أستطع تحمّلها. العمارة نفسها لم تكن سيئة، كان يدخلها ضوء الشمس وفيراً وأراد كن كن أن نوقّع العقدين هناك وفي تلك اللحظة بالذات، غير أني رحت أنوح وأئن وأثرت شجاراً وبوغي لأقنعه بالبحث عن مكان آخر.

كنت أكره كن كن. لا يمكن إنكار أنها كانت ردة فعل شجاعة، غير أني شممت شيئاً ما مريباً حيال هذا الرجل. كان بوغي بالطبع يمارس بالتمام نوع الأعمال إياها التي كان يمارسها كن كن غير أنه لم يكن بالسليقة مريباً مثل كن كن. هناك أناس غامضون فطرياً، هم أشبه بالفطريات ولا يعيشون إلا عبر امتصاص حيوية الآخرين. أناس آخرون تراهم بالمقابل مرحين فطرياً، يشعون نوراً قادراً على بعث الدفء في الناس. كان ذلك هو الفرق الجوهري بين الرجلين.

استطعت أن أرى الحقيقة بجلاء. بوغي الذكي الطيب السجيّة مستغل من قبل كن كن المتواضع الذكاء. ولم يكن بوغي حتى يعي ذلك.

حاولت أن أفاتحه، غير أنه رفض التحدث بالأمر. كان يردد ببساطة «هذه صداقة بين رجال يتوجب على النساء أن يصمتن في ما يتعلق بهذا الشأن».

كلما كان كن كن يحضر لزيارتنا كنت ألقى معاملة قاسية. كان بوغي يهوى فكرة «أنه عالم الرجال». يدين النسوة بقسوة لكنه متسامح مع الرجال. فكرة أنه قادر على وضع ذلك القدر من الثقة في كن كن بالذات من بين كل الرجال، وجدتها تحديداً مغيظة كلياً.

«يا بوغي لن أستطيع البتة تعلّم حب هذا المكان، إضافة إلى أنه بعيد جداً وبكل معنى الكلمة عن طوكيو. سيصيبنا التعفن إن عشنا هنا!»

«همم، لعلّك محقّة، فضلاً عن أن المسافة طويلة جداً إلى أقرب ناد للعبة الماجونغ، على الرغم من أن هناك ميداناً قريباً لسباق الدراجات».

بادرته «اسمع ماذا لو انتقلنا إلى نيزو؟ إنها قريبة من وسط طوكيو، على مبعدة بضع محطات في مترو خط شيودا. الإيجارات هناك رخيصة وهي قريبة من منزلي، وثمة الكثير من البنايات القديمة والمعالم الجديرة بالمشاهدة فيكون بمقدورنا الاستمتاع بالتنزه بين الفينة والأخرى».

كان حل شهر سبتمبر وكانت الجامعة على وشك أن تبدأ دروسها. كنت لا أزال طالبة إلى حد ما، وذلك كان يعني أنه يتوجب عليّ إنجاز الفروض وأشياء من هذا القبيل. لذا كان من المناسب فعلياً أن أصل بسهولة إلى منزلي.

ثمة مسألة أخرى إيجابية بشأن نيزو وهي شهرتها بكونها منطقة خاصة بسكن الطبقة العاملة، لذا لن تقوم البتة جماعة نوادي غينزا روبونغي بالتوجه للسكن هناك، ليس حتى عن طريق الصدفة، إلى

جانب هذا كان بوغي مفلساً، لذا سوف نعدم الماما سان إلى الأبد؟

كنت أطفح ثقة بالنفس، في خلال تلك الفترة لم يساورني البتة أدنى قلق. اصطحبت بوغي إلى نيزو ونزلت من القطار بمعنويات عالية. كان هناك مكتب للسمسرة العقارية أمام المحطة مباشرة. دخلناه، وبما أن بوغي ما كان ليبالي البتة، استطعت فوراً اختيار شقة. كانت من نوع «2 ل د ك» ما معناه أنها مؤلفة من غرفتي نوم، واحدة على الطراز الغربي وأخرى على الطراز الياباني، إضافة إلى حجرة جلوس مشتركة، وحجرة طعام ومطبخ. كانت الشقة في عمارة جديدة وإيجارها 130 ألف ين شهرياً متضمناً مصاريف التدبير. كانت صفقة رابحة.

في الوسع إحراز صفقة رابحة كهذه بين حين وآخر في هذا الجزء من المدينة. يظهر أن العديد من الملاّكين قد قاموا ببناء عمارات شقق الإيجار هذه كوسيلة لتحاشي دفع الضرائب. غير أنه كان هناك عقبة غير متوقعة، فعلى خلاف الشقة في أزابو جوبان كان قرار منع إدخال الحيوانات الأليفة مطبّقاً بجزم. كان ينبغي إخفاء الهرّتين غير أني لم أعتبر ذلك مشكلة كبيرة.

«ما إن نستأجر الشقة حتى يكون في وسعنا القيام بما نشاء».

*

إن كنت راغبة في أن يكون بوغي لي وحدي يستوجب عليّ قبول بعض المسؤوليات النسائية. عليّ التأكد من أنه راضٍ بهذه التسوية. لذا سخّرت نفسي بحيوية بالغة في دور الزوجة المتزوّجة حديثاً.

بداية خرجت وابتعت أحد كتب ماسارو دوي حول مأكولات

المطبخ الياباني التقليدية. الآن وقد انتهت أيام عيش بوغي كلورد، كان مضطراً إلى تناول معظم وجباته في المنزل. يفترض بي التدرّج سريعاً من طبخي النباتي الذي كنت أقوم عامة بإعداده. لم تشجع الباستا وعجة البيض بوغي على الإمساك بعوديّ الأكل. وسينتهي به الأمر متوجهاً إلى أحضان امرأة أخرى، أو كئيباً أو مجتاحاً بحنين لزوجته الراحلة. لن يكون ذلك مفيداً قطعاً.

آن أوان أن أظهر بعض العزم الأنثوي، كل مساء كنت أعود إلى الشقة من الجامعة وأكرس نفسي لتجهيز مخزون السمك، تقشير القريدس وإلى ما هنالك.. وبعناية وتفان فائقين.

كما في امتحانات دخول الجامعة، أثبتّ أني أجاري أياً كان في براعة قراءة الكتيبات واكتساب القدرات. لم أكن أملك مدى انتباه مديداً، غير أنه كان كافياً لاجتياز امتحان في الرياضيات أو إعداد طبق «التمبورا» المقلي الهش المقرمش. كنت بارعة في تحديات قصيرة الأجل من هذا النوع.

في البداية ازدرى بوغي أطباقي، ولكن ما إن تحسّنت حتى أصبح معتاداً قضاء مزيد من الوقت في المنزل وهو يأكل ويشرب حتى ساعات الصباح الأولى.

«تماماً مثلما خططت» رددت وأنا أضحك بخفوت بيني وبين نفسي.

كان الأمر شاقاً في البداية. قمت بجولة شاملة في شارع نيزو للتسوّق، وحرصت بعناية على مصادقة كل الرجال والنساء العجائز تجار سوق السمك، ومتاجر الأطعمة ومحلات بيع المحار، ودكاكين

بيع الدجاج واللحومات الأخرى، وصولاً حتى موظفي المبيعات في سوبر ماركت اكافودادو. صادقت هؤلاء الأشخاص وحصلت بالمقابل على حسومات ضئيلة على بضاعة كانت في موسمها تماماً، وكنت أبذل قصارى جهدي جسداً وروحاً في إعداد هذه المكونات المنتقاة بعناية. ثم أقوم بعدها وبالعناية ذاتها بوضع المحصّلات المخفقة في سلة المهملات.

كان بوغي لا يغفل القيام بالاتصال، يتصل غالباً ليعلمني أنه في طريقه إلى الشقة. غير أن الأمر كان صعباً حين كان يخرج للعب الماجونغ. يستحيل أن تخمن متى تنتهي لعبة الماجونغ (هذا إن ثمة من نهاية لها) وعلى الرغم من ذلك كان يقوم بالاتصال ليقول لي إنه «على وشك أن يعود أدراجه»، بيد إن تلك الهواتف ما كانت البتة في الحقيقة تنذر بعودته، على الرغم من ذلك حين كان يعود فعلياً في نهاية الأمر مكللاً بالابتسامات مجعجعاً حول كم أن لعبة الماجونغ مثيرة للاهتمام لكونها تمنحك تبصراً مذهلاً في الطبيعة البشرية وإلى ما هنالك، ما كنت أستطيع تعنيفه.

إضافة إلى ذلك، وعلى الرغم من أننا كنا نعيش أسلوب حياة مكبوح أكثر ممّا مضى، فالواقع أننا كنا الآن نعيش من أرباح بوغي في لعبة الماجونغ. كانت مهنته، وما كان من الصواب أن أنتقده لتكريسه بعض الوقت الإضافي. أخال أنه استشعر ذلك لأنه كان يقوم عرضاً بازدراء أطباقي البارعة التحضير، ملتهماً عوض ذلك القليل من لحم العجل المقدد مع كأس من الشراب مردداً مقولة ما فحواها «لن يكون طيب المذاق لكونه ليس طازجاً».

دون أن أنبس بحرف كنت أزلق محتوى الصحن برمته داخل صندوق القمامة، أخرج كيس القمامة في سقيفة رمي النفايات، وأفرج من كربي عبر القيام بسكون بتحطيم أحد الصحون الرخيصة التي ما كنا نحتاج إليها فعلياً.

رحت أتمتم لنفسي «حينما تسخطين حطّمي صحناً».

كنت أسعل وأصفّر وأغمغم فيما أبربر لنفسي في خلوة سقيفة النفايات. كنت أعلّق آمالاً كبيرة على عملي واختلط فوق وجهي الدمع باللعاب.

كنت يوماً بعد يوم أعقص شعري إلى الخلف وأشرع بالعمل معتنية ببوغي والهرتيّن. الإطعام والتنظيف، هذا جل ما كنت أفعل. أظافري التي كانت سابقاً طويلة باتت الآن مقصوصة قصيرة، رؤوس أصابعي باتت بدورها خشنة نتيجة كل تلك المياه ورغوة الصابون وبالطبع لم يعد لدي طلاء أظافر. لم يكن ذلك ضرورياً لأن بوغي لم يكن البتة يصطحبني إلى أي مكان... ما عاد يملك المال ليخرج للسهر ليلاً.

فيما وقفت داخل سقيفة القمامة أطلقت تنهيدة عميقة، تمخطت بمئزري وحدقت في سماء ليل بداية الشتاء البارد.

في مثل هذا الوقت في السنة المنصرمة كنت أشعر أني ملكة بين الشبان التافهين من معارفي. وهأنذا الآن أعيش مثل ربة منزل حقيرة. وما كان حتى بوغي يأكل الطعام الذي كنت أجهد بمشقّة لإعداده. هأنذا داخل سقيفة القمامة أبكي وسط أكياس النفايات حيث بقايا عشائه الذي لم يأكله. كدت أتعرض لطعنات ماماسان نادي غينزا الليلي وخضعت لعمليّة إجهاض. وعلى الرغم من أن الأمور كانت على خير ما يرام مذ

فترة في أزابو جوبان، فإن مستوى عيشي كان مهدداً بالهبوط أكثر مما كان في ما مضى.

قبل بوغي كنت أواعد هاجيمي وفتياناً آخرين. كانوا يبتاعون لي أشياء، وكنا نرتاد بارات وملاهي الديسكو الليلية المثيرة وإلى ما هنالك. كنت أمارس بعض الوظائف الجزئية بين الحين والآخر، وربما أتشاطر الفراش أحياناً وكهل خمسيني، وكان ذلك مسلياً نوعاً ما بحد ذاته. أو لعله يبدو لي كذلك الآن وأنا أنظره من خلال وضعي الحالي.

في هذه الأيام لم أكن ألتقي أبداً أصدقائي القدامى الذين كانوا صحبي في السنة المنصرمة، أقلّه هاجيمي. حين اكتشف أني كنت أواعد بوغي تسمّر في مكانه فاغر الفم طويلاً حتى حسبت أنه فكه سوف يسقط. ولم أره قط من بعدها. قام على الفور بترك شركة كابوتوشو جورنال وقد تحرّر من الحاجة لتمويل مواعدتي، ما عاد بحاجة إلى العمل.

في الوسع أن تقول ما تشاء عن هاجيمي، غير أنه كان شاباً لائقاً يمتلك بعض المال. لقد انسحبت من فئة الفتيات اللائقات اللواتي يرقن إلى فتيان من نوعه. هأنذا منذ ستة أشهر لم أتوجه البتة إلى حضور فيلم سينمائي، لم أحضر أي حفلة موسيقية، وحتى ولو حصل أن التقيت عن طريق الصدفة بأحد أصدقائي القدامى، فلم يكن لدى أي منا ما يقوله للآخر. لم يكن باستطاعتي حتى احتساء كوب من الشاي مع أحد زملائي الطلاب من غير أن يستحوذ عليّ الشعور بالذنب والقلق من احتمال أن يعود بوغي إلى المنزل فيما أكون خارجاً، ويشرع بالإحساس بالوحشة وينتهي به الأمر نتيجة ذلك عائداً بسرعة إلى الماماسان.

في الجامعة كنت بالكاد أحضر ما يكفي من الصفوف لتحاشي

التعرض للطرد. بين الطلاب كانت الوحيدات اللواتي جهدت للتسكع وإياهن هن الجدّيات (فتيات ما كنت لأرافقهن إطلاقاً في سنتي الأولى) ممن كن يعرنني مدوّنات محاضرات الصفوف التي كنت أقصّر عن حضورها. بعدما أعود إلى نيزو كنت أتمدد ملتوية مع الهرّتين وأروح أنسخ بكد تلك المدوّنات.

«آه، كم أنا ضجرة!»

حتى وسط كل هذه الأفكار السوداوية العاصفة بذهني، كنت أقوم بترتيب الكسر المحطّمة من الصحون وأشعر بقليل من التحسن وأرجع إلى حجرتي مرافقة بوغي والهرّتين.

كنت قد اخترت هذه الحياة، وجعلت بوغي يختارني، لذا لم يكن هناك ما يتوجب أن أتذمر منه. هذا ما قلته لنفسي. وبالطبع أثار بوغي حفيظتي مردداً «تخيّلي أي شقاء سيصيبك إن عثرت لي على واحدة أثارت فعلاً إعجابي».

فهذه مسألة كان يفترض أن أحلّها قبل أن يؤول إلى اعتباري امرأة حقيقية. كان ينبغي بطريقة ما أن أجعل بوغي يحبنّي بقدر ما أحبه، وإلا لن يعينني أبداً كبريائي الأنثوي. الجنس، الطبخ، أن أعدّ له فنجان القهوة.. مهما تكن المهمة، كنت أجاهد لأقدّم أداء يبعث فيه الحبور إلى أقصى حدود ما هو متاح بشريّاً.

في نهاية النهار كانت بشرة بوغي مغرية إلى درجة أن متعة التحامي بها كانت تبدد سخطي من أنانيته. مهما استشاط غضبي، كان يكفيني أن ألتمس هذا العناق الدافىء وأنجرف برفق إلى النوم مطهّرة من كل الاستياء مترعة الصدر بالحبور.

كان يقول لي «هاي، لقد صار الطقس بارداً سيبرد الواحد إن نام مجدداً وحده، أليس كذلك؟»

*

كنا نقترب من فصل الشتاء. كانت محفظة بوغي تعاني شتاء مالياً مستداماً. كان يجد مشقة أكبر في تمويل حملات مشاركته في لعبة الماجونغ. كان عليه عادة أن يستدين مال المراهنة قبل أن يستطيع الشروع باللعب.

كان ينكبّ على دفتر عناوينه ثم يتصل بأحدهم وينطلق بسرعة لملاقاته ويعود حاملاً مائتي أو ثلاثمائة ألف ين تدبّر استدانتها. بدا الأمر غامضاً.

«من هم هؤلاء الأشخاص الذين يقبلون إقراض ذلك القدر من المبالغ؟»

كنت قلقة من احتمال أن يكون قد استأنف علاقته بالماماسان. غير أن بوغي رد ببساطة «إنه مال.كنت قد أقرضتهم إياه، لذا، إني أسترجعه وحسب».

لم أكن أمتلك أي مشاعر أخلاقية مسرفة حيال سؤال من أين كان الأشخاص الآخرون يحصلون على مالهم، لذا أكتفي بهزّ كتفّي بلامبالاة واثقة بكلام بوغي. تابع تصرفاته المتكتمة. كان لديه حالياً هاتفان، كل واحد منهما برقم مختلف ولم يكن مسموحاً أن أردّ على اتصالات أحدهما. كان كل شيء مشبوهاً مثيراً للكثير من الشكوك.

كان في مقدورنا تدبر أمرنا عندما كان يربح المال في لعبة الماجونغ،

لكنه كان مؤخراً يواجه سلسلة متتابعة من الخسارات. لم تدفع فواتير المنافع وكنا نواجه احتمال قطع الهاتف والكهرباء والمياه. ساعة يده وكل مجوهراته كانت أمست منذ وقت طويل في مكتب المسترهن وتوجب أن ندفع فوائد لنتحاشى مصادرتها. حتى أنه قمنا في الواقع برهن الخاتم الذي كانت قد أهدتني إياه أمي في عيد ميلادي لدى بلوغي العشرين.

كان يسأل «بحق الجحيم، ما الذي أصاب حظي؟» ويضيف «لقد سقطنا في الحضيض أتعرفين، منذ زمن طويل جعلت إحدى العرافات تقرأ لي كفيّ وقالت لي إن الأشخاص الذين يملكون خطوطاً شبيهة بكفي يحظون دوماً إمّا بحظ خارق أو بحظ رديء، لا شيء بين بين. قالت لي كذلك إن الأوقات الطيبة وتلك العجاف يتعاقب حدوثها في دورة تتكرر كل سنتين، سحقاً سأكون بغاية السعادة إذا حصل التغيير».

«هيا نلقي نظرة على باطن يدك».

كان بوغي يملك فعلياً كفاً غير اعتيادية. ولديه خطوط كبيرة ضخمة بدت كما لو أن أحداً قام برسمها بواسطة قلم عريض. كانت يداه تشبهان أيدي شخصيات الرسوم المتحركة.

«هاي! لديك يدا شخصية كرتونية!»

«سايا مذهل مرحك إن أخذنا بعين الاعتبار إلى أي حد نحن مفلسين. إن كنت لا أملك بضع أوراق نقدية من فئة عشرة آلاف ين في محفظتي أخاف شديد الخوف من الخروج. في المقابل أنت تتوجهّين مبتهجة إلى الجامعة وفي حوزتك ثلاثمائة ين، صحيح؟»

«بلى»

«أحقاً لا يزعجك ذلك؟»

«على الإطلاق! لديّ بطاقة الباص المجانية للوصول إلى هناك وثلاثمائة ين كافية لابتياع فنجان قهوة إن رغبت في واحد. إن برز على نحو غير متوقع شيء ما في مقدوري دائماً استعارة بعض النقود من صديقة وأعيدها إليها حين أراها مجدداً.

«هذا رائع، أنا أصاب على الفور بالاكتئاب حين أكون مفلساً، أمسي في غاية الاكتئاب».

في الواقع كانت الحقيقة فيما يتعلق بوضعي المالي إلى حد ما مختلفة. إذ كنت أعود إلى منزلي بين الفينة والأخرى وأقوم ببعض التنظيف لأمي التي كانت تدسّ في جيبي بعض المال مقابل مجهوداتي. إن الذهاب إلى الجامعة يستلزم بالفعل الكثير من المصاريف الصغيرة، وهذه الهبات الضئيلة كانت إلى حد ما تغطيها. بيد أني لم أكن سأدع بوغي يستخدم تلك النقود لتمويل حملات الماجونغ خاصته، لذا لزمت الصمت والتكتم حول الموضوع.

على أيّة حال، كان هذا مالاً كانت كسبته أمي الموقّرة بعرق جبينها، عاملة بكد في وظيفتها الخاصة. كان مبدئياً مختلفاً عن المال المعطى كبخشيش لمضيفة في ملهى ليليّ أو المجنيّ على طاولة الميسر، أو المكتسب نتيجة العبث بأسهم البورصة. لكن على الرغم من أني كنت عاجزة عن منح بوغي المال فقد كنت أحياناً أقدم لنفسي إحدى الأطعمة الهدايا التي كانت مكوّمة بغير نظام في شقة أمي. قطعة مليحة من لحم الجامبون لربما، أو بعض علب الفاكهة المحفوظة، وحتى أحياناً كيساً من الأرز أو القليل من الشاي الأخضر. كان شركاؤها في العمل يهبونها

هذه المواد الغذائية خلال موسمي إعطاء الهدايا في الصيف والشتاء، وكان هناك على الدوام الكثير من المتروكات لذا لم يكن هناك أي ضرر في قيامي بما كنت أفعل. ولم أقم بإخبار بوغي كذلك عن عادتي هذه.

لم أكن أرغب في جعل بوغي أكثر اكتئاباً مما كان أصلاً حيال مسألة المال. في الوسع أن تخمن انحطاط ثروته من خلال عادات شربه. من «الهينيسي» انحدر إلى «الشيفاز ريغال»، ثم إلى «وايلد توركي»، إلى «فور روزيز» ثم انحدر أكثر نزولاً وصولاً إلى «كاناديان كلوب». ومن «كاناديان كلوب» وصل به الأمر في النهاية إلى الانقطاع بالإجمال عن شرب الويسكي والبوربون واكتفى باحتساء الـ«بيني أوتوم» وهو نوع الشوشو وهو كحول محلي رخيص على الرغم من أني أعتقد أن «بيني أوتوم» ويعني الاسم «العذراء القرمزية» ماركة كحول محترمة إلى حد ما.

كنا نبذل قصارى جهدنا على الرغم من المصاعب. كنا نقوم بمزج شراب الشوشو بالمياه الحارة ونضع فيه بعض الخوخ المخلل المملح وهو طعام مترف كنت أحضرته من عند أمي وأقوم بإعداد بعض السمك المتخمّر الذي يصدف أنه يلائم بشكل ممتاز شراب الشوشو وكان ذلك يمنحنا سعادة الملوك. كان السمك يبعث رائحة كريهة (كان يدعى كوسايا ما يعني «كريه الرائحة» باليابانية) وتلقينا احتجاجات من الجيران، غير أننا ما كنا نأبه.

«هل تعرفين النجمة السينمائية بوشيكو ساكوما؟ يبدو أنها كانت تتناول الكوسايا والشوشو كل مساء. تقول إن لا سعادة تضاهي ما ينتابها من حبور وهي تتناول وجبة الكوسايا والشوشو».

كان ذلك الخاطر يبعث في بوغي بهجة عارمة. في تصرفات عجيبة من هذا النحو لم يكن مختلفاً أبداً عن أي رجل آخر متوسط العمر. كان يهوى عالم الأضواء وعلى الأخص الممثلات الأكثر فتنة في جيله.

فيما يختص بي، كان مذهلاً كيف أن الفقر بالكاد أقلقني. كنت أتفهّم أن يجد بوغي ذلك محيّراً، إذ أنه كان شعوراً محيّراً فعلياً بالنسبة لي أنا أيضاً. غير أني ما كنت بحاجة للنقود. باستثناء قضائي الحد الأدنى من الوقت في الجامعة فلقد كنت أمكث تقريباً باستمرار في الشقة مع الهّرتين. كانت الشقة أسوأ بكثير من تلك التي كانت في أزابو جوبان. كانت تحوي حجرة واحدة يابانية الطراز والفسحة الخاصة بالجلوس- هي نفسها مكان تناول الطعام- كانت مكسوّة برقاقات بلاستيكية شنيعة. على الرغم من ذلك، كانت جديدة ومفعمة بضوء الشمس.

معظم المفروشات كانت من ذلك الطراز القديم نفسه الذي كان لدينا في أزابو جوبان، وبما أن الشقة لم تكن تحوي خزانة، قمنا أيضاً باقتراح من بوغي بابتياع خزانة بلاستيكية رخيصة لأجل ملابسنا.

«واو كنت أجهل أنهم ما زالوا يصنعون أشياء من هذا الطراز!»

هذه كانت ردة فعلي حين أبصرت الخزانة البلاستيكية في متجر المفروشات. إلى هذا بما أن الهريرتين كانتا لا تزالان في سن تنزعان فيه إلى الأذى، توجب علينا أن نمد سجادة ثقيلة فوق حصائر التاتامي في الحجرة ذات الطراز الياباني. في الوسع أن تتخيّلوا الخراب الذي كانت ستلحقه الهرتان بحصائر التاتامي الناعمة وهما تشحذان جذلانتين مخالبهما فيها.

اقترح بوغي «بهذه الحالة ما رأيك بسجادة خضراء حشيشية؟»

وأضاف «ستهب الحجرة جوا طيباً دافئاً».

أجفلت رأسي ونكسته مرتعبة. كانت أذواق بوغي لا تزال متشبثة بالسبعينيات. يعجب بطرازات كانت على الموضة حين كنت لا أزال في المدرسة الابتدائية. حين أفكر في الأمر أرى أنه لا بد كان قرابة ذلك الوقت يعبر المرحلة الانتقالية إلى سن البلوغ وهو الوقت الذي تتشكل فيه أذواقك إلى سن البلوغ. وأحسب أنك تحتفظ بها بعدها إلى الأبد. ولهذا السبب انتقى السجادة الخضراء الحشيشية اللون والمفروشات البنية المحمرّة. كان ثمة شيء ما معتم وثقيل الوطأة حيال المشهد برمته.

لا بأس، كنت راضية بالشقة. وقت كنا لا نزال نملك مالاً خرجنا وابتعنا لنا نشّافة آلية للملابس من أحد متاجر الأدوات الكهربائية الكبيرة في أكيهابارا، لذا لم يكن لدي أي مشكلة في القيام بفروضي الجامعية وأعمالي المنزلية هناك.

أفضل ما في الأمر أن بوغي كان إلى جانبي طوال الوقت تقريباً. كونه بلا وظيفة ومفلساً كان يعني أنه مضطر للمكوث في المنزل بصرف النظر عن جلساته الخاصة بين الفينة والأخرى مع كن كن مخططين لخساسة ما جديدة بلا أدنى ريب.

كنا نتوجه عادة إلى متجر أفلام الفيديو ونستأجر كومة من الشرائط لنشاهدها معاً. الأفضل أن لا أتحدث كثيراً عن ذوق بوغي في انتقاء الأفلام (معارك ساموراي بالسيوف ورجال شرطة ولصوص وهذه النماذج تختصر كل الكلام) غير أنه كان دافئاً وحميماً أن نشاهدها معاً. أحياناً كنا نخرج معاً للتسوق ثم نقوم بالطبخ معاً.

عندما كانت تتكشف مواهبه كخبير في المآكل، كان بوغي يقوم

بنفسه بطبخ الكثير من الأطباق وينجز حتى مهمات روتينية مثل غسل الخضار وتنظيف أحشاء الأسماك. كان بالطبع يتذمر بشأن فقرنا، غير أنه كان قادراً على التمتع بالحياة وهو مفلس. كان في متناولنا متسع من الوقت فكنّا نخرج إلى نزهات في الجوار.

ثمة عدد كبير من المنازل القديمة الفخمة في نيزو. كان بوغي ينظر إلى تلك الأملاك ويقول «لو أني كنت فقط ولدت في أحد هذه المنازل، لكنت قادراً على ممارسة مهنة محترمة من غير أن اضطر إلى تحمّل كل هذا. ثم قد أقدم مجدداً على تبديد ثروتي خلال ستة أشهر». وكان يضحك من ذلك الخاطر.

شيئاً فشيئاً استطعت أن أحيا دون تحطيم صحون. غير أن بوغي كان يخطط لمشروع ما جديد مع كن كن ولم يكن الأمر يسير بشكل جيد. كان يخرج لحضور جلسة تخطيط ويعود إلى الشقة في حال من الإحباط الشديد.

وقد جعلني ذلك تذكر ما كان والدي يردده في أوقات مماثلة أعي «كم هو بائس أن تكون رجلاً معدماً». كانت أمي متكبّرة وعرفت أنها كانت حتى تعمل من أجل المساعدة في دفع الفواتير والمحافظة على المظاهر. بينما كان والدي يتدبر أموره في الحياة، كانت زوجته وأولاده يشتكون من عقمه. يستحيل أن ينتهي بي الأمر كذلك. كنت مقرراً بشكل حاسم أن لا يصيبني ذلك. قضاء معظم الحياة مترنحاً في الاتجاهات داخل قطار مزدحم، يتنمر عليك طوال اليوم رب عمل حقير، رؤية زوجتك وهي تدسّ في جيبها كل معاشك وتعطيك ما يكفي بالكاد لابتياع السجائر، العودة إلى المنزل وتكون عرضة للرجم

بشكاوى العائلة، وعدم الخروج إطلاقاً ولو مرة وحيدة إلى المدينة لقضاء سهرة طيبة. أتدرين يا سايا، ثمة عالم في الخارج تستطيعين فيه اللهو عبر إنفاق المال وحسب. غير أن الكثير من الأشخاص ينتهون في القبور. من غير أن يدركوا هذا البتة. أبيت أن يكون ذلك قدري. تخلّيت كلياً عن التفكير بحياة محترمة. رغبت وحسب في انتزاع ما استطعت من المال. كان ذلك هو القرار الذي اتخذته».

كان واضحاً أننا أنا وبوغي جئنا من المصدر نفسه. كان كلانا نشأ في منزل عائلي مع والد اعتبر الحياة دون معنى ووالدة تستأسد عليه بسبب ذلك، وفي عروق كل منا كانت تسيل دماء ذلك الأب اليائس وتلك الأم المستأسدة. وكان كلانا يكره ذلك.

كان بوغي شاهد والده وقرر أنه مهما حصل فسوف يتحاشى أن يصبح رجلاً مثله، ونظر إلى أمه وقرر أنه لا مجال لأن يعيش أبداً مع امرأة مثلها. وعلى غراره كنت اتخذت قراراً بأن لا أعيش أبداً مع أحد ما يشبه والدي وألا أمسي أبداً امرأة شبيهة بأمي.

إذاً ماذا كان يجدر بنا أن نفعل حيال الأمر؟ اعتمدنا نظماً صارمة. كان كلانا حاذقاً ومتعدد البراعات، لذا كان في وسعنا إلى حد ما القيام بكل ما يقع بين أيدينا. غير أننا ما التزمنا أبداً بشكل فعلي بالقيام بأي شيء، وسرعان ما أصبنا بالضجر. كنا نتطلع إلى أسهل الطرق للحصول على مرامنا. صرنا جامحين ومتهوّرين، وحين عثرنا أحدنا في الآخر على شريك من نفس المزاج والتفكير، صرنا أكثر شراسة وأشد تهّوراً.

كنت على وشك إدراك العشرين من عمري ولم أنتبه إلى أني كنت أفقد السيطرة على زمام الأمور. حين كان بوغي يحدثني عن هذه الأمور

كنت أنصت إليه مثل تلميذ صغير يستمع إلى طاعن في السن يحدثه عن الحياة. الفكرة الوحيدة التي احتلّت عقلي البالغ الصغر كانت أني وددت البقاء مع بوغي إلى الأبد. في ذلك الوقت كان يأكل الطعام الذي كنت أطبخه، لذا لم يكن هناك من حاجة لتحطيم أي صحن.

بادرني مرة بالقول «أو تدرين أني أنسى حقيقه أمور العالم ومشاكله حين أكون بمعيّتك». وتابع «أتذكرين حين بدأنا العيش هنا وما كنت أقرب الطعام الذي تعدّينه؟ لم يكن السبب في أن الأطباق التي كنت تعدّينها ما كانت تبدو طيّبة المذاق أو ما يشابه، قد لا أبدو كذلك لكني في الواقع حسّاس جداً، وقبل أن أعرفك ما أكلت البتة أي شيء باستثناء أطعمة أعدها طهاة المطاعم أو زوجتي. مجرد أني قادر على أكل ما تعدينه يشير إلى أني بدأت أثق بك».

سررت كثيراً. كانت هذه ثمرة مجهوداتي في كل دقيقة وكل ثانية مذ بدأنا العيش معاً في نيزو، عملت بتركيز كليّ بهدف كسب تلك الثقة.

كان واضحاً بالنسبة إليّ أن السبب من وراء شعور بوغي بتلك الوحشة الشديدة كان عجزه عن الوثوق بأحد. إن ما يسبب جموح قلب أحد ما هو الشك باستمرار بأنه أو أنها سوف تتعرض للخيانة، أو الاستغلال أو الخداع. إن امتلكت شخصاً واحداً أو شخصين تستطيع الوثوق بهما بشكل تام، من النوع الذي يمنحك الشعور بأنه حتى ولو خانك أو استغلّك فإنك سوف تسامحه عندها تكون في منأى من العزلة.

إن التعرّف إلى بوغي علّمني ذلك. لهذا السبب استطعت إدراك

السعادة، وأردت أن يدرك بوغي الشعور نفسه لأن ذلك كان أكثر الأمور ضرورة بالنسبة لشخصين مثلنا. غير أن كسب ثقته استهلك طاقة كبيرة، طاقة كان مصدرها عمق أحشائي. كنت أتعامل مع دب جريح، دب كانت ندوب قلبه عميقة جداً.

*

فيما روّضت تدريجياً دبيّ، اعتاد هو من جهته على منحي شارات ضئيلة من العاطفة. في طريق عودته متأخراً في الليل من جولة للعب الماجونغ، كان يحضر معه بعض القريدس من مطعم سوشي قريب بهدف إرضائي.

«أولم تقم أبداً ماماسان نادي غينزا الليلي بإعداد طعام لك؟»

«في أحيان نادرة، تقريباً مرة في السنة. حلقات الكالاماري مع لحم العجل المقلي، أشياء من هذا القبيل. ما كنت آكل منها أبداً. على ذكر الحلقات فقد كانت هي من أخبرني عن تلك اللوالب الحلقية التي تستخدمينها لتحاشي الحمل».

وجب أن أضحك كصدى لضحكاته.

كنا أنا وبوغي على وشك أن ندرك السنة الجديدة فقيرين لكن أيضاً مغرمين. الواضح أن صاحب مطعم السوشي كان يدين له بالمال (كانا زميلين في لعبة الماجونغ)، لذا كان بوغي ينهره مجبراً إياه على تموينا ببعض الأطباق الخفيفة الطيبة المبهجة، مثل السلطعون وبطارخ السلمون والتونا. تلك الأطباق البحرية الطازجة كانت لربما أيضاً بدل دين مقامرة. حسب تفسيره لم يكن الرجل مديناً له بالمال لأنه استعاره،

إنما لأنه كان راهن به وخسره.

استطاع بوغي أن يجمع بعض النقود من خلال القيام بمراهنات ضئيلة في لعبة الماجونغ خلال الأسبوع الأخير من السنة، واستخدم بعضاً منه لاستئجار سيارة لكي يكون في مقدورنا التوجه بها إلى الشاطىء ومشاهدة بزوغ الشمس فوق المحيط يوم رأس السنة. كنت عدت إلى منزل والدتي قرابة نهاية السنة لأساعدها في إنجاز تقليد تنظيف عموم المنزل، وتلقيت بعض الدروس في كيفية ارتداء الكيمونو بشكل صحيح. وقد أتاح لي هذا أن أسعد بوغي بالظهور أمامه في الكيمونو الجديد الذي كانت أمي قد أوصت عليه من أجلي.

بعدها آن أوان الانغماس في بعض التقاليد الأخرى الطريفة، مثل أول جولة ماجونغ في السنة وأول مضاجعة في السنة. كانت تلك الأيام لطيفة. لعله صحيح أنه في بداية العلاقة الغرامية في الوسع أن تجد حتى منتهى السعادة في حالة الفقر المتواضع.

الفصل الرابع

كنا مجدداً على أبواب الصيف وأصبحت في العشرين من عمري. وكالعادة كنا مفلسين.

في يوم عيد ميلادي، جمعت مصروف الجيب خاصتي، ابتعت قنينة من نبيذ أكاداما العسلي وكعكة عيد بألف ين وغنيّت «هابي برثداي» لنفسي وللهرتين اللتين كانتا ولدتا في الربيع. كنت نوعاً ما متضايقة من بوغي الذي كان تجاهل كلياً عيد ميلادي.

ليس الأمر وكأني سأصر على رجل في منتصف العمر أن يكتم ارتباكه ويبتاع لي شيئاً ما شديد الرومنسية مثل باقة من الأزهار. ما كنت أتوقع أي شيء معقد. شعرت وحسب أن شيئاً ما صغيراً لكان بدا لطيفاً.

أشرت لبوغي بالقول «إن الناس يبتاعون شيئاً ما في مناسبات من هذا النوع».

أجاب «اسمعيني جيداً» وأضاف «أنت تتحدثين إلى رجل لم يستطع حتى تذكر عيد مولد ابنته بالذات. ما احتفيت البتة بزوجتي في عيد ميلادها أو في ذكرى زواجنا، ولا مرة واحدة. إن كنت ترغبين بواحد يفعل من أجلك هذا النوع من الأمور، فاذهبي واعثري لنفسك على رجل أصغر سناً».

في أوقات كهذه كانت تعود إليّ رغماً عني كلمات أمي «ثمة فرق شاسع ما بين الافتراق عن أحد ما وهو لايزال حياً والافتراق بالموت.

كانت جدتك تقول في ما مضى إنه إن تركك أحدهم وهو حيّ فإنك تتذكرين وحسب أفعاله السيئة ولكن إن فرّقكما الموت فإنك تتذكرين وحسب الأمور الحسنة. حين يموت أحدهم تبقى الذكريات الجميلة لا غير».

أعتقد أنها كانت محقة تماماً. بالفعل كان بوغي يردد غالباً «أتدرين، لقد أحببت فعلياً زوجتي» وكان يتدفق دمعه حين يردد ذلك.

«أو هل يتصرف الرجال على هذا المنوال مع النساء اللواتي يعشن معهن فعلياً؟» هذا ما خطر لي، لكن بما أني كنت أعشق بوغي تغاضيت عن المسألة.

غالباً ما كان يغيظني بانعدام حساسيته الخرقاء، غير أن تحمّل ذلك كان أفضل بكثير من وجوب الانفصال عنه. على الرغم من ذلك، إن أخذنا بعين الاعتبار تلك العلاقة الحميمة المحبة التي كانت بيننا، فإن تجاهله الكلي لعيد ميلادي بدا لي فعلياً غير لائق.

حتى أن مشاهدتي وأنا أتولّى متباهية حفلتي الصغيرة المتوحدة مع الهرتين أمام ناظريه تماماً، لم يبد أنها أزعجته على الإطلاق. كل ما فعله كان أن صبّ له جرعة من شراب جون شوشو.

كان قد نزل عدة درجات على سلم أنواع الكحول، فهذه الماركة كانت تستهدف المستهلكين الشبان وكانت حتى أرخص ثمناً من ماركة بيني اوتوم وراح يرشفها بين الحين والآخر غير متأثر كلياً بالمشهد المثير للشفقة.

كان هناك مكان وحيد استطعنا فيه أن نأكل خارجاً، وكان مطعم السوشي المحاذي لنادي الماجونغ. لم يكن بوسع بوغي أن يتناول أي

وجبة في أي مكان آخر دون أن يدفع نقداً. مالك المطعم كان قد خسر بضع مرات في مواجهة بوغي في لعبة الماجونغ ما خوّل بوغي مطالبته بالوفاء بدينه من خلال وجبات السوشي والكحول. كنا لربما قد أكرهنا في المنزل على احتساء كحول الشوشو، لكن هنا على الأقل لا يزال في وسعنا أن نتدلّل ونحتسي الهينيسي والـ«ريمي ومارتان». كنا نأكل فقط قطعة السمك الموضوعة فوق السوشي، مزدرين الرز، ونحتسي بإسراف البراندي الممزوج بالماء. هذه عادة ما كنا نستطيع التخلص منها مهما أدركنا من الفقر.

الشراب كان كسبه بالمقامرة. كان بوغي مقامراً حتى العظم، والمقامرون هم في أعماق نفوسهم صيادون. قد ترضى سلالة الفلاحين بجمع ثمرات تعبها يوماً تلو الآخر وبطيئاً غير أن الصياد قد يجازف بحياته مقابل فرصة وحيدة سريعة الزوال. الفرق واضح. لكي يستطيع الصيادون البقاء والاستمرار هم بحاجة إلى ضحية. إنهم أكلة لحوم لا يستطيعون العيش دون أن يضحّوا بكائن حي آخر. ولا يخالجهم أي شعور بالذنب. الضحية هي هبة بعثتها لهم السماء. وفي الوقت نفسه حتى إن كانت سمكة صادوها احتوت سمّاً خطيراً فإنهم لن يندموا إن هم فقدوا حياتهم طالما أنها السمكة طيبة المذاق. هذه هي بإيجاز كلّيّ رؤية بوغي للحياة.

عندما كان يحل يوم الجمعة، كان بوغي يركّز كل تفكيره على لعبة الماجونغ في محاولة جاهدة لجمع بعض التمويل من أجل نهاية الأسبوع. إلا أنه مؤخراً كان يجد مشقة في جمع ما يكفي من المال ليراهن به. وكان سبب ذلك يعود جزئياً إلى أنه كان يخسر باستمرار. كنا قاسينا

مراراً عطلات نهاية الأسبوع داخل المنزل حين كنا مفلسين إلى درجة أعجزتنا عن التوجه إلى أي مكان. بالنسبة إلى فتاة صغيرة ومثلي ورجل عاشق للهّو مثل بوغي كان هذا أمراً لا يحتمل.

«آه، يا إلهي، أتمنى لو نستطيع الخروج إلى مكان ما».

«مهلاً.. الم تقولي أنك تملكين بطاقة ائتمان مصرفية؟»

«بلى»

«كم هو المبلغ الذي يسمح لك بسحبه بواسطتها؟»

«أعتقد أنه مائتا ألف ين».

«رائع! اذهبي واقترضي المبلغ على الفور. سوف أرجعه لك مضاعفاً بلمح البصر».

وهكذا مضحيّة ببطاقتي الائتمانية «ماروي» الحمراء، استأجرنا سيارة وتوجهنا إلى صيد الأسماك.

حاملاً مبلغ المائتي ألف ين لتمويل تكاليف رحلتنا على مدى ليلة ونهارين كان بوغي ينضح ثقة بالنفس. وبالفعل بدا أن حظه كان بدأ يتبدل، استيقظنا في الثالثة صباحاً، استأجرنا مركباً وسحبنا سريعاً ببكرتي صنّارتينا أسماكاً مكتنزة إلى حد أن ربان المركب الكبير في السن عجز عن تصديق ما رأته عيناه. حتى أنا المبتدئة استطعت اصطياد سمكة ذئب البحر عملاقة. جعلت تشد بقوة رهيبة فخلت أنها سوف تجرّ المركب خلفها، إلا أنه بمساعدة صاحب المركب المذهول قدّر لي في النهاية أن أسحبها إلى داخل المركب.

«يا لها من سمكة ضخمة!»

مغمورة ببهجة غنيمتي المذهلة نسيت كليّاً أن سمكة ذئب البحر قد

اصطيدت بالدين.

الشبان يتعلمون بسرعة «المال هو مجرد مال، كيفما استحصلت على ورقة عشرة آلاف ين نقدية، فإنها تظل تساوي عشرة آلاف ين» كنت حفظت درس بوغي عن ظهر قلب لحظتما اندفع مبلغ المئتي ألف ين خارج الصراف الآلي مشابهاً تماماً للمال السهل في محفظته. مال خفيف، كخفّة النقود المزيّفة المصنوعة من أوراق الشجر الميتة، تلك التي تستخدمها حيوانات الراكون في حكايات الجن اليابانية.

في ذلك اليوم عجلّنا بالعودة إلى طوكيو بأقصى سرعة. قام بوغي بقشط سمكة ذئب البحر العملاقة، قطعّها وأكلناها كطبق من الساشيمي.

«يا بوغي لقد قال لي صاحب المركب إن هذه سمكة خارقة النوعية وثمنها 2500 ين حتى ولو ابتعتها مباشرة من رصيف الميناء!؟»

«هذا رائع أليس كذلك؟»

«بلى أوليس طعم السمك طيباً حين تصطاده بنفسك؟»

«بالتأكيد، يا له من يوم يا سايا! لقد حققت نجاحاً باهراً هذه المرة».

في نهاية الأمر حوّلت فاتورة بطاقة الائتمان خاصتي غير المدفوعة إلى كفيل البطاقة والذي كان بالطبع أمي. وانطلاقاً من قاعدتها الحديدية بتحاشي الدين بأي ثمن فقد كانت ردة فعلها متوقعة. أطلعتها على حقيقة السبب الذي دفعني إلى اقتراض المبلغ، غير أن صدقي أخفق في التأثير بها.

«أيتها المغفلة الصغيرة أنت دون البشر!»

كانت النتيجة أنها انتزعت مني البطاقة الائتمانية.

راح بوغي يواسيني قائلاً «رباه آه رباه» وأضاف «قولي لأمك إني حين أحقق ربحاً كبيراً فسوف أرد لها المبلغ مضاعفاً عشر مرات».

غالباً ما سمعت بوغي مردداً أشياء من هذا القبيل، غير أني ما عرفته أبداً يردّ قرشاً واحداً. أنا نفسي لم أشعر بأي ذنب. وما كان ليزعجني كثيراً أن أمي قطعت كل العلاقات بي جراء ذلك. حسناً، قد ترفض دفع نفقات تعليمي، وماذا إذاً؟ كانت الجامعة مكاناً مضجراً، وما شعرت بأدنى تعلّق بها. ما دام لدّي بوغي فإلى الجحيم كل ما تبقى.

كان لديّ الهرّتان، ولدّي بوغي ومكان أعيش فيه وطعام آكله. يستحيل أن يقف أحد ما في طريقي وكانت الحياة دافئة مريحة إلى أقصى الحدود. وكنت أحب بشكل خاص بطن بوغي الناعم الأشبه بوسادة. بالنسبة لي كان هذا شيء في الحياة لا يمكن البتة الاستعاضة عنه. ما دمت أملك تلك الوسادة أضمها والتمس فيها الدفء فلست لآبه لأي أمر في العالم.

فبينما ازددنا عشقاً وغراماً كنا نقضي كذلك المزيد من الوقت في السرير.

«أتعرفين يا سايا، حين أكون معك ينتهي بي الأمر لا أدري كيف ممارساً الجنس. ما كنت بالمهتاج جنسياً على هذا النحو فيما مضى».

اعتبرت ما قاله بمثابة مديح.

كانت شقة نيزو على الأقل غنيّة بضوء الشمس، وكانت مجموعة جرائنا تجول في الأرجاء تحت ضوء الشمس. لم يكن بحوزتنا أي مال، بل الكثير من الهررة والجراء ومرّت الأيام وسط سديم وردي

من الحب.

*

فجأة ذات يوم أذعيت على التلفاز أخبار مقلقة، قُتل رئيس شركة «توميتا ترايدينغ»، قطّع إرباً إرباً بواسطة سيف، لم يحاول المهاجم البتة الهرب، وملأت صور له وللجثة المدماة الشاشة، بالمقاييس اليابانية كان ذلك يعتبر خبرا فظيعاً، وقمت غريزياً بحجب عيني.

طوال الليل جعلت كل محطات الأخبار تعرض الصور الصادمة بشكل متواصل. الواضح أن «توميتا ترايدنغ» كانت شركة خطيرة قامت بنهب أموال آلاف الزبائن. في الواقع بدا القاتل هادئاً جداً ويشبه إلى حد ما بويا اوشيدا النجم السينمائي. كان لديه شريك، رجل ذو لحية هائلة جعلته يبدو أشبه بإرهابي كان الأمر شبيهاً تماماً بمشهد من فيلم بوليسي.

تنهد بوغي قائلاً «آه يا إلهي، لقد استطاعوا قتله أخيراً»

«ماذا؟»

«بصراحة يا سايا أنت فعلياً لا تنصتين حين لا يهمّك الأمر أليس كذلك؟»

كان هذا صحيحاً. إن لم يكن الأمر يبدو مسليّاً فما كان يؤثر بي البتة. ما كنت أقرأ إطلاقاً الصحف أو المجلات الأسبوعية. عقب البؤس المتتالي الذي عشته في مراهقتي، اكتسبت تدريجياً عادة أن أحجب عنّي كلياً بشكل لاواع أي خبر يمكن أن يكون مثيراً للقنوط.

بوغي على نقيضي كان مدمن أخبار. كان يقعد طويلاً مستغرقاً في

قراءة مجلات الأخبار والصحف، فيما أكون أنا منحشرة فيه مستغرقة في عالم مجلات الأزياء الحلمي ومجلات القصص المصورة.

«آه بلى، كنت قد ذكرت شيئاً حول هذا الأمر».

«لم لا تلقين نظرة بين الحين والآخر إلى الصحف؟»

«إن الحبر يوسّخ يدّي».

«مضحك جداً».

في اليوم التالي كان هناك موضوع آخر في نشرة الأخبار، كان جرى إلقاء القبض على الرئيس الأسبق لشركة كابوتوشو جورنال. هذه المرة وجدتني مهتمّة إلى درجة أني قرأت بعض المقالات. يبدو أن نشاطات الشركة غير المشروعة كانت قد كشفت منذ وقت بعيد في أغسطس في العام المنصرم وتماماً بعدما ترك بوغي ورفاقه الشركة، وأعلنت «شركة خطيرة». لم أكن حتى قد لاحظت ذلك التطور على الرغم من واقع أني مرتبطة بعلاقة غرامية مع أحد الأشخاص المتورّطين مباشرة في الأمر. في الواقع حتى أنا شخصياً عملت هناك، ولو لفترة وجيزة كموظفة في دوام جزئي. لذا بالتأكيد كان يفترض أن أكترث، لكني لم أكن مهتمّة. كانت الأخبار تدخل وحسب من إحدى أذنيّ وتخرج من الأخرى. في ذلك الوقت كنت منشغلة جداً بالقلق حيال مشكلة ماماسان شارع غينزا وقضية الإجهاض وإلى ما هنالك وما اكترثت للانتباه لكل ذلك.

نشرت إحدى المجلات صورة غير واضحة بالأسود والأبيض لرئيس شركة كابوتوشو جورنال الأسبق. يبدو أنه كان مختبئاً في الخارج، لكن حين سمع نبأ مقتل رئيس شركة توميتا قرر تسليم نفسه للشرطة قبل أن يتعرض لأمر ما مماثل.

هذا ما كان يقصده بالتأكيد بوغي حين وصفها بالشركة الخطرة.

فجأة بدأت أهتم بالمسألة. بين صور الموظفين الإداريين الكبار في الصحف والمجلات كان هناك واحد أعرفه.

إذاً لقد كان هذا هو الرئيس!

عادت بي الذاكرة إلى اليوم الذي دعاني فيه رئيسي في كابوتوشو جورنال إلى العشاء في مطعم الهلال. الرجل الذي في الصورة الفوتوغرافية كان يجلس بمواجهتي تماماً إلى الجهة المقابلة من الطاولة. خالجني شعور غريب. لم أشعر بالخوف أو الحقارة. كان بدرجة أكبر شعوراً بالإثارة كما لو أني مثلت دوراً صغيراً جداً في فيلم تشويق سينمائي. تساءلت ما إذا كان كل المجرمين يخالجهم الشعور نفسه.

كنت فتيّة وبصحة ممتازة ولا أهاب شيئاً. كل ما في الأمر أنه لم يكن بوسعي أن آخذ أي شيء على محمل الجد. كان كل ما هنالك ممتعاً للغاية. لذا، حتى مع حوادث كهذه، لم يخطر ببالي قط أن أمراً ما سيئاً يمكن أن يصيب بوغي، أو يمكن باحتمال أقل أن يصيبني أنا. بالكاد فوجئت.

تلقيت اتصالات هاتفية من بعض الأشخاص الذين كانوا على علم بعلاقتي مع بوغي. أحد الاتصالات كان من ميناكو. لم يسبق أن اتصلت بي منذ أمد طويل.

«أو هل ستواصلي علاقتك مع هوتا على الرغم من كل هذا».

كانت قلقة وبدت كذلك مشمئزة. كنا صديقتين حميمتين، وأعرف أن مأخذها على بوغي كان أنه انتزعني عنها. غير أني ما كنت لأدع حفنة الأخبار السيئة تلك تقف حائلاً بيني وبين بوغي.

«إن كنت تنوين توبيخي سأقفل الخط».

كنت وبوغي قريبين جداً وبدا أننا كنا ملتصقين بالغراء. ولقد كان غراء قوياً جداً جداً، قوياً إلى درجة أنه إذا حاولت فصلنا الواحد عن الآخر فإن نصف جلدي ولحمي سوف يبقى ملتصقاً ببوغي وسأقضي على التو.

كنت وبوغي نبقى معاً طوال النهار وطوال الليل. حين كان يقوم باتصال هاتفي من السرير تراني ما بين ظهره ولوحة مقدم السرير. عندما نقوم بنزهة كنت أقبض بشدة على ذراعه أو أكون متشبثة بظهره أو بكتفه أو أكون وحسب أمامه مائلة متكئة إلى صدره معترضة الطريق. كنا نتهادى عبر الشارع متشابكين مثل زوج من المهرّجين.

«بصراحة يا سايا أنت أحياناً أشبه بإحدى أسماك اللشك».

كنت قد تحولت بيولوجياً إلى امرأة لا يمكن أن تحيا دون بوغي.

أما بالنسبة لبوغي بالذات، فإن الأحداث البغيضة الجديدة بالكاد حثّته على القيام بمجهودات متجددة ليتحاشى هو بالذات المصير إياه. مقاربته للقيام بالأعمال كانت تجمع ما بين عناصر من محطات الإذاعة والتلفزيون فضلاً عن البحث الميداني، وكان حالياً يخرج نهاراً وليلاً متبادلاً الآراء مع رجال أعمال آخرين مشبوهين حول كيفية إطلاق مشروع ما، مشروع احتيال إنما ليس خطراً بكل ما للكلمة من معنى.

حلّت عطلة الصيف مرة جديدة وبما أن بوغي كان يخرج كثيراً فقد صار لدي متسع كبير من الوقت. خطر لي أنه باستطاعتي البحث عن عمل جزئي. كانت أمي قد صادرت بطاقة ائتماني المصرفية وكنت لا أزال أرتدي ملابس ابتعتها في السنة المنصرمة. وليكن في علمكم أنه لم يكن هناك الكثير من الوظائف المناسبة لفتاة مثلي. لم أكن أرغب

في عمل يستوجب الكثير من الجهد أو المثابرة، لذا مرّة أخرى نزعت أفكاري بطبيعة الحال باتجاه الضيافة في النوادي الليلية.

الخطوة الأولى كانت العثور على شريكة. توجهت إلى رايكو وهي صديقة من الجامعة كانت متنّوقة نسبياً حسب مقاييس جامعة ساكورا للإناث.

«هاي أترغبين بوظيفة جزئية خلال عطلة الصيف؟ لكسب ما يكفي وحسب لابتياع بعض الملابس الجميلة ثم تتركين؟»

كانت رايكو قد أنهت مؤخراً علاقة مع أستاذ مشارك معدم في جامعة أخرى. كانت عملت مرة في السابق لوقت قصير نادلة في مطعم حانة في سانتوري، وفتاة مثلها رزينة الملامح قادرة في الواقع أن تكون فعلياً ساحرة، تماماً على طريقة ما يهوى زبائن بارات الضيافة.

كما كنت توقعت، فإن والدة رايكو كانت سابقاً ماماسان في أحد نوادي غينزا قبل أن تتزوج والد رايكو الذي كان أحد نخبة العلماء الباحثين في فرع الهندسة في جامعة طوكيو. كانت نصحت ابنتها باصطياد رجل ما مثل والدها وأن تجعل نفسها امرأة أنيقة المظهر وأن تتحلى بالجواهر وترتدي معاطف الفراء. ولقد استوعبت رايكو الرسالة جيداً. كانت لا تزال ترتدي ملابس بسيطة غير أنها كانت تتبرّج بإفراط.

كنا الآن بحاجة إلى العثور على ناد ليليّ. سأكون سمجة إن طلبت من ميناكو التعريف بي بعد خلافنا الأخير، لذا قمت بابتياع واحدة من تلك المجلات الخاصة بإيجاد وظائف وكانت سميكة كدليل الهاتف،

وشرعت أفتش في قسم إعلانات الوظائف الجزئية الليلية. لم يكن الأمر سهلاً. كل الوظائف التي كانت براتب جيد بدت مثيرة للريبة. لم نكن نرغب في العمل في أمكنة من ضمن واجباتها مضاجعة الزبائن. إلا أني كلما كنت أعثر على إعلان يقدم شروطاً أفضل من المعدل بعض الشيء، كان يراودني رغماً عني أن ثمة في الوظيفة أكثر مما هو مكتوب.

في نهاية الأمر اقترحت على رايكو أنه عوض أن نجازف بالعمل في ناد ما قذر لا يعرف عنه أي شيء، فإنه يجدر بنا أن نستعين بأحد معارف بوغي. كان بوغي يعرف مهندساً معمارياً هو البروفسور هيروتا وكان انتهى للتو من تصميم ناد ليلي جديد يدعى «لي زارل». كان المكان مزخرفاً بأسلوب عالي التقنية، كان على الموضة إبان تلك الحقبة وماماسان النادي كانت كذلك اسمياً فقط إذ كانت في الواقع مغنيّة شهيرة للأغاني القديمة تدعى لولو كيتانو. لربما لهذا السبب كان النادي يستقطب عدداً غير قليل من الزبائن الذين يعملون في مجال الاستعراض، والبنات اللواتي يعملن هناك كن خليطاً من مشاريع ممثلات مبتدئات وعارضات لمجلات بورنو من الدرجة الثالثة وفتيات جامعيات. يمكن القول إنه كان نادياً راقياً.

فسّرت لها قائلة «في وسعك ارتداء ما تشائين، تحصلين على 2500 ين في الساعة وهذا يمكن أن يرتفع إلى 3000 ين إن طلبك أحد ما شخصياً. هذا يعني أنك تحصلين بأقل تقدير على عشرة آلاف ين يومياً لمجرد جلوسك هناك لمدة أربع ساعات. ويقع النادي في حي روبونغي، لذا ينبغي أن يكون مكاناً أنيقاً.

«جيد.». لم تكن رايكو على غراري صاحبة قرار. كانت أمها قد

أرهبتها صياحاً من أجل أن تحشو دماغها بالمعلومات لتتمكن من اجتياز امتحانات دخول الجامعة مؤكدة لها أن «دخول جامعة جيدة هو الخطوة الأولى باتجاه إيجاد زوج مناسب». التزمت رايكو كما يتوجب ودخلت جامعة ساكورا. غير أن هدفها الأوحد في الحياة كان الزواج من الرجل المناسب كما سرّت إليّ ذات مرة.

«لأنني في الواقع لست قوية الشكيمة كما تتصورين. أن أكون موظفة وأربي أولاداً وأقوم بالأعمال المنزلية في الوقت نفسه، لهو كثير على فتاة مثلي. ولكن ما إن يرحل الأولاد حتى أجد عملاً ما، على سبيل الهواية فقط لكي أتحاشى السأم».

على الرغم من أنها لم تكن وجدت بعد «الزوج المعيل» فإن رايكو كانت بحاجة إلى أن تحقق حلمها بحياة مريحة. على نقيضي كانت على الأقل تملك خطة لمستقبلها. وجه الشبه بيني وبين رايكو كان تلك الثقة التي يوحي بها وجهانا. كان هدفنا هو بيع وجهينا بأفضل سعر يمكن أن نحصل عليه فيما لا نزال نملك شيئاً ما نبيعه.

بالطبع اجتزنا بسهولة وبسرعة كل المقابلات المتوجبة للحصول على الوظيفة، ووجدنا أنفسنا في ذلك المساء بالذات جالستين برزانة إلى بار نادي «لي زارل». كان الوقت قد تجاوز الساعة العاشرة بكثير قبل أن يبدأ الزبائن بالقدوم، لذا تسنى لنا متسع من الوقت لتبادل أحاديث نسوية، وهي تمضية وقت تقليدية عند بداية العشية في مجال العمل هذا. الفتيات اللواتي كن يحضرن حوالي الساعة العاشرة ويمكثن حتى الثانية أو الثالثة صباحاً كن زمرة أخرى، لكننا خلال حلقات القيل والقال عرفنا أن معظم فتيات المناوبة المبكرة كن أيضاً تلميذات

جامعيات، جميعهن من أفضل جامعات المدينة.

كن جميعهن مكسوّات بأناقة آخر صرعات أشهر الأزياء، مذكرات إيانا بألم أنها كانت ساكورا كئيبة، ذلك المكان الذي ينظر فيه إليّ وإلى رايكو كفتاتين متألقتين. إلا أني ما إن تعرفت إلى تلك الفتيات بشكل أفضل، حتى اتضح لي شيئاً فشيئاً كم كان أمراً شاقاً المحافظة على ذلك المظهر «الجامعي النخبوي». مذ العام 1980 وما بعد عندما احتلت رواية «شيء من البلّور» قائمة الكتب الأكثر مبيعاً واقتبست سينمائياً في فيلم حقق نجاحاً كبيراً، أصبحت المتطلبات المفروضة على الفتيات الجامعيات أقسى بما لا يقاس. الفتيات الجامعيات في الفيلم كن عارضات متألقات في أوقات فراغهن، وفجأة أصبحت قاعدة حديدية بأنه يتوجب على كل الفتيات الجامعيات الحقيقيات اللواتي يعملن جزئياً في البارات أن يرتدين كذلك ملابس فاخرة من أعمال كبار المصممين العالميين.

تلك الفتيات ما كن يرتدين ذلك الطراز من الأثواب الطوكيوية التصميم التي كنا أنا ورايكي نتوق بشدة إليها. كان ينبغي أن يستعرضن أنفسهن في ملابس من ماركات أجنبية أغلى ثمناً بمالا يقاس، حتى آخر تصاميم «هيرميس»، أو «فيرير»، أو «كوشي»، أو «شانيل». خذ على سبيل المثال فتاة ذات مستوى جمال متوسط، كلما ازداد وعيها لذاتها توجب عليها أن تتأنق في ملبسها أكثر وأكثر، فازدياد تأنقها كان يجعل أمورها أشد صعوبة.

«هذا؟» كن يرددن مشيرات إلى زينة ما كمالية مخيفة فاحشة الثمن كن يضعنها، ومحاولات أن يبدين غير مباليات بقدر الإمكان، «أه، لقد ابتاعتها لي أمي». أو يزخرفن ذلك بالقول «آه، لقد جلبته لي أمي

حين كنا في رحلة في أوروبا». كانت تلك غالباً عبارة عن كذبة سافرة لإخفاء حرجهن في صحبة رفيقاتهن اللواتي ربما كان بعضهن ثريات فعلاً. في الحقيقة كان شراء الفساتين والكماليات تموّله ساعات طويلة من العمل الجزئي عبر جهد بالغ لدفع تكاليف هذه الأزياء الأنيقة التي كانت أصبحت سريعاً أشبه بزّي نظامي. وحتى وإن كانت «الماما» هي من كان ابتا ع الملابس، فأغلب الظن أنها ماماسان البار الذي يعملن فيه وليس أمهاتهن الفعليّات.

إلا أن هذا النادي الليلي بكل الأحوال كان مكاناً مريحاً بالنسبة إلينا نحن المضيفات. بخلاف نادي كوكتو فإن إدارته لم ترغمنا على ارتداء ملابس عجيبة على طريقة المواخير أو شعراً مستعاراً أو التبرج. كان الزبائن مختلفين كذلك. ما كانوا جميعاً كهولاً فاسقين على مثال أولئك الذين عرفتهم في حي غينزا. ولم يكن جو النادي مشوباً بتلك الكآبة التي تتخلل غالباً صناعة الحياة الليلية. كان ارتفاع المبيعات هنا يعود بالدرجة الأولى إلى أن الزبون قادر على احتساء كأس مع فتاة أشبه إلى حد بعيد بفتاة عادية وليس بمحترفة. كان هذا رائجاً في ذلك الوقت، وكان النادي مصمّماً لاجتذاب أشخاص يعملون في مجال الاستعراض فضلاً عن مديري شركات شبان صاعدين.

كان المكان يعّج عموماً بحشد صاخب، وكان هناك بين جماعة عالم الاستعراض الذين يقدمون العديد من الممثلين. إن فتاة الضيافة النموذجية في نادي غينزا تكون ناضجة وذات جمال شهواني، غير أنهم هنا يفضّلون الفتيات الأصغر سنّاً» القادرات على إحياء أحاديث ممتعة. سرعان ما أصبحت المفضّلة لدى أحد الممثلين المشهورين، ما أثار

استياء المضيفات المحترفات اللواتي كن يحملقن بي غاضبات كل مرة كان يطلبني بالاسم. في المقابل جهدت رايكو بأفضل ما بوسعها متوددة بحميمية إلى سلسلة متوالية من الممثلين المعروفين والأطباء، مصمّمة على أن تصبح عشيقة أحدهم. كانت قد ضاقت ذرعاً بالأكاديميين المعدمين ووضعت نصب أعينها بشكل كلي هدفاً وحيداً هو المال. وكانت أكثر من راغبة في السير حتى النهاية وصولاً إلى مذبح الزواج.

كانت براعم الحب قد بدأت تتفتح في قلب بوغي وتبعتها دون إبطاء براعم الغيرة. عندما كانت تنتهي مناوبتي في النادي قرابة منتصف الليل كنت أجده ينتظرني في بار آخر مجاور. كان واحداً من تلك البارات الصغيرة التي تحوي منضدة طويلة وتديره عشيقة هيروتا التي كانت سابقاً مضيفة في أحد نوادي غينزا الليلية مستقبلة فيه الأصدقاء فقط. كان بوغي يقبع هناك مدردشاً وهو يحتسي كأساً من الشراب مع المهندس المعماري البارز وأحد أولئك الرجال الذين يبقون رائعين حتى حين يغزو رؤوسهم الشيب، وكنا ندعوه البروفسور، وكان نديم شراب ممتازاً لبوغي.

كان بوغي يمكث هناك لسببين، أولاً لإدراكه أنه سوف يشعر بالوحشة إن عاد إلى الشقة الفارغة وثانياً أراد أن يتحاشى أدنى مخاطرة إزاء احتمال أن أبدأ علاقة جديدة مع رجل آخر وغالباً ما كان يناقش معي هذه المسألة.

«يا سايا هناك مسألة لا أقبل بها البتة وهي أن تقومي بخيانتي مع شخص آخر. هذا الأمر جائز للرجال لأنه مجرد متعة عابرة. لكن حين

تبدأ الفتيات بالعبث فإنهن فجأة يتحولن جدّيات، لذا هذا ممنوع كلياً، أتوافقين؟ صدقاً، لست أمزح. إن المرأة تغرم بأي رجل يضاجعها. هل فهمت ما أقصد؟ إن المرأة هي كائن من هذا النوع».

«يا لكل هذا الهراء!؟»

«هذا ليس بالهراء، سحقاً إنها الحقيقة وأعرف هذا نتيجة كل الألم والمعاناة اللذين كابدتهما».

أدركت أن ذلك كان مجرد هراء. أياً كان من تضاجعه، إن كنت لا تحبه، فإن مجرد ممارسة الحب معه لن تبدّل أي شيء. ما أقوله أنا في المقابل، إن ممارسة الحب مع رجل ما هي وسيلة جيدة لاكتشاف ما إن كنت تحبه فعلياً أم لا. حسب بوغي فأنا أكثر سذاجة من أن أستطيع فهم أمور كهذه. غير أنه كان الأمر الوحيد الذي كنت أعرفه جيداً جداً. لم يكن كذلك أمراً قرأته في الكتب، بل كان معرفة اكتسبتها بالخبرة. كل ما كان يقال إن العبث أمر مقبول بالنسبة للرجال ومرفوض للنساء، كان مجرد سفسطة ذكورية تخدم مصلحتهم.

على أيّة حال، حدث أن بوغي عاد شيئاً فشيئاً إلى ارتياد المرابع الليلية المضاءة بالنيون. مشروعه التالي كان بدأ يتقدم ببطء. ثمة مجال وحيد من العمل مفتوح لشخص مثله، وكان ذلك كمستشار استثماراتي. كان لا يستطيع تحمل أي عمل يستوجب المشاحنة والكد، أو المكاسب الضئيلة.

بالطبع كان أصبح أكثر صعوبة استهلال مشروع وقد شاعت الآن على نحو مثير فضائح شركتي «توميتا ترايدينغ» و «كابوتوشو جورنال». قام بوغي باستشارة كل أنواع الخبراء في المجال لكي يكتشف السبيل إلى

تجنب هذه المشكلة الصغيرة، وخلص بنتيجة فحواها أن ما يحتاج إليه كان طعماً لإغراء الزبائن كي يكسب ثقتهم ويحث اهتمامهم. توجب عليه العثور على شخص ما شهير يقبل بأن يرتبط اسمه بالمشروع. ولا حاجة إلى القول إنه كان ينبغي أن تقتطع حصة من أرباح المشروع لصالح هذا الشخص الشهير.

في غضون ذلك الوقت تماماً حصل أن لولو كيتانو المغنية المتقاعدة وفي واقع الحال ماماسان النادي حيث عملت، كانت تواجه مشكلة سيولة نقدية صغيرة. أيام جعلها صوتها الرقيق ملكة الغناء الفرنسي كانت انقضت منذ زمن طويل وكل ما تبقى كانت كومة من الديون. كانت أجبرت على بيع منزلها في باريس وقد كان مسكنها طوال سنوات عديدة. وعادت إلى اليابان لتبدأ بداية جديدة. كانت لولو هي من اختار بوغي أن يفاتحها بالأمر، مستخدماً مكاتب البروفسور، من أجل أن يقدم لها العرض بكياسة وتكتم.

كانت لولو قد عادت للتو من باريس. قالت إنها وصلت إلى طوكيو وفي جيبها ألف ين ولا مكان تقطن فيه. لذا كان شرطها الأول للسماح لبوغي باستعمال اسمها في المشروع الجديد هو إسكانها في شقة مؤلفة من حجرة واحدة في حِي روبونغي وتولّي مصاريف حياتها الحالية، وقامت أيضاً بتنظيف جيوب البروفسور، ابتاعت لها عرضاً ملء خزانة من الثياب بأربعمائة ألف ين على حساب بطاقتة المصرفية الخاصة.

تقوم براعة لولو العظيمة على استخدام شهرتها لتعزيز الودّ ورعايته تجاهها. كانت أيضاً عبقرية في مجال نهب الرجال المهذبين ذوي المحافظ المشّرعة. فوق كل هذا وعلى الرغم من تقدمها في العمر كانت لا تزال

امرأة فاتنة قادرة على استغلال الناس من غير أن ينتبهوا لذلك.

كانت سيدة كهلة تجاوزت الخمسين بسنوات، غير أن ذلك لم يمنعها من ارتداء أحدث الأزياء ومن أن تبدو متألقة فيها. امرأة متباهية أنانية حتى الجنون كاذبة بالفطرة وعلى الرغم من تقدمها بعيداً بالعمر، إلا أنها كانت لا تزال محتفظة بجاذبية غريبة. كانت باختصار أنموذج الفنانة الشهيرة في مجال الاستعراض. ولهذا السبب بالذات كان الناس يفخرون بمجرد أن يشاهدوا برفقتها... ولقد كانت تدرك هذا جيداً جداً!

ذات ليلة أقيمت حفلة في شقة لولو. كان بوغي موجوداً هناك برفقة البروفسور وبعض أصدقاء لولو. لم يكلف أحدهم نفسه عناء إخباري، وفيما انبلج الفجر كنت لا أزال منتظرة في نيزو عودة بوغي. لم يتصل بي وكان ذلك غريباً عن طباعه ولم تكن لدي أدنى فكرة أين يمكن أن يكون. وقد تملكني القلق اتصلت بنادي الماجونغ وكل بارات حي روبونغي التي كان يرتادها وبالفنادق المحترمة في طوكيو.

اتصل أخيراً عند السادسة صباحاً، ولقد كانت بهجته غير مألوفة بالنسبة لذلك الوقت من النهار.

«ما الداعي لكل هذا الاستياء يا سايا؟ كنت أحتسي كأساً مع بعض الأصدقاء، هذا كل شيء! لحظة، سأسلمك إلى الوحيدة لولو كيتانو!»

«هالو، معك لولو، ماذا؟ امرأة؟»

أثارت نبرة صوتها المرحة سخطي. كنت أعمل في ناديها مقابل راتب بائس، وها هي تعيش رغيدة على حساب صديقي! من تخال نفسها؟

بادرتها بازدراء «اجعلي بوغي يعود حالاً». فاجأ شيء ما في نبرتي

لولو وسمعتها تتحدث إلى بوغي «تبدو منفعلة جداً! أنا لم أرتكب أي خطأ لماذا هي غاضبة مني؟ لقد أرعبتني في الواقع!»

«أوه» وتبع ذلك قهقهة بوغي المألوفة.

بينما جعلا يقهقهان مثل زوج من البالغين الأشرار يعذّبان طفلاً أغلقت السماعة بعنف.

بعد نصف ساعة عاد بوغي إلى المنزل. أظن أن تصرّفي على الهاتف أثبط الحفلة. في هذه الأيام لم يكن بوغي البتة يتنقل في المترو، كان يستخدم باستمرار التاكسي. لست أدري من أين كان مصدر النقود، غير أن الأمور بدت أفضل إلى حد ما. راودني إحساس بأنه كان يخدع أحداً ما. كان هو وكن كن يتأنقان بأفضل ما يكون مرتديين بدلتي أعمال رسميتين وينطلقان إلى مكان ما. وكان بوغي يقول لي «لدينا موعد عمل. في مناسبات من هذا النوع لا يمكنك السماح للفريق الآخر بأن يكتشف أنك مفلسة».

يقوم باسترداد ساعة يده الثمينة والحلي الذهبية خاصته من مكتب المسترهن ودفع بطبيعة الحال الفوائد المتراكمة، ويكسو نفسه بأناقة بها قبل المغادرة. حين يرجع إلى الشقة يتلقى اتصالاً عبر الهاتف الثاني، ذاك الذي كان غير مسموح لي بالإجابة عليه. لا ريب أن الاتصال كان من أحد الحمقى البائسين الذين تعرضوا للخداع. كان بوغي يضع أصبعاً على شفتيه ويهمس لي «شش» مومئاً لي للخروج من الغرفة حتى نهاية المكالمة.

على أيّة حال، دخل بوغي من باب الشقة مرتسمة على وجهه علامات الارتباك وشرع يجترع الأعذار.

«بصدق يا سايا، ما الداعي لكل هذا السخط؟ أنت تعرفين أن لولو في الخمسين من عمرها! أو هل يعقل أن يساورك أنه يجري شيء ما بين عجوز شمطاء خمسينية ورجل أربعيني مثلي، أو تعتقدين هذا؟ إن مبادئي الجمالية لن تسمح بحصول هذا!»

«... لعلك بهذه الحال تتفضل وتفسّر لي لم لا تعطيني فلساً واحداً في حين أسهر طوال الوقت في بار العجوز الشمطاء، أما أنت فتقوم بدفع مصاريف حياتها وحفلاتها المتتابعة!»

«اسمعيني يا سايا، أنا بحاجة إلى لولو كي تقدّم لي بعض الخدمات، أنا مضطر لاستخدام شهرتها، وطبيعي جداً أن أقوم بمساعدتها بين الحين والآخر».

«في حين أني لست شهيرة، لست شيئاً على الإطلاق، مجرد فتاة صغيرة حمقاء. بهذه الحال ماذا لو عوض ذلك تذهب وتضاجع لولو؟»

«بربك يا سايا! هل باستطاعتك أن تتصوّريني ممارساً الحب مع لولو؟ يا لهذا الخاطر المقرف!»

كان بوغي ولولو متشابهي البنية، كلاهما أقرب إلى البدانة بسبب إفراطهما في احتساء الكحول، فضلاً عن وجهيهما الكبيرين وذراعيهما ورجليهما النحيلتين، كانا صلبيّ البنيان كجاموسين.

«لكن، لكن.». عجزت عن الكلام وانفجرت عوض ذلك بالبكاء.

لم يكن هناك ما أستطيع قوله أو فعله. ما كنت أفقه سوى أني كنت أريد البقاء ملتصقة كليّاً ببوغي.

منذ ذلك الوقت بدأت أستشعر شيئاً ما غريباً في تصرفاته. ولم يكن ذلك جراء غيرتي وحسب. عجزت عن إدراك ماهية ذلك، ولكني أدركت غريزياً أنه كان هناك ما هو مريب بشأنه ولقد أقلقني ذلك وأغضبني في آن معاً. آن بدأ يعاشر لولو، انغمس بوغي مجدداً في الحفلات الفاحشة مستخدماً مشروعه كذريعة لذلك. كانت لولو تصطحبه إلى مطاعم فاخرة يتردد إليها جماعة عالم الاستعراض ورجال أعمال، وفجأة أصبح زبوناً مواظباً في بارات يرتادها مديرو شركات ناجحين مثل حانتي «براونز» و «اولالا».

كان يخرج ليليّاً مع المجموعة نفسها، لولو كيتانو وماماسان بار «براونز» وماماسان «اولالا» والبروفسور. وشيئاً فشيئاً بدأ يضمني إلى الحلقة. كان يتصل بي من مربع ما في المدينة وكنت أتوجه إلى هناك للانضمام إليهم وأحتسي الكحول حتى نهاية الليل. كنا بعدها نركب سيارة أجرة ونعود إلى نيزو بعدما يكون الفجر قد بزغ مذ وقت طويل.

ينبغي الاعتراف بأن التسكّع مع أولئك الأشخاص كان أمراً «ممتعاً». ما كانوا يسخرون مني لكوني تلميذة أو يشاجرونني بسبب إهمالي. لقد أحببتهم فعلياً. كانوا يعاملونني باستقامة، وشعرت كما لو أني في صحبة أصدقاء قدامى. كان بوغي يعشق أيضاً المكوث برفقة هذه المجموعة حتى ولو أنهم قبلوا به وحسب لأنه كان يدفع الفاتورة.

*

هلّ فصل الخريف. فتحت الجامعة أبوابها مجدداً وتركت عملي في

نادي «لي آرل». ومرة أخرى توجب أن أذكر كم كنت غير مناسبة لامتهان الضيافة. بالتأكيد كانت سبيلاً سهلاً لكسب المال، أن يدفعوا لي لمجرد قيامي بالتأنق واحتساء كأس برفقة أحدهم، بيد أن شعوراً بالفراغ كان يرافق ذلك. ما كنت أشعر أن القيام بذلك لقاء المال أمر «صائب».. بما أنه من المفترض أن أكون تلميذة، يتوجب أيضاً أن أتصرف كذلك، وأعود إلى دروسي. ستكون طريقة جيدة لإمضاء الوقت.

وافقني بوغي من صميم قلبه.

«هذا عين الصواب! إن البارات أمكنة نتوجه إليها للحصول على بعض التسلية. إنها ليست أمكنة تودّين العمل فيها أو إدارتها. فكري لثوان بالمسألة، في معظم الوظائف العادية هناك درجات، في وسعك ارتقاء السلم حتى ولو مارست نوع العمل نفسه فإن لديك على الأقل فرصة ما. تنالين ثناء وتكافئين عبر السنين بعلاوات لمرتبك، لكن فتيات البارات يقمن بالشيء نفسه الليلة تلو الليلة مذ هن فتيات شابات وحتى تقاعدهن. يا للمشقّة! أعتقد أنه لهذا السبب يدفعون لهن أجوراً كبيرة. إن الناس يقدّرون مشقة عملهن ولا يمانعون دفع مبالغ طائلة مقابل مجالستهن».

«ألهذا السبب تعتقد إذاً أن الأجور مرتفعة؟ إن لم يدفعوا أجوراً عالية فلن ترغب أي واحدة في القيام بذلك؟ القيام كل مساء بإضرام الفتنة الأنثوية من أجل زبائن كهول مقترين ليس هناك ما يجمعك بهم».

بكل الأحوال لم يكن عملاً تستطيع فيه واحدة كسولة مثلي الاستمرار به لوقت طويل.

كانت رايكو أشد شكيمة منّي ومكثت في الوظيفة. كانت قاب قوسين من الإطباق على مرشح محتمل واعد للزواج كانت قد عاينته بين الزبائن ولحسن حظها كان قد انفصل للتو عن صديقته، وكانت رايكو ستلعب وإياه التنس في نهاية الأسبوع التالي. لم يكن الأمر أنه كان سبق أن أمسكت يوماً ما طوال حياتها مضرب تنس.

كنت كسبت ما يكفي للاكتساء بأزياء من موضة الموسم، وكان ذلك كافياً بالنسبة إليّ. كل مساء كنت أتوجه مباشرة إلى المنزل من صفّي الأخير، أنجز الأعمال البيتية وفروضي الجامعية، استحم ثم أهوّنها على نفسي فأتراخى متكاسلة مع القطتين. كان ذلك يختتم القسم النهاري من يومي. كنت أستغرق بعدها في النوم إلى أن يوقظني في الثانية أو الثالثة صباحاً اتصال بوغي وهي إشارة بداية المناوبة الليلية. كنت أرتدي ملابسي وأركب سيارة تاكسي متوجهة إلى بار «براونز»، حيث يسترخي بوغي بعد جولة ماجونغ أو يتسكّع مع البروفسور ولولو وبقية العصابة. بكل الأحوال سرعان ما كانت تتحول الجلسة إلى حفلة عارمة وكنت أشاركهم اللهو. في نهاية الأمر كان بوغي يعتبر أنه قد أنجز يومه، وكنا نعود فجراً في سيارة أجرة. كان بوغي رجلاً صلباً يكتفي على نحو ملائم جداً بأربع ساعات من النوم.

*

كنا ثملين ومسرورين بأن نكون ثملين ليلة وراء ليلة. إلا أنه في تلك الأثناء كانت قصاصات زهرية اللون صغيرة قميئة قد بدأت تتراكم في صندوق البريد.

أمر بالإخلاء بسبب عدم دفع الإيجار.

انتقلنا قبل خمسة عشر شهراً وكان بوغي قد دفع فقط بدل إيجار الأشهر الثلاثة الأولى. بعدها لم يستطع بوغي الدفع طوال سنة كاملة. كانت الكدسة المتعاظمة من طلبات الإخلاء قد بدأت تثير مخاوفنا، غير أننا كنا مصممين على تجاهلها وليكن ما يكن.

«لا عليك يا سايا. لقد قررت أن لدينا الحق في السكن هنا!»

كان بوغي قادراً على الهزل في مواجهة أي مشكلة.

وعلى الرغم من ذلك فإن سنة كاملة كانت أكثر من نكتة. توجب علينا دفع متأخرات إيجار مقدارها ما يقارب مليوناً ونصف المليون ين، وقرر بوغي أنه قد حان وقت التصرف بشكل حاسم.

«سوف أتحدث إلى صاحب الملك، سبق ورأيته في البناية عدة مرّات. إنه سيد نبيل كبير السن يرتدي كيمونو وشعره أبيض كالثلج. أنا متأكد من أنه سوف يتفهّم الأمر بمجرد أن أشرح له الوضع وسينتظر قليلاً بعد.

«حقاً، إذاً ماذا تنتظر!»

ارتدى بوغي بدلته الأنيقة، نفسها الذي كان يلبسها حين يتوجه إلى «العمل»، حلق ذقنه لأول مرة منذ أمد طويل وتوجه لمقابلة المالك. كان أطلق لحيته مذ قام بترك شركة كابوتوشو جورنال معلّلاً ذلك بالقول إنها كانت جزءاً من «غندوريته».

لحظ قائلاً «إن الناس لا يثقون بك إن امتلكت لحية» وتابع «باستطاعتك إطلاق لحية بعد أن تكون قد كسبت مبالغ كبيرة من المال واستحققت حريتك». في اعتبار بوغي كانت اللحية رمز المحترف

المستقل، الحريّة. إن الرجل الحر يستطيع إطلاق لحيته وارتداء ملابس عادية غير رسمية. بكلام آخر إن اللحية والملابس الاعتيادية كانتا من رموز الثراء. إلى حين تحقق الثراء الذي يعني «حرية» يتوجب عليك ارتداء بدلة– بزة الجماهير النظامية– وإبقاء شعرك قصيراً وحليق الذقن. هذه المفروضات اعتبرها بوغي بديهية. إن التزام مبدأ ارتداء البدلة كان إجبارياً بالنسبة لكل البالغين في اليابان المعاصرة.

«ما يود المرء القيام به ليس العمل، بل اللهو. لذا فإن القيام بما يحلو لك هي رغبة يتوجب عليك وضعها جانباً إلى أن تكوني قد جنيت مالاً كثيراً ولا حاجة بك بعدها إلى القلق بشأن المصاريف اليومية. عندها بالذات يصبح بوسعك اللهو».

غالباً ما أكد بوغي إيمانه هذا بمبدأ المتعة المؤجلة. إنما كم كان قدر المبلغ الذي سيحتاج إليه ليعيش ما يعتبره حياة مرضية «دون القلق بشأن المصاريف اليومية»، ما كنت قادرة على تصور ذلك.

عاد بوغي من لقائه مع مالك الشقة مشرق الوجه بالابتسامات.

«إنه يقطن في منزل رائع... مذهل! كما خلت تماماً. إنه ملاّك كبير. يقول إنه شيّد هذه البناية بهدف خفض ضرائبه، لذا فهو ليس بالنيّق حيال مسألة دفع الإيجارات. ترك الأمر برمته للمصرف ولا يعرف شخصياً أي شيء عن ذلك. السبب من وراء مجيئه بين الحين والآخرهو أنه يستخدم إحدى الغرف في الطبقة الأرضية كمستودع لمجموعة كتبه. هذه هوايته ويأتي إلى هنا ليقوم أحياناً بإلقاء نظرة على كتبه».

«يبدو كبيراً في السن طيباً. ولكن ماذا بشأن بدلات الإيجار؟»

«في الواقع قلت له إني أعمل على تأسيس شركة جديدة وأني أواجه

بعض الصعوبات في ذلك، وسألني إن كانت حقاً لدي نية الدفع».

«وبعدها؟»

«أجبته أني لربما أستطيع دفع الإيجارات المتوجبة بالتقسيط باعتبارها قرضاً، لنقل ألفي ين شهرياً أو خلاف ذلك» فأجابني «هل لديك أدنى فكرة كم من السنوات يقتضي قيامك بإيفاء الدين بهذه الطريقة؟» ها ها ها ولقد أضحك ذلك أيضاً الرجل الطاعن في السن كثيراً. ثم بادرني بالقول «إن كان هذا كل ما تستطيعه، لا تكلّف نفسك هذا العناء. ادفع لي مبلغاً إجمالياً حينما تسير أعمال شركتك وتزدهر».

«يا له من شخص رائع».

«بالتأكيد، إنه نادر».

بفضل سخاء صاحب الملك الاستثنائي، استطاع بوغي أن يرجىء دفع مليون ونصف مليون ين نوعاً ما إلى الأبد. يبدو أن الرجل الكبير في السن أولع ببوغي إلى حد بعيد إذ إنه كان يمتلك قدرة نادرة على تحقيق المستحيل.

غير أن ثمة حدوداً للسخاء، وتوجب علينا كجزء من الاتفاق أن نغادر الشقة. وضعنا المفروشات والهرتين مؤقتاً في شقة كن كن وانتقلنا إلى فندق في حي روبونغي. كان فندق غرام، فعلياً. حسن وضعه قليلاً ليبدو محترماً بعض الشيء. كان قريباً يمكن الوصول إليه مشياً من المكتب الذي كان بوغي استأجره.

افتتح شركته الخاصة في شهر ديسمبر. أسماها «شينرا» وهو اسم مركب من رمزين صينيين يعنيان «ثقة» و «ازدهار» كانت بالطبع شركة استشارات استثمارية بانتظار «الرخصة الرسمية».

كان بوغي على ثقة تامة بأن المشروع سوف ينجح، ثقة مطلقة بقدر ما هي بلا أساس ومرتكزات.

قدريّته هذه الطائشة كانت جزءاً من شخصيته كمقامر. كان فيلمه السينمائي المفضل «بوني وكلايد» المعروف في اليابان تحت عنوان «لا غد لنا»، ولم يكن البتة ضد نظرية الاندفاع بتهّور إلى الخراب والإفلاس.

«إن أخفق كل شيء سوف أسرق مصرفاً وأهرب إلى خارج البلاد، لقد خططت لكل هذا. إني أعرف حتى أي مصرف سأقتحم، مصرف «توا». حين كانت وكالة السفر خاصتي على وشك الإفلاس قبل سنوات طويلة رفضوا إعطائي قرضاً. لو أن أولئك الأوغاد قاموا حينها بإقراضي بعض المال لما كانت الوكالة أفلست وما كانت زوجتي ماتت. لذا هم من جنوا على أنفسهم».

غالباً ما كان يتفوّه بأشياء من هذا القبيل، بكلام نصفه مزاح إنما نصفه الآخر بمنتهى الجدية.

أقام بوغي حفلاً كبيراً للاحتفاء بإطلاق شركته الجديدة في أحد نوادي شارع غينزا ويدعى «بوبورون». كان قد اكتشف هذا المكان بفضل «الكبير في السن»، صديقه الروائي، الذي كان عمل هناك نادلاً أيام كان معدماً غير قادر على إطعام عائلته. يفترض أنه نادٍ بمنتهى الفخامة، وكان يديره شخص طاعن في السن يدعى كوشيميزو وهو منتج تلفزيوني أسبق شهير. كان يمتلك في ما مضى شركة تدعى «اتلانتيك تي في» حققت أرباحاً طائلة نتيجة ابتياعها حقوق المسلسلات التلفزيونية الأميركية الدرامية وبيعها نسخاً مدبلجة إلى محطات التلفزة اليابانية.

لسوء الحظ اضمحلت الشركة بعدما تعرضت لعدد من الفضائح المتعلقة باحتيال واضح للتهرب من دفع الضرائب وإلى ما هنالك.

مذذاك يؤكد كوشيميزو على براءته، ويتصارع والدولة في دعاوى قضائية طويلة الأمد باتت شهيرة. في هذه الأثناء يدير ناديه كهواية تكسبه بعض المال. كان قد أمسى في السبعين من عمره، غير أنه مع تقدمه في السن كان ينغمس أكثر فأكثر في الكحول والفتيات وحياة الفسق. على غرار شخصية صاحبه فإن الديكور الداخلي لنادي «بوبورون» كان كليّا خارقاً فوق العادة.

كانت الجدران مرصعة بحجارة شبه كريمة غير مصقولة، والأرضية مكسّوة بجلود النمور والأسود ومع رؤوسها بالتأكيد. حتى سقف المرحاض كان مكسواً بأفضل الأقمشة المقصبة من نوعية نيشجين المستوردة من كيوتو. كل فتيات نادي بوبورون كن من النوع الذي يفضله كوشيميزو، ذوات جمال تقليدي كلاسيكي وأجساد رائعة وشعور طويلة سبطة سوداء كالفحم.

في هذا المكان كان كوشيميزو يقيم استقبالاً كل ليلة. كان يمدد فوق كل من ذراعيه امرأة فاتنة، ويحتسي كأساً من ويسكي «بالانتاين» المعتق ثلاثين سنة، ويدس بين الفينة والأخرى طعاماً ما في فمه، قطعة صغيرة من كبد سمكة الراهب المدخن المبخّر، وهو طعام ياباني مترف.

السبب الوحيد من وراء كونه طعام كوشيميزو الخفيف المفضل أنه كان معدم الأسنان كلياً. بدا وكأنه انتزع للتو طقم أسنانه على الرغم من أنه كان يضع واحداً. كان يتباهى أنه في ما مضى عاش مع شقراء فاتنة في جناح في فندق «نيو اوتاني» وأن أسنانه الأمامية في ذلك الحين

كانت مرصعة بالألماس. وجدت صعوبة في تصور ذلك وبالتاكيد لم تبق أي بيّنة تثبت زعمه.

إلا أن مؤسسة الطاعن في السن كوشيميزو كانت بلا ريب أساسية في شارع غينزا. فقد استطاع عبر سنوات ممارسته هذه المهنة المديدة استقطاب مجموعة ممتازة من الزبائن. كان نادي بوبورون أولاً بأول مكاناً من النوع الذي يحتفي فيه مديرو الشركات بدعواتهم بعضهم بعضاً. كانت الفتيات هناك يرتدين فساتين حفلات متكلفة ويجدن جميعهن الإنجليزية. فرقة النادي الموسيقية كانت راقية كذلك، فرقة رباعية يقودها طبال كان ذات يوم ذائع الصيت، حتى أنا بالذات كنت سمعت به. كان أولئك الفتيان يعرفون جيداً الفرق ما بين التانغو وموسيقى البوسانوفا.

إن لم يستسغ كوشيميزو زبوناً ما، كان يحذّره مواجهاً إياه بالقول «إن ثمن كأس الويسكي والماء هو ستمائة ألف ين» واتضح أن أسلوبه كان شديد الفعالية للتخلص من الرعاع. ثمة لصوصية ما مبطنة كانت تشوب نادي بوبورون، غير أنه كان في المقام الأول امبراطورية كوشيميزو.

صديق بوغي الطاعن في السن كان سمع قبل عشر سنوات أخباراً عن سلوك كموشيميزو الغريب وعن ناديه، وعمل هناك ليتسنى له إلى حد ما الاستحواذ على مادة روائية لكتابه. بيد أنه حالياً كانت حقبة النادي الذهبية ولت منذ أمد بعيد ويعيش المكان منذ سنوات فترة انحطاط وبكلام آخر يحتضر. لهذا السبب قاد «الطاعن في السن» بوغي إليه باعتباره نادياً ليلياً شهيراً في شارع غينزا في الوسع استئجاره لإحياء

حفل ببدل زهيد جداً.

جرى إطلاق من التألق والفتنة. كان اسم لولو مدرجاً على لائحة الراعين وقدم العديد من أصدقائها المتكلفين إلى الحفلة فضلاً عن أصحاب مطاعم شهيرة ورياضيين سابقين ومشاهير من حقبات سابقة. سرّ بوغي سروراً عظيماً. من ناحيتي تعرضت لهجوم من قبل الكبير في السن كوشيميزو. لحظة وقعت عيناه عليّ أمسكني بذراعيه الاثنتين وقبلني على وجنتي... أو على وجه الدقة لعق وجنتي بفمه المريل ذي الفك الرخو الأدرد. تفوه! يا للقرف.

وكان الآتي أعظم. بعدما احتسى بوغي الكثير من الشراب وصار ثملاً بعض الشيء، تلوى كوشيميزو مقترباً منه وبادره بالقول «هاي، يا هوتا إن كنت رجلاً حقيقياً، أعرني هذه المرأة لناديّ».

بوغي المأخوذ بأسطورة كوشيميزو والكؤوس التي احتساها أجابه «إن كانت ملائمة، رجاء استخدمها كما تشاء». ووافقه على مراده.

كان نادي كوشيميزو على حافة الإفلاس، على الرغم من ذلك كان لا يزال راغباً في توظيف فتيات جديدات. كان ذلك هدف حياته الوحيد. كان يزدري الجانب التجاري لهذه المهنة. ولكن في عالم نوادي غينزا كان عديد النوادي التي تحقق أرباحاً كبيرة يفوق عدد نجوم السماء، ويستحيل أن تقبل أي مضيفة ذكية شابة التعاقد مع نادٍ كان واضحاً جداً أنه على شفير الإفلاس. لمجرد كوني شابة ألفيتني في الحفل أشبه بثعلب صحراوي في حقل جليد «قطبشمالي».

استطعت أخيراً الفلاح في امتلاك شعر طويل حسب الصراط المستقيم. كنت التزمت نظام حميّة حتى صرت نحيلة كمِدَمَّة،

وأصبحت شبيهة تماماً بنوع الفتيات الذي يهواه كوشيميزو. خالج بوغي شعور غير سوي من الفخر إذ طلب منه «إعارة» عشيقته إلى ناد فاخر، وإن يكن واحداً على شفير الاندثار. من غير تفكير بالأمر سلّمني بكل بساطة إليه.

«اللعنة يا بوغي، أيعقل أن يقوم رجل بإعارة امرأته على الطلب؟»

«مهلك، مهلك، يا سايا، قومي بذلك كرمى لبوغي. إن صداقة شخص مثل كوشيميزو أمر مفيد. وستعملين هناك قرابة الشهرين أو أكثر قليلاً بعيد السنة الجديدة. إنه ناد رائع كما تعرفين. إن بعض عتاة أهل السهر يترددون إلى هناك، سوف يتيح لك ذلك القيام ببعض المراقبة المجتمعية المثيرة للاهتمام. وأنا واثق أنك ستكسبين أفضل بكثير مما كنت تكسبينه في نادي روبونغي».

كانت آخر ملاحظاته صحيحة. في نادي بوبورون كانوا ينقدوننا 27 ألف ين مقابل أربع ساعات من العمل من السابعة والنصف حتى الحادية عشرة والنصف ليلاً. وكان ذلك مجرد أجر أولي. سمعت أن بعض الفتيات الأقدم في الخدمة كن يكسبن تقريباً خمسين ألف ين في الليلة الواحدة. ما كان هناك هراء من نوع أنه يتوجب عليك دفع ثمن ما تحتسيه من شراب ومن ثم استحصال ذلك من الزبون، أو التقاط زبائن في وقت مبكر من العشية وجلبهم إلى النادي. وبما أنه لم يكن هناك زبائن بالمعنى الفعلي للكلمة، كانت المقتضى فعلياً هو الاكتساء بأناقة والقعود وحسب هناك بكامل التألق.

إلا أنه بعدما جرت إعارتي إلى نادي بوبورون، علمت أنه كان هناك أيضاً جانب أقل بهجة في ما يتعلق بالعمل هناك، طقوس يتوجب أن

تقوم بها الفتيات الجديدات.

كان النادي يستقبل السنة الجديدة بإقامة حفل في الثالث من يناير وكان يفترض بنا أن نرتدي الكيمونو في ذلك الحفل بالذات لا غير. وابتداء من اليوم التالي وما بعد كانت شروط الوظيفة تفرض ارتداء «لباس رسمي لا غير» كما أعلمني الساقي المنفر بجدية تامة. رمقني بتعال ويبدو واضحاً أنه كان مغتاظاً من قيام النادي بتوظيف فتاة صغيرة لا تزال تلميذة في الجامعة. كل الفتيات الأخريات كن يكبرنني بخمس سنوات على الأقل.

غير أني لم أكن من النوع الذي يندحر في مواقف مماثلة. بل بالعكس، كانت تجعلني أكثر تصميماً على استعراض قدراتي. إن لم يقدّروا قيمتي فسوف أعمل جيداً على جعلهم يبدّلون رأيهم. وذلك كان يعني من ناحية أخرى أنه لم يكن بوسعي أن أهمل الاهتمام بمظهري. سوف أتوجه إلى صالون التزيين، أزيّن شعري بالطريقة اليابانية التقليدية، وأجعلهم يلبسوني الكيمونو وفق الأصول!

كذبت على أمي قائلة لها إني ذاهبة إلى حفلة رسمية لاستقبال رأس السنة الجديدة برفقة أصدقاء لي من مجموعة حلقة دراسية في الجامعة، وارتديت ثوب الكيمونو الباهظ الثمن ذي الكميّن الطويلين الذي كانت أهدتني إياه حينَ بلغت العشرين من عمري. أعرف أنه كان كلفها أكثر من مليون ين وما كان ليخطر لها في ألف سنة أني كنت أرتديه لأقوم بالشيء الذي ناشدتني أن لا أفعله... وهو العمل مضيفة في بار ليلي. وما كان ليخطر لها في مليون سنة أني كنت متوجهة إلى ناد فاخر في حي غينزا، الذي يجسد تحديداً ذروة

المهنة التي تكنّ لها عظيم الكراهية.

توقفت عند أحد صالونات التزيين في حي غينزا المتخصصة بالاهتمام بمضيفات النوادي الليلية حيث يساعدونك في ارتداء الكيمونو ويزينون لك شعرك، لكي أمتلك حتى في يومي الأول في نادي بوبورون مظهر وتألق ذلك النادي الليلي الساحر وأبدو تماماً كما يجب. سرت مطقطقة بصندليّ اللمّاعين المصقولين نزولاً عبر شارعناميكي فيما كانت في ذلك الوقت بالذات «فراشات الليل ترفرف متوجهة إلى أمكنة عملها». أثرت الكثير من الانتباه وأدرت الرؤوس في ملابس حفلة السنة الجديدة، واتقدت أعين بعض الماماسانات المنهكات والندل المتسكعين خارج دوام عملهم في حين تمايلت عبر شارع غينزا.

«ها ها سوف أريهم» رحت أضحك بخفوت لنفسي متظاهرة بعدم ملاحظة ما يجري من حولي.

ما إن غرقت في واحدة من ارائك نادي بوبورون الفخمة حتى ناداني كوشيميزو.

«هاي، أنت أيتها الفتاة الجديدة، تعالي إلى هنا».

دعاني لمجالسة غندور أبيض الشعر بدا على حافة الثمانين من عمره. ولقد صدمني في الحقيقة، وجدتني أمام رجل كان بداهة يختبر طرائق المتعة منذ أكثر من نصف قرن. كان ثمة جاذبية لديه بددتها قليلاً السنوات التي انساقت عبر الفضاء من حوله. راح يتفحصني ثم فترت شفتاه من ابتسامة خفيفة وقال «ياه، ما هذا، إنك سيدة صبية من أكيس وأنيق ما يكون».

قال هذا بجدية تامة وأثار فيّ ذلك انطباعاً طيباً. شعرت أني تلقيت للتو رخصة رسمية بتصنيفي «امرأة من الدرجة الأولى». غالبني الدمع، ياه، يا لأهمية المظهر الخارجي.

أجل، مهّم فعلياً الاكتساء بأناقة. ولقد انطبع الإطراء مباشرة في ذهني. استعدت بطاقة الائتمان المصرفية خاصتي الـ «ماروي» الحمراء، بعدما كذبت على الشركة زاعمة أني أضعت السابقة، وشرعت ابتاع لي المزيد من الملابس. كان الوقت مؤاتياً للإغارة على بوتيكات ومتاجر الألبسة النسوية، إذ بدأت للتو تخفيضات أسعار موسم الشتاء، الأمر الذي أتاح لي أن أختار لأجل وظيفتي العديد من الأثواب والملابس والأحذية العالية الكعوب المصممة لحفلات الميلاد، وكلها بحسم سبعين بالمائة من سعرها الأصلي! هأنذا صرت أملك الملابس المناسبة لنادي بوبورون. على الرغم من أن الملابس هذه كانت محشورة داخل الخزانة الصغيرة في فندق الغرام حيث نقضي الشتاء أنا وبوغي.

كانت الجامعة قد أغلقت أبوابها لعطلة الأعياد وأحسستني المضيفة الليلية رقم واحد في اليابان.

كنت أقطن في فندق وأعمل في الليل في حي غينزا. بعد انتهاء دوام العمل يكون بوغي في انتظاري في بار في حيّ روبونغي تديره عشيقة هيروتا. كنت أركب تاكسي وأتوجه إلى هناك وألج المكان مرتدية ثوباً من ملابس الـ «بوبورون». ولقد كان ذلك والحق مشهداً مخبلاً.

تفحصتني خليلة البروفسور سريعاً وبوّزت بعض الشيء.

«ما هذا، ما هذا الجمال الليلة يا صغيرتي سايا. رائع، ولكن أخبريني، هل هو صحيح أنه يتوجب على كل الفتيات العاملات في

النادي مضاجعة كوشيميزو؟»

ينبغي الاعتراف بأنها كانت تمتلك نوعاً من التهكّم الذي يسهل فهمه. نبرة صوتها وسلوكها كانا يشيران بوضوح إلى أنها كانت في السابق مضيفة في نوادي حي غينزا، وضليعة في الموضوع، أشبعت رغباتها من صنوف كل ما يكن أن تتصوّره من أسباب الترف ووسائله، وذلك لزمن طويل مذ تدرجت من مغازلة الرجال على غرار ما تفعل زميلاتها الأصغر سناً. كان شعرها مقصوصاً قصيراً ومرتدية بدلة بارعة رجاليّة نوعاً ما.

قاطعها البروفسور قائلاً «هذه مجرد شائعة أليس كذلك؟ لربما يعود سببها كونه يدفع أجوراً ممتازة بالنسبة لنادٍ يرتاده عدد قليل جداً من الزبائن».

«يا بوغي، هل كنت تعلم ذلك؟»

«لا ما كنت أدري. إنما هدّئي من روعك يا سايا. إن رجلاً طاعناً في السن مثله أعجز من أن يشكل أي خطورة في السرير، إننا نناقش ههنا زمناً ولى».

«أجل، أعتقد أنك مصيب في هذا».

غير أن الماماسان أصرت على الاسترسال في الموضوع.

«أوهل حاول أمراً ما؟»

سألتني رامقة إياي بخبث.

«لا، ليس تماماً.».

«ليس تماماً..؟»

«إذاً لقد حدث شيء ما».

«هيا، أخبرينا ماذا حدث، أخبرينا».

احتشدوا جميعهم من حولي. كانوا خططوا لهذا الهجوم، كانوا هاجعين هناك في انتظار عودتي من العمل، أملاً بالضحك قليلاً انسجاماً مع احتسائهم الشراب.

شرعت أقول بحذر «في الواقع، ميوكي وأنا.. تعرفون ميوكي، لقد كانت موجودة في حفل الميلاد، الفتاة الأصغر سنّاً من بعدي. توجب علينا أن نجلس إلى جانبي رب العمل».

«وبعد ذلك؟»

«حسناً، تلك الليلة شارف وقت الإقفال ولم يدخل زبون واحد، لذا..».

«ولا أي زبون؟ ها ها ها!»

كان بوغي والبروفسور متحمّسين فعلياً للقصة.

«أجل، في الواقع يكون العمل أصعب حين لا يكون هناك زبائن. لأنه لا يكون كذلك لدى صاحب النادي ما يفعله. لذا يتوجب أن نقوم أنا وميوكي بتسليته. يبدو أن هذه هي إحدى شعائر الدخول التي يتوجب أن تقوم بها الفتيات الجديدات. ما إن يحتسي بضع كؤوس حتى يصبح شخصاً لا يطاق. تذكرون قطع كبد سمكة الراهب الذي يزدردها باستمرار، يقوم بتناول قطعة منها بأصابعه، ويسقطها في فمه ثم يقوم بلمسك دون أن يغسل يديه وتكون أصابعه كلها دبقة. ثم يقوم بتقبيلك بفمه ذاك الأدرد مباشرة بعد التهامه قطعة الكبد، وتنبعث من أنفاسه رائحة ذلك الطعام الكريهة. وإن شعرت بالاشمئزاز وحاولت إبعاده ينهرك قائلاً «لا يمكنك العمل هنا إن

كنت تتصرفين بهذه الطريقة!»

تبادل كل من البروفسور وبوغي والماماسان النظرات، فيما جهدوا لمنع انفجارهم بالضحك وكانت دموع المرح تتلألأ في أعينهم.

«ماذا حصل بعدئذ؟»

«ثم يبدأ بعدها عمداً التحدث عن موضوع نجهله أنا وميوكي كليّاً، لذا نعجز عن المشاركة في الحديث، ومجدداً يروح يردد بأننا غير صالحتين للعمل في ناديه. ثم يقوم بعدها بطرقنا على رأسينا ببراجمه ولا يؤلمنا ذلك لأنه طاعن السن جداً وواهن».

«هذا بغيض إلى أقصى الحدود!»

«أجل، غير أنه يبادرنا فجأة قائلاً آه، هلاّ تحكّان لي ظهري؟»

«ما هذه القصة؟»

«حسناً، لم يعر صحته أي اهتمام منذ سنوات، ووضع كبده سيئ ويرفض أن يعاينه أي طبيب، لذا حين يبدأ باحتساء الشراب، يستحكّه كل جسمه وخصوصاً ظهره».

«لذا تقومان بحكّ ظهره بعض الشيء، أليس كذلك؟»

«أجل، يبدو أن هذا طقساً آخر من شعائر الدخول لم أكن على علم به. أقوم وحسب بحك ظهره عبر القميص، لذا يعترض مجدداً كليّاً وينهرني قائلاً «ادخلي يدك وحكّي كما يجب!»

«وبعدها؟»

«وهكذا أرفع قميصه، أدسّ يدي تحتها وأشرع مجدداً بالحكّ غير أني كنت لا أزال أقوم بذلك بشكل خاطيء. انحنت عندها ميوكي مرتبكة بعض الشيء وهمست لي في أذني «يا سايا، ليس هكذا، ينبغي أن تجعلي

أظافرك في زاوية قائمة إزاء الجلد».

«هكذا» وعرضت متباهية أظافر يدي المدرّمة لمستمعيّ المشدوهين. معظم الناس يلوون أصابعهم في زاوية حادة حين يحكون، غير أني استعرضت لهم طريقة الحك بزاوية قائمة.

«ثم... كان فات الأوان! نظرت إلى أظافري وألفيتها مترعة بالبشرة الزيتية التي كشطتها من على ظهر رب العمل».

هنا انفجر ثلاثتهم بالضحك، مجدداً، لكن ذلك لم يكن البتة نكتة بالنسبة إليّ. غضبت بالطبع حين وجدت أظافري الجميلة مليئة بالجلد الميت الأصفر الشمعي، غير أنه كان هناك قصّة حزينة وراء حالة كوشيميزو المقززة.

بسبب معركته القانونية المتطاولة مع الدولة، كان أجبر على العيش منفصلاً عن زوجته وأولاده. يبدو أنه كان تلقى تهديدات من جماعات يمينية متطرفة اعتبرته خائناً لبلاده واتهمته بتلويث التلفزيون الياباني بمسلسلات درامية أميركية، ولم يكن راغباً في توريط عائلته بالمسألة. كان يعيش وحده منذ سنوات طويلة وكان عاجزاً عن غسل ظهره كما يجب، لذا عبر السنوات كانت فتيات من كل جيل من مضيفات نادي بوبورون يتناوبن بالدور الذهاب إلى شقته والقيام بفرك وتنظيف ظهره بشكل مناسب. مؤخراً كان يواجه صعوبة في إيجاد ذلك النوع من الفتيات اللواتي كان تفانيهن المهني يصل بهن إلى توفير هذا النوع من الخدمة الشخصية، وأصبحت القشرة المتراكمة على ظهره بحالة مثيرة للضيق. وكان الكلام حول كبده العليل احتمالاً حكاية غير قابلة للتصديق. أعتقد أنها كانت ببساطة مجرد بشرة جافة متسخة تستحكه

طبيعياً. الايقاع بالفتيات الجديدات وجعلهن يقمن بحك ظهره كانت أصبحت عادة لديه، ونشب أظافرهن قائمة أصبح بالتالي عادتهن.

«الحك بزاوية تسعين درجة؟ هذا أمر سوف تكتشفينه من غير أن يطلعك أحد عليه، صحيح؟»

«لا بأس، اعتبري ذلك جزءاً من تدريبك يا سايا. وأيضاً مسايرة للرجل الطاعن في السن».

كان ذلك تحوّلاً غير سار في مجريات الأمور، لكن الوعد وعد، كان بوغي أعارني لنادي بوبورون لشهرين، إضافة إلى أني كنت جمعت كل تلك الملابس الأنيقة وثمة لا شيء آخر أفعله بها، لذا استمررت بالعمل في النادي.

ذات ليلة كنا نوشك على الإغلاق بعد ليلة أخرى هادئة، كانت وحسب مجموعة واحدة من الزبائن قد دخلت الباب، وكان رب العمل وقتها منهاراً على الأريكة مخدّراً بالكحول. كان من الجليّ أنه ليس بالوسع تركه بحالته تلك، لذا كان يتوجب على أحد ما إيصاله إلى المنزل.

«يا ساكي» غمغم قائلاً أنت من سيوصلني اليوم إلى البيت، أنت والفتاة الجديدة سايا».

كانت ساكي واحدة من أقدم الفتيات اللواتي يعملن هناك ورائعة الجمال. إن أمراً مغَمماً يظل أمراً ووافقنا أنا وهي على إرجاعه إلى البيت.

كان كوشيميزو يقطن الطبقة الحادية عشرة في عمارة مواجهة للبحر تطل على مشهد رائع للأضواء الليلية حول الخليج. ولكن على مرّ

السنين تراكمت مقتنياته فوق أرضية المكان إضافة إلى طبقة كثيفة من الغبار وبالكاد وجدنا فسحة لموطىء أقدامنا. كنت واقفة هناك مغفلة حين قام كوشيميزو الذي كان استعاد إلى حد ما عافيته بإقحام قنينة سائل برتقاليّ اللون في يدي.

قال لي «هذا مستخلص معدني من ينابيع كوزاتسو الحارة» وتابع «استخدمي هذا في حمّامك وسوف يجعل بشرتك ناعمة كالحرير».

وشرع بعدها على الفور بالتعّري أمام ناظريّ. بدت ساكي غير معنية كلياً. من الجلي أنها معتادة على هذا العرض، فراحت تشاغل نفسها بترتيب البقايا المنثورة في أرجاء الغرفة، ثم انتقلت إلى المطبخ لمعالجة كدسة الصحون المكومة في المجلى.

عارياً كلياً استدار رب العمل بهدوء وبادرني بالقول «تعالي معي إلى الحمّام، موافقة؟»

وقعت في حيرة تامة، غير أن ساكي انسلت إلى الحمام من المطبخ من غير أن ينتبه لها وهمست لي في أذني، «لا عليك، كل ما يتوجب عليك هو المكوث هنا إلى أن يخرج».

تمايل رب العمل متوجها عارياً إلى حوض الاستحمام وغطس في الحوض، ثم تطلع إليّ من فوق كتفه. كنت جالسة بكامل ملابسي وفي غاية الإحراج داخل فسحة خلع الملابس.

«آه، وجدتك».

شيء ما في المشهد أثّر في فاغرورقت عيناي بالدمع. كان هناك بطّة مطاطيّة طفلية داخل الحوض وسفينة آلية بلاستيكية. كان رب عملي يلعب بهما فيما كان منتقعاً في المياه الساخنة، مدندناً لنفسه أغنية ما.

فيما نهض من اغتساله نادى على ساكي.

«ساكي يا عزيزتي هناك بعض الفراولة اللذيذة في البراد. أعطي علبة لهذه الفتاة الصغيرة وخذي أنت واحدة».

«حسناً سأفعل!»

وضعت ساكي رب العمل في السرير بطريقة بيّنت أن لها باعاً في القيام بهذا، ناولتني علبة الفراولة وغسلت واحدة أخرى قبل أن تعيدها إلى البراد.

بينما خرجت من منزل كوشيميزو اعتراني شعور بأني شهدت شيئاً ما كان ينبغي أن أراه، وأحسست قلبي يترجرج. لا ينبغي أن أفكر أبداً بذلك مجدداً. عاجلتني غريزتي وأوقفت على الفور كليّاً تسلسل أفكاري. وغمرت السكينة قلبي المضطرب.

عدت أدراجي إلى الفندق وملأت بالمياه المغطس الصغير، مضيفة إليها كمية قليلة من مستخلص ينابيع كوزاتسو المعدنية. ثم دخلنا الحوض أنا وبوغي فيما استغرقت عميقاً في التفكير في سعادتي الحاضرة.

«تفوه! إن رائحة هذا المغطس كريهة جداً!»

«لقد أعطاني رب العمل هذا المستخلص. قال لي إنه سيجعل بشرتي ناعمة كالحرير».

«أحقاً؟»

وراح بوغي ينشد أغنية شعبية مردداً «لعل هذا المنزل صغير، إلا أني أحب المكوث هنا على أيّة حال.».

«إنه صغير، إن صغره استثنائي».

«هذا المغطس كريه الرائحة على نحو استثنائي».

«إنه يبعث فيك على الأقل الدفء».

تصاعدت أبخرة ينابيع كوزاتسو الحارة وانتشرت في الحمّام. وليس الحمّام وحسب إذ تسللت إلى داخل غرفة النوم وتسربّت من تحت الباب وعبر الرواق وصولاً حتى المصعد.

*

لقد حدث واكتشفت بعد أن أتممت شهريّ مهمتي المتعهد بهما، أن كوشيميزو لم يكن يملك في الواقع المال المتوجب لدفع الرواتب الكبيرة السخيّة التي كان يفترض أن تنالها المضيفات. الزبائن القلائل الذين كانوا لا يزالون يرتادون النادي كانوا يفعلون ذلك حباً وكرامة إذ كانوا أصدقاء قدامى له. وكان الأمر مشابهاً بالنسبة للمضيفات. كن جميعهن يملكن وظائف نهارية ويعملن في نادي بوبورون بدافع من التعاطف مع الرجل الكبير في السن. كان ذلك هو السبب من وراء الإشاعات حول العلاقات الحميمة ما بينه وبينهن. كن يكسبن عيشهن في النهار ويتأنقن في الليل كرمى لرب عملهن وحسب. للأمانة، كان يقوم بين الحين والآخر باستدانه بعض المال ويدفع قسماً ضئيلاً من المتأخرات المترتبة لهن. أنا بالذات حصلت على أجر حوالي عشرة أيام سلّمني إياها الساقي المقطب الوجه الذي كنت حكمت عليه من شكله الخارجي واتضح لي أنه شخص لطيف. وكان المبلغ كافياً لدفع دين بطاقة الائتمان المصرفية.

غادرنا الفندق وانتقلنا مجدداً للسكن في أزابو جوبان في غضون الفترة نفسها، تلك التي انتهى بها عملي في نادي بوبورون. لم يكن

باستطاعتنا، على أيّة حال، ترك الهرّتين مع كن كن إلى الأبد، والعيش في حجرة فندق ضيقة كان مجهداً ومصدر توتر شديد بالنسبة إلى رجل في منتصف العمر. وثبت أن إطلاق الشركة الجديدة كان بمثابة معركة فعلية يخوضها بوغي، وكان التوتر ظاهراً على وجهه الذي كان شاحباً شحوب الموت.

«إن لولو تتحدث عن نيّتها في الانتقال إلى شقة أوسع في شيروغان، وأنا أعتقد كذلك أنه يتوجب علينا أن ننتقل من هنا. فلنعد إلى أزابو جوبان. إنه حي قريب من شيروغان وأنا أحب ذلك القسم من المدينة».

انتهى بنا الأمر في البناية البيضاء نفسها التي كنا عشنا فيها قبل انتقالنا إلى نيزو. كانت شقتنا الجديدة في الحقيقة أفضل بعض الشيء من تلك القديمة. هذه كانت تضم غرفة إضافية غير أن بدل الإيجار بقي على ما هو إذ كانت مواجهة للشمال وما كان يدخلها الكثير من ضوء الشمس. والبناية ما عادت جديدة كما سبق وكانت حين انتقل إليها للمرة الأولى. فتشنا في بنايات عديدة أخرى غير أنه بدا لنا أن الأمكنة الوحيدة الشاغرة كانت تلك القديمة والقذرة. الشقة التي انتقلنا إليها كان جرى للتو دهنها من جديد، كما لو أنها جهزّت خصيصاً لنا. كان ينبغي أن نستأجرها، بدا ذلك أشبه بقدر.

الفصل الخامس

«لا أحتمل ايشيرو فوجياما ذاك».

يمكن لبوغي أن يحكم بقسوة على المغنّين الذين يشاهدهم على التلفزيون. الآن وقد عدنا إلى أزابو جوبان، بات في وسعنا الاستمتاع مجدداً بإحدى هواياتنا المفضلة، وهي التكاسل في سريرنا الشاسع والأكل والشرب عند مشاهدتنا التلفزيون.

«يظهر دائماً مدّعياً الرقّة والطيبة. هذه الوقفة، هذا التعبير على وجهه، هذا الأسلوب في الغناء، لا يمكنني تحمّله بكل بساطة».

قلّد المغني الذي يمقته بشكل عابر واحتسى جرعة من كأس الهينيسي الذي كان أعدّه مع الماء.

«تسس..».

كان بوغي يجاهد لإيجاد تعبير ملائم يعكس مدى استيائه المكبوت أمام وقاحة ايشيرو فوجياما. ولم يكن الأمر مفاجئاً في الحقيقة، إذ كان المغني تحديداً على طرفي نقيض تماماً مع بوغي في ذهنه ومظهره وعلى الأخص وقفته. فكان ايشيرو فوجياما مستقيم العود مشدود العضلات، في حين واجه بوغي انتقادات محقة من مرجع خبير في هذا المجال هو والدتي. حين عرّفتها على بوغي، نظرت إليه وتفحّصته فلم تخرج بانطباع جيد. تمتمت عاقدة حاجبيها «حذاوِه سايا، أنظري إلى الكعبين! إن لم يكن بوسعك وقفه عن التحدّب على هذا النحو في

وقفته، إجعليه على الأقل ينتعل حذاءيه بطريقة لائقة!»

لم يكن بوغي يكترث لانتعال حذاءيه بالطريقة الصحيحة حين لا تكون هناك مناسبة رسمية، بل كان يثنيهما من الخلف تحت كاحليه فيبدوان أشبه بخفّين.

حين التقى والدتي للمرة الأولى، أراد أن يظهر أمامها بمظهر حسن باصطحابها إلى مكان راق.

«هل ثمة مكان يمكن أن يعجب والدتك لنذهب إليه؟ أتعلمين، مكان لطالما ودّت استكشافه لكنه لم يتسنّ لها ذلك؟»

هناك البرج الفضي في فندق نيو أوتاني، إنه فرع لمطعم باريسي ذائع الصيت في طوكيو. كانت تقرأ عنه في مجلة ما قبل أيام وقالت «هذا مكان لا تودّ الواحدة ارتياده دون رجل أنيق يرافقها». «ألم تقولي إن لديها صديق؟»

«أجل، لكنه يرفض اصطحابها إلى مكان راق كهذا، إنه بخيل من الطراز الأول».

ذهبنا إذاً نحن الثلاثة لتناول العشاء في مطعم البرج الفضي، لكن مطعم الأحلام بنظر والدتي لم يكن من النوع الذي يناسب بوغي، فلم تعجبه الخدمة فيه ولم يمض وقت على جلوسنا هناك حتى بدت عليه بوادر العصبية.

كنا جالسين هناك، بوغي عابس الوجه بحذاءيه الخفّين لا يبدو في أبهى حالاته، ووالدتي وكأنها لا تطيق رفقته، في حين حام النادلون حولنا وعلى وجوههم ارتباك وكأنهم لا يعرفون كيف يتعاطون مع طاولتنا تحديداً. كنت في حالة توتر فظيعة، أسرفت في تناول الطعام

واختتمت تلك الأمسية المجيدة في أحد مراحيض ردهة الفندق أتقيأ القسم الأكبر من عشاء فاخر بسبعين ألف ين. بوغي بالكاد تناول شيئاً من الطعام باستثناء حساء السلحفاة، ما أرغمني عملياً على ابتلاع عشاء كامل لشخصين.

حين عدنا إلى المنزل راح ينتقد الأمسية بشدة.

«آه، إنني منهك! هل كان يتوجب فعلاً على كل هؤلاء الندلاء والخمّار أن يقفوا خلفنا ونحن نتاول الطعام؟ ولماذا كل هذا الشرح المستفيض قبل تقديم أي طبق؟»

«كانت هذه تشكيلة من كبد البطّ المسمّن والكمأ المستوردين جواً من فرنسا في اليوم نفسه».

«لكن هل يتعيّن علينا فعلاً معرفة كلّ ذلك؟ ثم يحومون من حولنا، يتحققون مما إذا كنّا نتناول الطعام بالشكل المناسب. هذا مشين! إننا ندفع ثمن الطعام، ويجدر بهم بالتالي أن يدعونا نأكل كما يحلو لنا. يا للوقاحة!»

لقد كره كل ما في المكان منذ الوهلة الأولى: عجرفة الزبائن الآخرين وتكلّفهم، مبالغة العاملين هناك في إظهار احترامهم إلى حدّ يلامس التزلّف، الأطباق الغنية المعقّدة الإعداد، وتلك التفاصيل التي تذكرنا بشكل متواصل برقيّ ذلك المطعم النخبوي الذي سنح لنا الحظ أن نتاول العشاء فيه.

والأهم من ذلك أننا قضينا كل هذه الأشهر نعيش في فندق. وحتى بعدما عدنا إلى أزابو جوبان، كان بوغي يعيش عملياً في السرير باستثناء تنقلاته القليلة المتباعدة إلى المرحاض أو حوض الحمام، ولم يكن يرتدي

سوى ملابسه الداخلية. كان ثمة على الدوام في متناوله على الطاولة الصغيرة إلى جانب السرير بعض المقبّلات وزجاجة هينيسي وإبريق من الماء ودلو من مكعبات الثلج، فيتمدد متمرغاً في الفراش مثل نزيل مقعد لا يسعه سوى ملازمة سريره. لا يمكن في ظل نمط حياة مماثل أن نتوقع منه مكابدة عشاء رسمي طويل والبقاء جالساً حتى النهاية.

ربما كان يعيش في الفوضى والخمول، غير أنه كان دقيقاً للغاية فيما يتعلق بأطباق المقبلات التي كان يتناولها مع الكحول. فكان ينبغي تحضير كل منها وفق الأصول وتقديمها كما ينبغي وفي الوقت الملائم بفارق محدد عن الطبق السابق، كما في مطعم محكم الإدارة. لقد ازدادت مهارتي في الطهي إلى حدّ بعيد عندما كنا نقيم في نيزو، إلى أن أصبحت وظيفتي الرسمية الآن طبّاخ بوغي الشخصي. في خلال أيام الأسبوع، كنت أخطط بعناية وجبات ترضي أذواقه. وفي عطلة نهاية الأسبوع، كان يقرر بنفسه العشاء الذي يودّ تناوله، فنغزو المتاجر المحلية للمواد الغذائية بحثاً عن المكوّنات الضرورية. وفي كلّ مرّة، كان يشتري كميات تفوق الحاجة بكثير وأضطر إلى حملها بمفردي. كان بوغي يرفض رفضاً باتاً أن يشاهد علناً يحمل كيساً من السوبرماركت محشواً باللحم والسمك والخضار. كان على قناعة راسخة بأن ذلك سيكون انتهاكاً فاضحاً لقواعد الغندرة المقدسة وسينتقص من كياسته.

«بوغي، الأكياس ثقيلة للغاية! لو تأخذ عني كيساً واحداً! ذراعي سوف تنقطع ومسكات الأكياس تحزّ أصابعي وتمنع سريان الدم فيها!»

لكنه كان يقهقه ويقول «سايا، تبدين جميلة للغاية وأنت تحملين أكياس التبضّع!»

أما هو، فكان يمشي مشيته المعهودة المترهّلة ثانياً حذاءيه من الخلف ويداه في جيبيه.

*

كان يمكن لبوغي أن يستمتع بحياتنا الخاصة أكثر، غير أن مزاجه كان مرهوناً بتوجهات سوق الأسهم، فيتبدّل طبقاً لتقلّباتها.

كان من الصعب إدارة استثمارات شركته الجديدة. عاد يحمل من جديد رزمة كبيرة من الأوراق المالية في محفظته، غير أن ذلك لم يكن يعني البتة أن لديه سيولة في تصرّفه. كان كل شيء على نطاق مختلف تماماً منه في نيزو. كان هناك دفق أكبر بكثير من النفقات والمداخيل على حد سواء. كان يترتب عليه دفع رواتب موظفيه ومساعدة لولو ومحيطها على مواصلة نمط حياتهم المعهود. كان لديه سيولة، لكنه لم يكن في وسعه إنفاقها على نفسه. كان هذا الوضع حيث يتولى مبالغ مالية يشرف عليها قبل أن يجيّرها إلى غيره، أصعب بمعنى ما من عدم امتلاك أي شيء.

استأجر مكتباً في حيّ غينزا إضافة إلى المكتب في روبونغي. كما كان يعدّ لافتتاح بار للولو، عندليب باريس الشهيرة. كان بحاجة إلى ملهى ليلي خاصّ به يمكنه الترفيه فيه عن زبائنه وكسب ثقتهم، وكان ذلك من مستلزمات عمله المهمة. قررت لولو أن تطلق على البار اسم «طرّة أو نقشة» بالفرنسية.

قالت لولو متحاذقة «هذا عزيزي هو الاسم الفرنسي لعبارتنا الرأس أو الذيل. أنه اسم مطعم ملاصق لبورصة باريس، ما يجعل منه الاسم

المثالي لبار على علاقة بشركة مضاربات، ألا تعتقد».

كانت تعتزم اختيار العاملين في البار من صفوف فاشلين معدمين صادفتهم في الفترة التي كانت فيها خارج المدينة. كل ما كان عليهم أن يقوموا به هو أن يرووا لها قصة ما عن حظهم العسير، فتصيح «عليك حتماً يا حبيبي أن تأتي وتعمل في مكاني الجديد!» بين هؤلاء المنتسبين كانت الماماسان التي كانت تدير ملهى «أولالا»، أو علينا القول الماماسان السابقة فيه إذ طردت من وظيفتها بسبب إدمانها المخدرات.

راحت أسراب من الطفيليين والانتهازيين تحوم حول بوغي، وكلما عقد صفقات مع أشخاص من الأوساط المالية، ازداد اكتئاباً.

«الناس الذين يعملون في هذا المجال هم حثالة الأرض. إنهم من فصيلة الفئران! بعدما أجني ثروة، سوف أخرج من جبل الروث هذا بسرعة تفوق التصوّر».

هذا ما كان يقوله بوغي عن عمله، وقد حاول أن ينأى بنفسه عن «روث» المضاربة فاحتفظ بمكتبه الفخم في روبونغي في حين كان القسم الأكبر من العمل ينجز في مكتب غينزا.

كان نشاط بوغي يقضي رسمياً بإقامة شبكات يمكن للناس من خلالها أن يلعبوا ألعاب حظ مثل لعبة «غو» والشطرنج الياباني عبر خطوطهم الهاتفية. كان ذلك بالطبع قبل فترة الإنترنت. كان غارقاً على الدوام في صعوبات ومتاعب قانونية للحصول على الحقوق الضرورية لإدارة خدمة كهذه، ولم تكن الأمور تسير بسرعة. غير أن ذلك كان مجرد التغطية الظاهرية لعمله الحقيقي، وهو كالعادة عمل لا ترخيص له، بالكاد يدخل في إطار القانون، ويقوم على

تقديم الاستشارات للاستثمار.

بات بوغي شاحباً إلى حد مخيف. في كل صباح كان يستيقظ ويهرع إلى الحمّام حيث تنتظره نوبة إسهال مطوّلة وصاخبة، يعود بعدها إلى غرفة النوم متألّماً ويده على معدته.

«يا إلهي، أشعر أنني مريض جداً! لو أستطيع وضع معدتي في آلة الغسيل وأنظفها لتعود لمّاعة».

غير أنه لم يذهب يوماً إلى الطبيب. وعلى الرغم من نمط حياته غير الصحّي، كان قويّ البنية إلى حد مدهش. كما أنه لم يكن له تأمين صحي، فكان يترتب عليه تسديد أي نفقات طبية من جيبه، وهذه النفقات قد تكون باهظة في حين لم يكن لديه مال ينفقه على نفسه (أو عليّ بالمناسبة).

بدا سقيماً إلى حد أنني بدأت أقلق عليه.

قلت له «بوغي، يجدر بك الذهاب إلى الطبيب».

أجابني وهو يبدو على وشك التقيؤ «سايا، أنا شخص يبغض المكاتب الحكومية والمستشفيات. هذه الأماكن مزعجة تماماً، والناس فيها يخالون أنفسهم في غاية الأهمية. إن ذهبت إلى مكان كهذا، فسوف أشعر أنني مريض أكثر من قبل».

«أعلم هذا بوغي، لكن انظر إلى وجهك في المرآة. هذا ليس البتّة لون شخص بصحة جيدة. لا تبدو بحالة جيدة على الإطلاق».

كان يعلم أنني كنت أخشى عليه كثيراً، غير أنه بقي على موقفه المتعنت.

«لا تخافي سايا، أعلم ما الذي يتسبّب لي بهذه الحالة. كل ما أعاني

منه هو افتقاري إلى المال، هذا كل ما في الأمر. إنها الأنيميا المالية، هذا هو مرضي الوحيد. وحين أبدأ بجني بعض المال، ستزول كل تلك الأعراض حالاً».

كان في كلامه شيء من الحقيقة. حين كانت أسهم البورصة ترتفع، كانت ترتفع معها معنوياته وتتحسن صحته بشكل ملحوظ. لكن حين تعود الأسهم وتتدنّى، تهبط معنوياته إلى حدّ أنه يسألني «هل تقبلين بالموت معي؟» أو «هل تبقين إلى جانبي حتى إن توجّب علينا العيش في غرفة في نزل منحطّ؟»

كان كلامه أشبه بأغنية حمقاء مستنفدة.

في لحظات كهذه كنت أكتفي بهز رأسي وقول «نعم، نعم». فقد نشأت في ظل اقتصاد محموم ولم أعرف الفقر يوماً. لم يكن هناك في ذهني أي رابط ما بين الإفلاس وانتحار الأزواج. أما بالنسبة لتلك «الغرفة في نزل منحط»، فلم تكن لدي أدنى فكرة عما يمكن أن يكون عليه مثل هذا المكان. كنت لا أزال شابة ولا أحب الاستغراق في التفكير. وهذا يعني أنه كان بوسعي أن أتكيف مع أي شيء، حتى الموت. غير أن ذلك جعل مني في المقابل فتاة جوفاء فارغة.

على الرغم من ذلك، كانت سحنة بوغي المعتلّة تبعث على الشفقة إلى حد كان الأمر مقلقاً لي. وكنت أفكر «في هذه الحالة، من الأفضل لنا أن نموت معاً». وكنت أتساءل في الوقت نفسه متى سيسدد لي المبلغ الذي اقترضه مني.

كان ذلك المبلغ ما تقاضيته لقاء عملي شهرين في ملهى بوبورون، وكان يقارب مئتي ألف ين، كنت أعتزم استخدامها لتسديد الدين

المتراكم على بطاقتي الائتمانية بعدما اضطررت لشراء ملابس أرتديها في الملهى. كان بوغي واقفاً ذات صباح يبحث عن وسيلة لجمع المال الذي كان يحتاج إليه لعملياته في ذلك اليوم، حين أومضت فكرة في ذهنه.

«هاي، سايا، ألم تقولي إنك تلقيت راتبك للتو من بوبورون؟»

«أجل..».

«حقاً؟ ها ها ها... هل تقرضينني المبلغ؟»

«لكن هذا كل ما أملكه لتسديد المبالغ المتوجبة على بطاقة ائتماني!»

«وإن يكن؟ كل ما أطلبه هو أن أقترضها وسوف أسدّدها لك في الحال، مع الفوائد بالطبع».

كان ذلك قبل بضعة أشهر. كنت تلقيت عدة إنذارات بتسديد ديوني، وكانت مسألة أيام قليلة قبل أن يكتبوا مجدداً إلى الجهة الضامنة لي، والدتي المسنة المسكينة. لم أكن حتى سددت المئة ألف ين السابقة التي أنفقناها أنا وبوغي على رحلة لصيد السمك ليوم واحد. لم تكن ادّعاءات بوغي بالفقر والإفلاس تمنعه من التسكع في المدينة كل ليلة برفقة لولو وشلّة كاملة. ربما لم يكن يملك المال ليسدد لي ما اقترضه مني، غير أنه كان لديه على الدوام ما يكفي لدعوة الجميع إلى تناول طعام ومشروب باهظ الثمن، كل ذلك تحت شعار «الترفيه الخاص بالأعمال»، وفق مفهوم يفترض أن يكون بالغ الأهمية.

سألته في نهاية المطاف وقد ضقت ذرعاً «متى سترّد لي المال الذي اقترضته منّي؟»

جنّ جنونه وقال «ما كل هذه القضية اللعينة حول تسديد قروض؟ من المفترض أن تكوني امرأتي، وليس مدير مصرفي اللعين! لا أريدك أن تتعاطي معي بعد اليوم! أغربي عن وجهي!»

لم أجروْ على طرح الموضوع مجدداً بعد ذلك. تقوقعت وانتظرت زوال العاصفة. مهما حصل، لم يكن بوسعي احتمال الانفصال عن بوغي. حياتنا معاً كانت الأمر الوحيد المتين الذي كان عليّ التشبّث به. ولو خسرته، فلن يبقى لي أي شيء.

اضطرّت والدتي في نهاية الأمر إلى دفع ديوني مرة أخرى. لم تغضب مني هذه المرة، وقد أدركت أن الأمر لن يجدي نفعاً وأنني لن أترك بوغي مهما قالت هي أو أي شخص آخر، إلى أن أشعر من تلقاء نفسي بالحاجة إلى ذلك. وبدل أن تحاول تغيير الأمور، راحت تسدي لي المزيد من نصائحها العملية.

«الرجال الذين يخوضون ميدان الأعمال يعرفون أياماً حلوة ومرّة. جدّتك كانت تعرف ذلك حقّ المعرفة. حين كانت أعمال جدّك رابحة، كانت تحرص دائماً على وضع بعض النقود جانباً للأيام العجاف، دون علمه بالطبع».

قالت ذلك بنبرة قلقة، ثم لزمت الصمت ووضعت بهدوء ظرفاً من المصرف يحتوي على مبلغ مئتي ألف ين على الطاولة بيننا.

«حين يعيش الواحد عيشة الملوك، لا بد أن يواجه وضعاً كهذا بين الحين والآخر. وفي المستقبل، حين تسير أعمال السيد بوغي على ما يرام، إحرصي على وضع بعض المال جانباً لنفسك. مجرد مبلغ زهيد هنا وهناك، فهمت؟ بحيث لا يلاحظ شيئاً. وإن حصل مكروه ما ذات

يوم، قد يكون هذا المبلغ خشبة خلاص لكما».

مهما حصل، كنت لا أزال على شغفي ببوغي. كان يظهر في المرحلة الراهنة خشونته، تماماً كما فعل حين كان يعمل في شركة كابوتوشو جورنال، لكنني كنت واثقة من أنه خلف هذه الواجهة، كان لا يزال ذاك الرجل الطيّب الحنون. وحين يبدأ المال بالتدفق، سوف تطفو طيبة قلبه إلى السطح مجدداً. أنا وحدي كنت أعرف طبيعة هذا الرجل الحقيقية. كنت واثقة من ذلك.

*

في هذه الأثناء، بات بار لولو «طرّة أو نقشة» جاهزاً لفتح أبوابه. سخّرني بوغي للمساعدة في إنجاز العمل وبدء تشغيل المكان. هذا كان يعني على الأقل أنني سوف أستخدم الفساتين التي اشتريتها من أجل بوبورون مرّة جديدة. غير أنني لن أتقاضى أي بدل عن عملي بما أنني صرت الآن «من العائلة»، وهو ما شرحه لي بوغي بشكل مقتضب.

قال «أنت واحدة منّا، أليس كذلك؟ وبالتالي لا تتقاضين راتباً. إن احتجت إلى المال، كل ما عليك القيام به هو أن تطلبي مني».

كان هذا كل شيء. لا شكّ أن بوغي كان يشعر بأنّ الأمر سيكون سوء تصرّف إن دفع راتباً لامرأته.

كان الملهى الجديد مزيّناً على طريقة بار من الطراز القديم للبالغين، وهو ديكور يلقى استحسان بوغي ولولو. الأثاث فيه والأضواء منسوخة عن أسلوب الفن الجديد. أما الزبائن، فكانوا جميعاً من أصدقاء لولو وشركائها في العمل. فهي اكتسبت دائرة واسعة من المعارف بعدما

قضت كل هذا الزمن في هذه الأوساط. وإن كان استخفافها بالمال أبعد البعض عنها، فكان أصدقاء جدد ينضمون على الدوام إلى محيطها. بدا لي أن معارف العاملين في مجال الاستعراض يتضاعفون ويتوزّعون كالخلايا السرطانية، وكسب معجبين هو موهبة أساسية في هذه الأوساط. كلّما كانت لولو تخرج لتناول العشاء أو المشروب- على حساب شخص ما بالتأكيد -، كان لا بدّ أن تصادف أحداً ما يصيح «أنظروا! إنها لولو كيتانو!» فتلتقي أنظارهما وسرعان ما تجدها مستغرقة في الحديث مع شخص غريب تماماً ينضم بعدها إلى صفوف المتقاطرين إلى «طرّة أو نقشة».

عرفت لولو مسارا متألّقاً في الغناء حيث كانت تتميّز بالتأكيد بأسلوب في الأداء خاصّ بها. لكن حين يتعلق بالأمر بإدارة موسسة، كانت تفتقر إلى الحدّ الأدنى من الخبرة والدراية. كانت بحاجة ماسة إلى كسب إعجاب الجميع، إلى حد أنها كانت توزّع الحسومات على الزبائن أو حتى تلغي لهم حسابهم بالكامل. وحين يغلق البار، كانت تغرف من مداخيل الليل فتدعو الجميع للخروج وإكمال السهرة في حانة أخرى. يا لها من حمقاء وقحة!

كلّفني بوغي مراقبة الصندوق فضلاً عن المساعدة خلف البار.

كان بار «طرّة أو نقشة» غريباً تماماً مثل بوبورن. فكان يقدم عرضاً لتنكّرين يشارك فيه شاذّون مترهّلون كئيبون يرتدون كيمونو، أكثر قبحاً من أن يحصلوا على عمل في أي من تلك البارات الكثيرة الخاصة بالتنكّرين المنتشرة في طوكيو. كان هناك أيضاً مضيفة تشبه الغجر تقرأ الطالع للزبائن وعازف بيانو مثليّ يدعى غلين كيتازاوا استقدم من بار

«لي زارل» كان يقدم وصلته الموسيقية وهو يرتدي بدلة رسمية ووجهه مطلي بطبقة سميكة من التبرّج يتوسّطه شاربان.

كان ممثل عاطل عن العمل يدعى تاكي يقف خلف البار يؤدّي مهام الساقي. أما أمينة الصندوق، فكانت فتاة طليعية منتوفة الحاجبين عائدة للتوّ من باريس لم أرها يوماً إلا محزّمة في فستان قصير ضيّق ملتصق بجسدها. وحين كان يتعيّن الترفيه عن زبائن ذوي شأن، كانت لولو تستعين بميتشي، الماماسان السابقة في بار أولالا في شينجوكو.

كنت أفضل ميتشي على لولو. كان يمكن بسهولة أن يخالها الواحد رجلاً بشعرها القصير المسرّح بأناقة ولون بشرتها الداكن. كان لديها جاذب ما يقرّب منها العاملين في المهنة ذاتها. ساهمت في كل الحانات والبارات الجديدة الرائجة التي انطلقت في السبعينات ولعبت في الماضي دور البطولة في فيلم لأحد المخرجين الشهيرين. وهي غالباً ما توصف في أوساط الاستعراض بـ«نابغة حقيقية».

غير أن ميتشي لم تطور أياً من النشاطات التي زاولتها إلى أن يصبح مهنة حقيقية، وسبب ذلك أن إسرافها في التفرّد مقترناً بضعف شخصيتها، قاداها إلى إدمان المخدرات. فكلّما كانت على وشك إنجاز صفقة مهمّة في مشروع ما أو ما شابه، كان يقبض عليها في قضية مخدرات. كلّما كانت تذهب إلى المراحيض، كان دخان الماريجوانا يتسرّب من تحت الباب. وفي كلّ ليلة قرابة الساعة الثالثة قبيل إغلاق البار، كان أصدقاؤها المدمنون يتوافدون ويتجمعون في البار: رجال يعملون في ملاه ليليّة كانوا في الماضي عارضي أزياء معروفين، مصورون، مصممو أزياء، إلى ما هنالك من نماذج. وحين يغلق البار، كانوا يصطحبونها

ويذهبون لمواصلة السهرة في مكان ما أكثر حميمية. كان من الواضح أن الأمر لن يطول قبل أن يقبض عليها من جديد.

لم تمض ثلاثة أشهر على افتتاح «طرّة أو نقشة» حتى قامت شرطة مكافحة المخدرات بتفتيش شقة ميتشي، وقد وشى بها أحد أصدقائها.

راح «الأستاذ» الخبير في هذه المسائل يهزّ رأسه بأسى.

«لا يمكن القول إنني لم أحذّرها. إن أرادت القيام بشيء خطير كهذا، يجدر بها أن تحذر القيام به مع أكثر من شخص واحد آخر. حين يشارك ثلاثة أشخاص أو أكثر، فلا بد أن يفشي أحدهم بالسر».

لم أفهم ما الذي كان يجري فعلاً، لكننا عملنا باقتراح لولو فذهبنا جميعاً إلى المحاكمة وجلسنا بين الحضور. كان هناك تأييد كبير لميتشي، حتى أن والدتها حضرت، وكانت سيدة مسنّة ترتدي كيمونو أنيقاً. كانت قاعة المحاكمة مغمّة وعارية إلا من المقاعد والمناضد، وكان يخيم فيها صمت شبه تام وكأننا في كنيسة. لم نكن نحن روّاد الحفلات الليلية الصاخبة، معتادين على هذه الأجواء وسيطر علينا توتر صبياني. كنا نتبادل النظرات ونضحك دون أن يكون في وسعنا تمالك أنفسنا.

كانت ميتشي ترتدي قميصاً مقلّماً أسود وأبيض تقلّد به مظهر السجناء، وقد لفّت حول خصرها حبلاً وكأنما لمنعها من الفرار. بدا مظهرها استفزازياً بشكل يتخطّى الحدود. ألقت نظرة إلى القاعة وحيّتنا بابتسامة عريضة. لم تكن تظن بالطبع أنها اقترفت أي ذنب.

«واوا أنظروا إلى ميتشي، وكأنها تؤدّي عرضاً على الرغم من الموقف!»

«ثبت أنه كان بحوزة المتّهمة إناء بنّي صغير يحتوي على 0،003 غرام من الكوكايين».

«ماذا؟ كل هذا من أجل 0,003 غرام لا غير؟ هذا أمر سخيف!»

«صمت في القاعة!»

حتى والدة ميتشي لم تتمالك نفسها وراحت تتمتم كالجميع: «أتعلمون، في الماضي كان يمكن العثور على نبتات القنب الهندي مزروعة أمام مداخل المنازل».

دهشت لهذا الخبر. «حقاً؟ لم أكن أعلم ذلك!»

«أجل عزيزتي. كانت أوراق القنّب الهندي من النقشات الرائجة على الكيمونو أيضاً. أتعلمين، على أطراف الرداء».

«أطراف منقوشة بالقنب الهندي، هكذا إذاً!»

«صمت في القاعة!»

لكن هل تستخرج الماريجوانا من نبتات القنب الهندي؟ كنت أظن أنها مختلفة. كنت لا أزال أفكر في المسألة حين انتهت المحاكمة وأدينت ميتشي.

*

بينما كنت أسهر على سير عمل البار، كان بوغي يسهر على امرأة أخرى.

علمت بالأمر للمرة الأولى في عيد ميلادي. عاد يومها إلى المنزل ثملاً تماماً ويفوح منه عطر نسائي - وهو أمر غير استثنائي - وكان يحمل بيده علبة فيها كعكة لعيد ميلادي. كان من الواضح أنه اشترى

الكعكة قبل عدة ساعات، فقد سالت المثلجات فيها وباتت الكعكة مسحوقة بعض الشيء ولم يكن منظرها شهيّاً.

«هذه لك سايا! أنظري، جلبت لك كعكة لعيد ميلادك! أول كعكة عيد ميلاد أشتريها في حياتي! أتعلمين، هذا أمر لم أقم به يوماً مع زوجتي وأولادي! إنني أحبّك حقاً! هيا، ألن تفتحيها؟»

كان اشترى الكعكة من مطعم فرنسي قريب من مكتبه. الواقع أنه حانة صغيرة لطيفة لطالما وددت الذهاب إليها ذات يوم. هل بوغي حقاً من النوع الذي يغامر ويدخل مطعما رائجاً وباهظاً بمفرده؟ لم أكن أظن ذلك. فهو لن يقصد مكاناً كهذا إلا إذا كان برفقة... امرأة. ومضت هذه الفكرة في ذهني.

كنت أعلنت له في الصباح أنه عيد ميلادي، دون أن أتوقع الكثير.

«آه، عيد ميلادك؟ لدي الكثير من العمل اليوم ولا أعرف بالضبط متى سأعود».

قال ذلك متقصّداً مراعاتي بنبرة أثارت شكوكي على الفور.

لم يسبق لبوغي أن اشترى لي شيئاً في عيد ميلادي، وها هو الآن يبالغ في إظهار حنانه لي وحرصه عليّ.

يقال غالباً، وعن حق، إن الرجال يبدون اهتماماً خاصاً بزوجاتهم حين يخفون علاقة ما. لا شكّ أن بوغي تناول العشاء مع فاتنة ما من أحد الملاهي وأحس بعدها بوخز ضميره. وقد يكون ذكر الأمر أمامها فاختارت الكعكة بنفسها حتى يبدو لائقاً أمامي.

فكرت «هاه! ما كان يجدر بها أن تكلف نفسها هذا العناء!»

كانت رفيقة بوغي الجديدة ماماسان في ناد ليليّ يدعى «صالون

ماري» يقع بالقرب من مكتبه. سبق أن حصل هذا الوضع حين كان يعمل في كابوتوشو جورنال. فمع تزايد المخاطر، يشعر بوغي بالحاجة إلى أكثر من امرأة واحدة. يبدو أنه يعتقد أنه مع كل الضغط الذي يتحمله، فهو يستحق المزيد من الاهتمام الأنثوي للتخفيف عنه بعد انتهاء العمل.

فقد ولّى زمن حياتنا السعيدة الهانئة في الفقر. أذكر بؤس تلك الليالي الطويلة حين كنت أنتظر عودته إلى المنزل، فكنت أتصل بجميع البارات وقاعات لعبة الماجونغ وكل الأماكن التي يعقل أن يكون فيها. وإن لم أعثر عليه في أي مكان، كنت أبدأ الاتصال بالفنادق المدرجة في دليل الهاتف.

من شدة غيرتي من تلك المرأة التي لم أر وجهها يوماً، رحت أتصوّرهما يقومان بأشياء معاً، أشياء مختلفة. وحين يغلبني النّعاس، كانت مخيلتي القاتمة تواصل نسج تلك الأفكار فيتواصل شريطها في أحلامي، أرى فيه امرأة بشعر أسود طويل لم أقابلها يوماً. كان بوسعي رؤيتهما يتضاجعان أمام عيني. كان مشهداً بالغ الواقعيّة، أستيقظ منه وأنا أبكي من شدة غضبي وعجزي. وحين أعود إلى النوم، يراودني الحلم نفسه مجدداً. كان عرضاً متواصلاً على مدار الليل في سينما الغيرة. ظننت أن ليالي العذاب تلك ولّت إلى غير رجعة، فإذا بها تعود لتطاردني من جديد.

في اليوم التالي راح بوغي يبتسم ساخراً من عيني الحمراوين وجفوني المتورّمة ومن الوسادة التي ألقيتها عليه عبر الغرفة.

«ليس هناك ما يدعو للقلق سايا، إنها مجرد امرأة طاعنة في السن

تخطّت الثلاثين وبات ربيع عمرها خلفها».

«إنها تلك المرأة التي في صالون ماري، صحيح؟»

«كيف عرفت؟»

(علب الكبريت التي تحمل اسم «صالون ماري» مطبوعاً عليها في جيوب بوغي كانت دليلاً دامغاً، وكذلك بطاقة الماماسان بزواياها المدوّرة الأنثوية.)

ضحك ضحكة عصبيّة «هذه عاصفة في فنجان. حتى فرجها هرم ومتعب، أؤكّد لك ذلك».

مرّت دقيقة صمت. قلت «لا يمكنني أن أصدّق ذلك».

كان بوغي يكره الحفاظ على أسرار في حياته الخاصة، ربّما لأن عمله كان نوعاً من الاحتيال. وحين تكشف خياناته، كان يحاول أن يحوّل الموضوع إلى مهزلة كبيرة ويخبرني بكل شيء، وقد اعتدت الأمر. وبعدها يخفف من وطأة غضبي باصطحابي في رحلة إلى مكان ما أو بإعطائي مبلغاً من المال ليكون بمثابة غرامة على سلوكه.

كان يورد على الدوام العذر ذاته لتبرير خياناته فيقول «تعلمين جيداً سايا أنك المرأة الوحيدة التي أحبها حقاً».

كلّما كان بوغي يخونني مع امرأة ما، كان يبدأ بالتأكيد مراراً وتكراراً على حبّه لي.

«لا يمكن أن أقيم علاقة جدّية مع فتاة ملهى ليلي مثلها، تعلمين ذلك. أنت فتاة محترمة، ولذلك تستحقين أن تكوني امرأة بيتي. الرجال، وخصوصاً في مجال عملي، لا يبدون بالمستوى المطلوب إن لم تكن إلى جانبهم عاهرة محترفة واحدة على الأقل».

كان يمكن إذاً اختزال الأمر برمته بالفرق بين «النساء المحترمات» و«النساء المحترفات»، إضافة إلى أن الخيانة هي من خصال الرجال المسلم بها. كما كنت واثقة من أنه كان يعتزّ بأن «نساء الخارج» اللواتي كان يعاشرهن كنّ من ماماسانات أرقى بارات غينزا وروبونغي، فيما «امرأة بيته» طالبة في جامعة مرموقة للفتيات. كانت زوجته المتوفاة امرأة شابة في غاية الرقيّ. كان بوغي يصف نفسه بأنه خارج عن نظام الطبقات الاجتماعية، غير أنه كان في الحقيقة ذكر ياباني محافظ نموذجي.

«بعدما أحقق ربحاً كبيراً، سوف أجعلك تنجبين لي طفلاً. حين نحظى ببعض الأمان، كأن يكون لنا ملك، حتى ولو كان مجرّد إيجار محل أو ما شابه، سوف نتخلص من اللولب وننجب أطفالاً».

كانت هذه طريقة بوغي في التعبير عن حنانه. وكنت أستسلم لهذا الكلام في كلّ مرة.

«سيكون هذا رائعاً. على فكرة، إن كنت سأنجب طفلاً، أود أن ألد في مستشفى أيكو. فأزهار الكرز هناك رائعة، والمبنى القديم على الطراز الأوروبي جميل للغاية، ألا تعتقد؟»

كنت أفكر في الزواج بين الحين والآخر. لقد تأخرت كثيراً في الشروع بالبحث جدّياً عن عمل في أثناء دراستي الجامعية، وحتى إن لم أتزوج من بوغي، فسوف أظل معه على الرغم من ذلك إلى ما شاء الله. وقد يكون من الممتع في هذه الحالة أن نقيم حفل زفاف بعد تخرجي. كنت أرغب في ارتداء تلك الفساتين الكيمونو البيضاء المذهّبة الرائعة، أو ربّما فستان زفاف من الطراز الغربي مع ذيل طويل – أو ربّما الاثنين

معا. يمكننا إقامة حفلة ضخمة، سوف يكون الأمر ممتعاً! كان هذا أقصى ما وصلت به في أفكاري حول هذا الموضوع.

سألت والدتي عمّا يجدر بي القيام به بنظرها.

قالت «إن سعادة المرأة تتوقف على رجلها. حتى لو حصلت المرأة على وظيفة في شركة، فلن يسمح لها سوى بإعداد الشاي. أعتقد بالتالي أنه يجدر بك القبول بما يقوله بوغي وأن تري إن كان يسمح لك بمزاولة عمل ما بدوام جزئي، فذلك سوف يمنعك من الإحساس بالضجر».

طلبت أيضاً من بوغي أن ينصحني بشأن فرص العمل، لكن الأمر لم يكن مجدياً.

«لديّ فكرة سايا! أنت قصيرة القامة وخفيفة الوزن، لم لا تشاركين في سباقات الزوارق البخارية؟ هناك حالياً امرأة تقوم بذلك، وصورها في جميع المجلات! يدعونها «هيروكو ياكوشيمارو سباقات الزوارق البخارية». ستكون هذه مهنة ممتازة لك، وستجنين أموالا طائلة أيضاً وتحققين الشهرة على وجه السرعة!»

أراني مجموعة صور مثيرة لتلك المرأة التي تشارك في سباقات الزوارق البخارية. كانت فعلاً على شبه خفيف بنجمة الأفلام هيروكو ياكوشيمارو.

«أليست جميلة؟ سوف تصبحين ملهمة جميع المقامرين العجائز القذرين!»

«لكنني لا أجيد السباحة إطلاقاً. وإن انقلب المركب، فسوف أغرق بالتأكيد».

«آه، نسيت هذا الأمر!»

كانت كل مخاوفي خفيفة كالريشة وسرعان ما تبدّدت. لم أفكّر يوماً بذاتي بشكل عميق. كل ما كنت أريده هو الاستمرار في الاستمتاع بحياة المغامرات هذه مع بوغي. وكانت هناك فكرة كامنة في زاوية ما من رأسي بأن العمل ليس فكرة جيدة لامرأة. وبأنني إن زاولت عملاً، فسوف ينتهي بي الأمر مثل والدتي ووالدي، ولم أكن أرغب في ذلك. وبالتالي، قد يكون من الأفضل لي أن أبقى في المنزل. وطالما أنني أعتمد على بوغي في كل شيء، ففي وسعي أن أظل فتاة شابة جميلة يعتني بها ولا يتركها يوماً. كان بوغي قوياً صلباً في العمق، ولا بدّ بالتالي أن أكون بحال جيّدة بشرط أن أبقى معه. كان لديه من الهدوء والشخصية ما يمكنه من الاستهزاء بالمسائل، حتى في مراحل الحظ العسير، فتجده على الدوام يبذل كلّ ما بوسعه للاستمتاع بالحياة.

حين كنّا نعيش في نيزو، كان يتدبّر أمره حتى لمّا كنا نعاني الفقر، فيرهب صاحب بار السوشي ويضغط عليه من أجل أن يقدم له الروبيان وتوتياء البحر والتونة الزهرية التي كان كلانا يحب تناولها، ويجلبها لي إلى المنزل. كنت أشعر وكأنني أعيش وسط الأدغال وأن هذا الوشق يجلب لي فريسته ليتقاسمها معي.

كان لديه قسوة وشراسة حيوانيتان. إن هاجمتني ذات يوم عصابة من الزقاقيين، فسوف يجازف بحياته دفاعاً عنّي. وإن كانت سيارة على وشك أن تدهسني، فسوف يرتمي أمامي. كنت أشعر بهذا النوع من الثقة به، وهو ما لم أشعره حيال أي رجل آخر.

كان بوغي يتميّز برجولة فاتنة. لم يكشف مرّة عن صغر نفس، بل كان رجلاً رائعاً. لكنني لم أدرك بعد في تلك الفترة أن لا مكان لرجل

مثله في المجتمع الياباني. كانت أفكار الموت تحاصره، فتدفعه على الدوام إلى المجازفة بحياته. لذلك كان يشرب كالمجنون وينفق المال بلا حدود ويضاجع مثل ممسوس. كان يخوض على الدوام في عمله معارك وظهره على الحائط. إنه رجل حقيقي، بمعزل عن تفاصيل نشاطه. سحرني تألّق هذه الحياة ووقعت في غرامه بشكل كلّي.

*

بعد فترة قصيرة، وبعد الكثير من المشاجرات والعناء، انفصل بوغي عن ماماسان ماري. لكنّه تبين أن «امرأة الخارج» التي حلّت محلّها كانت ميوكي نفسها، ثاني أصغر فتاة سناً من بعدي في بوبورون، الأمر الذي أثار حفيظتي.

لم أعلم بما يجري إلا حين شارفت العلاقة على نهايتها. كنت صاحبت سكرتيرة بوغي التي كانت من عمري، واعتدنا بعد القضية مع ماماسان صالون ماري أن نتقاسم المعلومات المتعلّقة به. حين كان بوغي بصدد الانفصال عن ميوكي، اشترى لها بيانو كهدية وداع، إذ كانت تحلم بأن تصبح مغنية جاز. وردت فاتورة البيانو إلى شركة بوغي فأبلغتني بها السكرتيرة. قذفته في تلك الليلة بوسادة مرّة أخرى.

«ما بك؟ تلك هي القصة؟ حسناً، أترين، بعدما أفلس البوبورون، انتقلت ميوكي إلى ناد ليلي جديد وتدبّرت أمرها للاتصال بي».

«وأنت تذهب بكل بساطة وتضاجع أي امرأة «تتصل بك»، أليس كذلك؟ حتى نساء أعرفهنّ؟»

«خطر لي أن الأمر يتخطّى الحدود، لكن ماذا عساي أفعل؟

هي التي تحرّشت بي!»

ها أنه الآن يلقي اللوم على المرأة آخذاً عليها تودّدها إليه. ولو صدّها لكان أظهر نقصاً في لباقته الذكوريّة. فماذا عساه يفعل في مثل هذه الحالة؟

هذه المرة كنت مصممة ألا أدعه يستكين، فأنا هذه المرّة أعرف وجه المرأة الأخرى. لقد جلسنا متقابلتين خلف الطاولة ذاتها في نادي كوشيميزو القديم ليلة بعد ليلة على مدى شهرين كاملين. وبما أنه بالكاد كان هناك رواد في بوبورون، كان أمامنا كل ليلة أربع ساعات ندردش فيها ونتحادث. حسناً، يمكن القول إننا أصبحنا صديقتين جيدتين.

لم يكتف بممارسة الحب معها، بل اشترى لها هدايا باهظة الثمن، وهو أمر لم يقم به مرة من أجلي. هل يعقل أن يكون هناك ما يثير حفيظتي أكثر؟

«بيانو، هكذا إذاً! ما يناهز نصف مليون ين... تنفق عشرات ملايين الينات على لولو تلك، تهدر مليوناً على هدية لميوكي، وماذا عنّي أنا؟ كعكة ميلاد ذائبة اخترتها في طريق العودة بعدما ضاجعت امرأة أخرى، هذا كل ما جنيته منك حتى الآن».

أجهشت بالبكاء وأنا أزعق بوجهه، فيما هو حافظ على هدوئه.

«سايا، من العدل بعد مضاجعة سريعة، أن يظهر الرجل تقديره لإنهاء العلاقة. نصف مليون ليس بالمبلغ الباهظ، بل هو ثمن زهيد للتخلص من امرأة. إن متّ، سوف تعلمين أن شركتي ستكون لك مع كلّ ما أملك، لك وحدك! ليس في الأمر ظلماً، أليس كذلك؟»

حتى أنا لم أكن بهذا الغباء. قد تكون أموال سهلة تعبر محفظة بوغي،

لكن من المستحيل أن يترك أي أملاك خلفه عند وفاته. فالأثرياء يحققون ثرواتهم بفضل الدناءة والبخل، وليس برشّ الأموال من حولهم. هذه هي الحقيقة التي أدركتها.

ناقشت الوضع مطوّلاً مع الأستاذ.

قال وهو يضحك «حسناً، حتى لو ترك هوتا ديوناً تفوق الأملاك، يمكنك تفادي تحمل مسؤولية ديونه من خلال التخلي عن المطالبة بأية أملاك تعود له».

لا يمكن إطلاقاً معرفة مدى جدّيته.

قلت لنفسي إنني سوف أغفر له كلّ شيء، فهو بوغي. لكنني إذ كنت أصارع نفسي لتقبّل سلوكه المشين، تدهور نمط حياتي تدريجياً متخذاً منحى غير صحّي.

بداية، ازدادت حميتي صرامة وصولاً إلى مستويات مرضيّة. فبما أن بوغي كان يهوى النساء الهزيلات كالعود، لم أعد أتناول أي شيء خارج طعام الحمية، باستثناء المرات التي أكون فيها برفقته. تفقّدت جميع النوادي الرياضية وقاعات التمارين والأيروبيك على مسافة أميال قبل أن أختار من بينها أخيراً المركز السويدي. كان الأقرب إلى المنزل ويمكنني الذهاب إليه يومياً.

هذا النادي كانت ترتاده ممثّلات شهيرات ونجمات تلفزيون وربّات عائلات ثريات يقمن في الجوار. الشابة الوحيدة غيري كانت نجمة أفلام إباحية خفيفة معروفة بين متتبّعي البرامج التلفزيونية الليلية التي تبث في وقت متأخر. وبالتالي، حين رأتني هؤلاء السيّدات المتفرّغات أدخل قاعة الساونا، ظننّ أنني أعمل في المجال ذاته ورمقنني بجفاء.

أما ممثلة الأفلام الإباحية نفسها، فنظرت إليّ وكأنما تقول «من عساك تكونين؟ في كل الأحوال، لا أريد حتى أن أعرف».

بدأت أذهب أيضاً إلى صالون للتجميل أيام الأحد. لم يكن ذلك يعني أن بوغي بدأ يجني أرباحاً، بل إنه عاود في ذلك اليوم الذهاب إلى سباق الدرّاجات وتركني وحدي.

كانت ماماسانات وسيدات من الطبقات الراقية ونساء أعمال يرتدن صالون التجميل هذا، تماماً كما في النادي الرياضي. كانت بشرتي نضرة وملساء ولم تكن بحاجة إلى أي عناية، غير أنني تلقّيت علاجاً خاصاً بالنساء المتوسّطات العمر جعلني أشعر بوجهي يخزني. لكنني على الرغم من ذلك عقدت عزيمتي وواصلت الذهاب إلى هناك. لم يكن لدي أي فكرة عما يمكن أن أقوم به غير ذلك.

كانت رايكو منهمكة في التحضير لزفافها ولم يكن لديّ صديقات أقضي الوقت معهن. فكنت كل يوم أحد أجلس في صالون التجميل ذاك فيما يتخذ رأس أنفي تدريجياً لوناً أحمر بسبب التقشير غير الضروري، أستمع إلى السيدات المترفات يتناقلن أخبار عشّاقهنّ الفتيان فيما يجري تقشير الجلد الميت عن كل شبر من أجسادهنّ. حتى ذلك كان أفضل من البقاء وحيدة في المنزل في يوم أحد. وبعدما أنتهي من صالون التجميل، لم أكن أعود إلى المنزل قبل حوالي الساعة الخامسة، وهو الوقت الذي يعود فيه بوغي بصورة عامة من السباق، فأتسكّع وحدي في المدينة وأتبضّع قليلاً إذ لم يكن لديّ شيء أفضل أفعله. بدأت أشتري ثياباً لم أكن بحاجة إليها للتعويض عن وحدتي.

بما أن الفتيات اللواتي يعملن في المتاجر يكسبن معيشتهن، كنّ على

الأقل يتكلّمن معي، وكان بوسعي التكلم معهنّ دون أن أشعر أنني أدنى مرتبة منهنّ. كنت أنا من يدفع المال، وهذا كان يخوّلني القيام بما يحلو لي. بدأت أفكّر وأتصرّف مثل بوغي.

أخذت أنفق المال على طريقته، فأعتبره مجرد قطع ورق لا قيمة له، وأستخدمه لشراء أغراض تافهة، في محاولة يائسة للتخفيف من وطأة ذلك الإحساس الغريب بالقلق الذي كان يعصر قلبي. كان سلوكه حيال المال يثير اشمئزازي من قبل، وهاأنذا أقوم بدوري بالشيء نفسه. بوغي أدرك ذلك ولم يحتجّ بتاتاً. كيف يمكنه أن يحتجّ وهو نفسه يبدد المال بسرعة جنونية؟ كما أنه لم يكن يرغب في إعطائي سلاحاً أستخدمه ضدّه في المستقبل.

اعتاد قبل الخروج إلى سباق الدراجات أو سباق الخيل أن يناولني بضع مئات آلاف الينات لمصروفي.

«خذي هذا، ابتاعي به بعض الملابس أو شيئاً ما».

كان يعتبر أن هذه خير وسيلة لإنفاق المال إذ تضمن له استقباله بابتسامة عريضة عند عودته حتى لو عاد معكّر المزاج إن خسر.

كان في كل يوم أحد يتركني وحيدة. لكنّه في المقابل كان يترك لي ما يكفي من المال لشراء ملابس من النوع الذي لا تراه الفتيات الشابات سوى في أحلامهنّ، وهذا جعلني أقبل بالوضع.

أخذ بوغي يوسّع تدريجياً تلك العادة بأن يفعل تماماً ما يحلو له لتمتد من الأحد إلى باقي أيام الأسبوع، فيما ازددت عصبية ويأساً. بدأت أتناول بضع كؤوس وحدي في الليالي الطويلة التي أقضيها في انتظاره. كنت أنجرف شيئاً فشيئاً إلى إدمان الكحول.

وفي الليالي التي لا يعود خلالها إلى المنزل لأنه منشغل بلعب الماجونغ أو برفقة امرأة أخرى، كنت أجهز على زجاجة تشيفاس ريغال أو هينيسي، ثم أستيقظ في نور الصباح البارد ممدّدة أرضاً والقنّينة الفارغة إلى جانبي، فأنهض بعناء وأرتّب المكان. لم ير يوماً أياً من كل ذلك إذ لم يكن يعود إلى المنزل سوى بعد وقت طويل، وأحياناً ليس قبل اليوم التالي.

*

في نهاية يناير، قدمت أطروحة تخرّج مقبولة لا أكثر وبدأت مباشرة بعدها آخر عطلة صيفية من حياتي الطلابية. كانت حظوظ شركة بوغي لا تزال تتأرجح مع تقلّبات البورصة، وحين تتراجع السوق، يغرق بوغي كما على الدوام في الكحول ويتخذ وجهه لوناً شاحباً مخيفاً.

مع اقتراب موعد تخرجي، بدأ بوغي يعبر عن قلق جديد وسط سكره وتسكّعه.

«لن ترغبي فيّ بعد نيل شهادتك. سوف تجدين شاباً لامعاً وتتزوّجينه. أتعلمين، يمكنني رؤية كل ذلك قادماً».

حين كان يغفو، كانت مخاوفه كلها تنبثق من لاوعيه فأسمعه يتمتم «آه آه... سايا، سايا، أين ذهبت؟»

راح خوفه من احتمال أن أتركه يزداد بشكل سريع.

«أراهن على أنك تفكرين أن الحب أمر والزواج أمر آخر، أو أن الزواج يكون مع فتى شاب، أليس كذلك؟»

«إنني أكرر لك باستمرار أنني لا أفكر بهذه الطريقة».

في الواقع لم أكن أنوي إطلاقاً ترك بوغي على الرغم من أنني كنت أعاني مما يشبه عقدة الضحية جراء حياتي معه. كنت أحبّه، ومهما أساء التصرّف حيالي، لم أكن أكترث بل أقول لنفسي «لا حيلة له على ذلك». بكلام آخر، أقولها بصدق، لم يكن هناك سواه في رأسي. حبّي لبوغي كان يعني لي أكثر من العالم بأسره.

في كل الأحوال، لم أكن أرغب في الزواج. قد يكون لزواج والديّ الفاشل علاقة بذلك، لكن الواقع أنني لم أكن أجد في نفسي ذرة اهتمام في بناء حياة مستقرّة، سواء كان ذلك يعني الزواج أو أي شيء آخر. كنت أستمع إلى صديقاتي يحاضرن في أهمية الزواج من رجل يتمتع بـ«العناصر العالية الثلاث» وهي القامة العالية والمستوى التعليمي العالي والدخل العالي، فلم أكن أفهم لم يولين الأمر كل هذه الأهمية. كما كنت أحتار في أمرهن حين يتكلّمن عن الحصول على وظيفة في شركة جيدة، إلى ما هنالك من مسائل.

لكن حين رأيت الحال البائسة التي وصل إليها بوغي، بدا لي أن الزواج قد يكون العلاج الوحيد لهذا النوع من الإحباط. إن كان الزواج سوف يسعده، فما همني؟ لنتزوّج إذاً!

منذ أن التقيت بوغي وحددت لنفسي مهمة في الحياة أن أبعد عنه الإحساس بالحزن. كان هذا سبب وجودي الذي لا يبارح فكري للحظة، أينما كنت وفي أي وقت كان. قد يكون الأمر مثيراً للشفقة، لكن مضت سنوات وأنا لا أفكر بشيء سواه!

كنت في الواقع لا أزال مترددة في الاقتران بهذا الرجل. فالزواج سيعني اتخاذ المسؤولية الاجتماعية بأن نكون زوجاً شرعياً، وبدا لي

الأمر أشبه بعبء كبير. غير أن ذلك سيكون أفضل من ترك بوغي يغرق في اليأس. كما أنه كان من المزعج سماعه يتذمّر باستمرار بشأن ارتباطي به. حسمت إذاً أمري وطرحت الموضوع.

«بوغي، ألن يكون الأمر مثيراً إن تزوجنا؟ الزفاف يمكن أن يكون جميلاً، وفي وسعك ترك كل الترتيبات لي».

«مم... ماذا؟»

وقف بوغي مصعوقاً. الرجال من جيله لا يتوقعون من النساء أن يأخذن المبادرة بطلب الزواج، إلا في حال كانت المرأة من الأكبر سناً، العاملات كمضيفات في النوادي والملاهي الليلية.

قلت لنفسي إنني إن كنت سأخسر دور «الطالبة»، فيجدر بي تبديله بدور «ربّة منزل». هكذا أقنعت نفسي بطرح هذا الموضوع. فكرت أنه لا يمكن لأي امرأة هنا في اليابان تدبّر أمرها دون لقب مهني أو بطاقة ما، حتى ولو كان مجرّد لقب «ربّة منزل». ربما يحرك الرابط الزوجي علاقتي ببوغي التي تلاشت بعض الشيء مؤخراً.

كان بوغي متردداً. كان يشعر ببعض الإحراج لفكرة الزواج بسنه، غير أنه كان قلقاً فعلاً على مستقبلي أيضاً. كنت شابة، وعلى الرغم من أن أعماله كانت تسير بشكل ممتاز الآن، لكن الحقيقة أن نشاطه في الأوساط المالية كان لا يزال عند أطراف الشرعية. كان يشعر بأنه يترتب عليه عدم التفكير في الزواج قبل أن ينتقل من النشاطات الخارجة عن الشرعية إلى مجال العمل القانوني، وإلا فلن يكون من المناسب إشراكي في شؤونه. بدأنا علاقتنا حين كنت لا أزال فتاة ساذجة في التاسعة عشرة من العمر، وقد انجررت معه إلى أعماق الحياة السفلية، ولن أجدي نفعاً

في أي شيء آخر إن حصل له أي مكروه. صورتي اختلطت في ذهنه بصورة زوجته المتوفاة، ولم يكن يرغب في أن يكون أطلالاً لثاني امرأة أحبّها في حياته.

من جهتي كنت مرتاحة للموضوع برمته. فمثل هذه المخاوف الشديدة لم تلامس ذهني يوماً. كنت أفكر فقط بأنه يجدر بنا أن نتزوج، غير أن بوغي كان يبدي تمنعاً.

«سايا، ألا تعتقدين أنه يجدر بك العثور على وظيفة وكسب راتب واستئجار شقة وكل ما هنالك قبل أن تتزوجي وتصبحي ربة منزل؟ كل ذلك يساهم في إكسابك مهارات حياتية».

«ماذا تعني؟» لم أقتنع بكل هذا الكلام. «لن يكون في وسعي الحصول على وظيفة لائقة في هذا الوقت المتأخر، فقد انتهت منذ فترة طويلة المهلة المحددة لتقديم الطلبات. وكل صديقاتي كنّ يبحثن عن عمل بشكل ملموس ولم يتمكنّ من العثور على وظيفة لائقة حتى بعد أربع سنوات من الدروس الجامعية. إن كنت امرأة، فلن يدعوك تقوم بأي شيء باستثناء إعداد الشاي والقيام بمهام مكتبية تافهة ومضجرة. لا أنوي القيام بأي شيء كهذا! كما أنك لا تودّ أن تحضر امرأتك الشاي لرب عمل هرم، أليس كذلك؟»

«سايا، لا أحد يقوم بمثل هذه المهام رغبة منه في ذلك، بل هم يعضون على جرحهم ويحتملون الوضع ويقيمون في شقة قذرة وهم يتقاضون رواتب حد أدنى لا تزيد عن 130 ألف ين في الشهر!»

«فقط؟ إن كان يتوجب على الواحد دفع إيجاره من هذا المبلغ، فهل يمكنه العيش بما تبقى؟

«قد لا تصدّقي عزيزتي سايا، لكن الناس يعيشون بمثل هذا المبلغ. هكذا يعيش الناس العاديون!»

«هذا أمر لن أقوى عليه يوماً! أفضل أن أموت حالاً!»

«هل تعلمين؟ إن سمعتك فتاة تزاول عملاً عادياً في مكتب ما، فسوف تغضب غضباً شديداً».

«لكن هذا ليس عادلاً بوغي! أنظر إلى نمط حياتك أنت نفسك! لا يمكنك أن تعيش كما تفعل وأن تتوقع مني أن أكتفي بذلك!»

«هذا في غاية الأنانية! بالله عليكم اسمعوا ما تقوله هذه السيدة الصغيرة!»

بما أنني كنت أتولى السهر على بوغي، كنت أرى من الطبيعي أن أنعم أيضاً بالمكاسب التي ترافق المهمة.

وإن قمت بما يعرضه بوغي عليّ، فهو لن يرغب بشخصيتي الجديدة المكافحة وسط فقر ذلك العالم «المحترم» الكالح. يمكنه قول ما يشاء، لكنه في الحقيقة يريد من امرأته أن تهتم بنفسها وترضي أهواءها. إن امرأة محترمة سوف تكون شديدة التزمّت والتكلّف بالنسبة له. سيكون الأمر وكأن هناك معلّمة مدرسة إلى جانبه طوال الوقت، وسوف يشعر بنفسه مكبوتاً ومنزعجاً.

«أنت حالة ميئوس منها سايا. لا يمكنك القيام بأي شيء دون أن يمسك بوغي بيدك، أليس كذلك؟ حسناً إذاً، افعلي ما يحلو لك».

«حقاً؟»

سارعت على الفور وباشرت تنفيذ خطتي. كنا في شهر فبراير، وعيد العشاق قد اقترب. جررت بوغي في يوم الأحد التالي إلى متجر تيفاني

للمجوهرات في مركز ميتسوكوشي بحيّ غينزا، وهو على وشك أن يموت من شدّة الحرج.

كانت ماثلة في ذهني صورة الماسة المتلألئة على خاتم الخطوبة الذي سمحت لي رايكو بإلقاء نظرة عابرة عليه بعدما اصطادت حبيبها.

قالت لي باعتداد «الخاتم ثمنه عادة مليون ونصف مليون ين، لكن والده لديه صديق يدير متجر مجوهرات، فحصل عليه بنصف سعره. وعلى الرغم من ذلك، ثمنه سبعمئة وخمسون ألف ين! أمر مخيف، ألا تعتقدين؟ لا أجرؤ حتى على وضعه في اصبعي!»

«رايكو حقاً حمقاء، أهذه هي الوسيلة الوحيدة التي تقيس بها حب رجل؟» خطر لي ذلك، على الرغم من أنني أقر بأنني شعرت في الوقت نفسه بالحسد. بوغي لم يقدّم لي يوماً شيئاً ثميناً. قال إن بإمكاني أن أفعل ما أشاء. حسناً، سوف أكون سعيدة إن حصلت على خاتم خطوبة يجعل خاتم رايكو يبدو أشبه بحلي فتيات المدارس الزائف. كانت هذه الفكرة تراودني وأنا أجر بوغي إلى متجر تيفاني.

نظر بوغي إلى بطاقات الأسعار المعلقة بالخواتم المعروضة في الخزانات وشحبت سحنته على الفور.

«مليون... مليون وستمئة ألف ين؟ انتظري قليلاً! هناك محل في الجهة المقابلة من الشارع يجوز في المفاوضة».

أي مبلغ يفوق مليون ين يكون بنظر بوغي خميرة مرشّحة للتزايد. لكنني كنت مصمّمة على عدم تبديد ثمن خاتم خطوبتي على حصان غبيّ أو سائق دراجة أبله.

«لا، لا إطلاقاً! سوف تنفق كل أموالك هناك، وبعدها لن يكون في

وسعك حتى شراء حلقة ستارة من النّحاس!»

«لكنني لا أحمل هذا المبلغ الآن! ألا يمكننا شراؤه مرّة أخرى؟»

إن لم يكن متجر تيفاني في متناوله، فسوف أقتنع بمتجر أدنى مرتبة. اصطحبته إلى متجر أقلّ فخامة في الطابق الثاني. كنت على يقين بأنه يترتّب عليّ إرغامه على شراء الخاتم في اليوم نفسه، وإلا فسوف يحاول هذا البخيل حتماً أن يتزوّجني دون خاتم، وكنت مصممة على عدم السماح له بمثل هذا الأمر.

«بوغي، أنظر إلى هذا الخاتم. إنه جميل، أليس كذلك؟ والسعر أيضاً منطقي للغاية».

طلبت من الموظفة هناك أن تفتح خزانة العرض وتخرج خاتماً رقيقاً جميلاً مرصّعاً بماسات صغيرة متراصة على شكل قلب.

حسناً، ليس باهظ الثمن مثل خاتم رايكو، لكنّه على الأقل من تصميم نينا ريتشي، وأن يكون من دار نينا ريتشي يعني أنه خاتم أنيق.

قلت للفتاة باعتزاز «إننا بحاجة إلى خاتم خطوبة». وضعت الخاتم في بنصر يدي اليسرى، فكان مقاسه مناسبا تماماً. ها هو القدر يتولّى أمري مرّة جديدة.

أبدت الفتاة ملاحظة في محلّها فقالت «إنه يلائمك سيّدتي بشكل رائع».

بدا بوغي عليلاً. كان ثمن الخاتم مئتين وتسعين ألف ين، وهو المبلغ الذي كان في محفظته تقريباً في تلك اللحظة.

*

في صباح اليوم التالي قمت بزيارة غير مقررة مسبقاً إلى أقرب مكان خطر ببالي ينظم حفلات أعراس. كان ذلك في صالة نوجي للحفلات.

«أريد أن أتزوّج حالاً. متى لديكم أقرب موعد ممكن؟ لكن ينبغي أن يكون ذلك يوم سبت أو أحد، فإن تدهورت أسعار الأسهم في البورصة في صباح يوم الزفاف، سوف يفسد ذلك كلّ شيء».

«عفواً؟»

بدأت أشعر بالاستياء. كنت أريد حسم كلّ التفاصيل قبل أن أبدّل رأيي أنا نفسي. وبسبب تلك الفكرة الغبيّة بأن حفلات الزفاف تكون أكثر رومنطيقية في يونيو، كان من المقرر أن تتزوّج رايكو في هذا الشهر، وكنت مصممة على أن أسبقها إلى منصّة الزفاف. تلك هي الأفكار السخيفة التي كانت تراودني.

«وهل أنني أتشرف بالتكلم إلى العروس المقبلة؟»

«نعم، هذا صحيح».

لا عجب أن تكون الفتاة قد استغربت أمري بعض الشيء. فالأشخاص الذين ينوون الزواج يتصلون مسبقاً عادة لضرب موعد، ومن ثم تحضر العروس المقبلة برفقة العريس المقبل يرافقهما في معظم الأحيان عدد من أفراد العائلتين. ويطلب الجميع أيضاً على الأرجح تفقد المنشآت قبل الالتزام بإقامة حفل العرس.

«وتودّين معرفة أقرب موعد ممكن متاح؟»

«نعم».

«آه، لحظة رجاء».

قلّبت بسرعة صفحات سجل مواعيد ضخم ذي غلاف جلديّ.

«إن كنت ترغبين في حجز يوم تايان، أخشى أن تكون مواعيدنا كاملة. الذين يرغبون في إقامة زفافهم في هذه الأيام يحجزون قبل ستة أشهر على الأقل، إن لم يكن سنة».

كان يوم تايان اليوم الأوّل الجالب للحظ على روزنامة طالبي الزفاف.

«أليس لديكم أي أيام متوافرة؟»

«حسناً، أولئك الذين لا ينجحون في الحصول على موعد في أي يوم آخر يقبلون بإقامة عرسهم حتى في يوم بوتسوميتسو، ولو أن ذلك يعتبر نذير شؤم. لكن مهلك لحظة! يبدو أن لدينا موعداً شاغراً يوم السبت في الثامن والعشرين من مارس. إنه يوم شاكو، ليس يوماً سيئاً مثل بوتسوميتسو، غير أن الفراغ الوحيد هو في العصر».

«حسناً، سنأخذ الموعد في اليوم الذي ذكرته للتو».

«ألا تودّين التشاور مع الطرف الآخر أولاً؟»

«لا، لقد ترك لي كل الترتيبات. كما أنه زواجه الثاني، وأعتقد بالتالي أن الأمر سيكون بعيداً عن الرّسميات».

«أفهم ذلك!»

«ما هو الحد الأدنى من المدعوين الذين ينبغي أن يحضروا حتى يكون الحفل لائقاً؟»

بقيت الفتاة لوهلة فاغرة الفاه من شدّة الدهشة.

*

انهمكت في العمل، أو بالأحرى جعلت نفسي أنهمك في العمل خشية أن أجدني أمام متّسع من الوقت أتساءل فيه عن حياتي ما بعد التخرّج فأغرق في الاكتئاب وسط التساؤلات عن الحياة، تساؤلات عميقة، مطولة وبالغة الصعوبة. فضلت في الوقت الراهن تجنب التفكير قدر الإمكان.

كانت فترة شهرين تفصل ما بين تقديم أطروحتي وتخرجي فعلياً، واغتنمت معظم صديقاتي في الكلية هذه الفترة للقيام برحلة إلى مكان ما للاحتفال بهذه المحطة المهمة من حياتهنّ. دعتني بعضهنّ لمرافقتهنّ، غير أنني رفضت الدعوة دون أدنى تردّد. كان بالي مشغولاً على بوغي لم يكن بوسعي أن أغيب وأتركه وحده.

قلت لنفسي: أنا بحال جيدة. لدي الكثير من العمل.

الواقع أنني كنت أتردد إلى صالة نوجي للحفلات في كل يوم تقريباً، فأقوم بالترتيبات من أجل الزفاف على أسرع وجه، فاستلطفت الموظفة الأمر وراحت تعلّمني بصبر وهدوء كل ما كنت بحاجة إلى تعلّمه، وكان هناك الكثير من الأمور، بدءاً باختيار خاتم زواج تقليدي، إلى استئجار الملابس التقليدية والشعر المستعار التقليدي، مرورا بوضع قائمة المدعوين وصياغة النص الذي سيطبع على بطاقات الدعوة. قمت بكل ذلك بمفردي. حتى أنني اخترت الهدايا التي تقدّم عادة للمدعوين ليأخذوها وهم يغادرون.

خطرت لبوغي فكرة ممتازة بأن نطلب من الأستاذ وزوجته أن يلعبا دور الوسيطين في إجراءات الزواج. حتى أنه استجمع شجاعته وزار والدتي ليطلب يدي رسمياً، وعرّفني على أهله.

كان والدا بوغي مسنّين، وهو أمر متوقّع إذ أنه هو نفسه في متوسّط العمر. كان بوغي يشبه والدته أكثر مما يشبه والده. كانت سيّدة لطيفة للغاية ومليئة بالحيوية. أما والده الذي لطالما انتقده بوغي قائلاً إنه ضعيف وعديم الفائدة، ففوجئت به سيداً أنيقاً في غاية الرقيّ.

بدا وكأن شبابي صدمهما، ثم ما لبثت الشفقة أن حلّت محل الدهشة على وجهيهما.

«أنت حقاً فتاة شابة رائعة! تاكاشي، كيف أمكنك ذلك حقاً؟»

كانت والدته تتكلم بنبرة اعتذار، وكأن ابنها على وشك أن يهدم حياة فتاة بريئة، في حين جلس والده يتأمّل من نافذة المطعم أشجار الكرز المزهرة بشكل مبكر في الحديقة.

كانا يعارضان الزواج. شعرا بالأسف حيالي، غير أن خوفهما الرئيسي كان على حفيديهما، ولدي بوغي من زواجه الأول اللذين كانا يعيشان الآن مع عائلة زوجته.

غادرت حال انتهينا من تناول الطعام وبقي بوغي ليناقش المسائل مع والديه. حين عاد إلى المنزل لاحقاً، قال لي «والدتي تعتقد أنه يجدر الانتظار إلى أن يكبر الولدان. تقول إنه ينبغي أن نتريّث قليلاً من أجلهما وأن نحتمل بعض المشقّة لأنهما اضطرا هما أيضاً إلى احتمال الكثير. كانت حجج من هذا النوع. أقر بأن في كلامها منطقاً. فبالكاد مضت سنوات قليلة على وفاة والدتهما، وها أنني أتزوّج امرأة أقرب إليهما من حيث السن مما هي إليّ. أعتقد أنه يمكن تفهم ما قد يشعرا به».

كان يتكلم بهدوء وبصراحة وأحسست للمرّة الأولى أنه يشعر بندم صادق.

في الواقع إن مخاوف والدته مبررة. فابنته الكبرى أصغر منّي سنّاً بسبع سنوات فقط. ويمكنني أن أتصوّر نفسي في موقفها وأن أفهم كم سيؤلمها الأمر، خصوصاً وأن وفاة والدتها كانت حقاً مخالفة للطبيعة.

غير أنني كنت حجزت قاعة الحفلات واتّخذت كل الترتيبات الأخرى ودفعت مبلغاً مقدّماً. كما أن بوغي في عمر لم يعد فيه بحاجة إلى موافقة والديه.

قال «حسناً، لا تهتمّي. سوف نمضي في زواجنا دون أن ندعو أقربائي. سوف أطلب من لولو والشلّة أن يجلسوا في جهتي من القاعة، مع بعض الشباب من شركتي. بالمناسبة، ماذا ستفعلين بوالدك؟»

«ماذا؟ آه لا يهمّ. لا علاقة لنا بعائلته. ربّما أطلب من الحلاق المجاور أن يأخذ مكان والدي».

«كما يحلو لك. ها ها ها».

يمكن لبوغي أن يكون في غاية الرقّة واللطافة. وحين يقرر أن أمراً ما لا يهم، يصبح همّه الوحيد المضي قدماً في المشروع، وقد مضينا قدماً فعلاً في ما يتعلق بزواجنا، غير أن نهج «فليكن!» الذي اتّبعناه أدى إلى كارثة حقيقيّة.

في بادئ الأمر، لم تكن قائمة المدعوين متوازنة إطلاقاً، فكانت عائلة والدي غائبة من جانبي، فيما لم يكن هناك أي أقارب من جهة بوغي، فقط بعض موظّفيه ورفاق النوادي الليلية. وإن جمعنا المدعوين من جانبينا معاً، فلن يكون عددهم كافياً لملء ما يزيد عن ثلث أصغر قاعة في المركز، وقد قدمت لهم مجموعة غير متوازنة أيضاً في توزيعها ما بين الأطباق اليابانية والغربية. لكننا على الرغم من ذلك قمنا بكل ما

يتوجّب: كانت إشبينة محترفة ترافقني باستمرار فيما يقوم عدة مساعدين بإسعافي على ارتداء وخلع كل الملابس الرائعة التي كان يتوجب عليّ الظهور فيها الواحد تلو الآخر. جلسنا أنا وبوغي إلى الطاولة الرئيسية أمام حجاب ذهبي مزخرف وعند انتهاء الحفل ودّعنا المدعوون بالشكل اللائق، ما جعل الأمر يزداد غرابة. كلّ ما كان الجميع يفعله، إنما كان يفعله لإرضائي شخصياً. الحقيقة أن البالغين، بمن فيهم بوغي، كانوا يدللون طفلاً، وكأنهم ينظمون مسرحية مدرسية باهظة الكلفة لمجرد أن أعرف لحظة مجد في الأضواء.

جعلت والدتي من الزواج حجّة للعودة إلى متجر الكيمونو وإنفاق ثلاثة ملايين ين على كيمونو رسمي رائع. المدعوون الآخرون من جانبهم حضروا بأفضل ما لديهم من ملابس كما ينبغي، وأحضروا هدايا نقدية في مغلّفات مزخرفة تركوها لنا عند الباب وهم يدخلون القاعة، تماماً كما في الأعراس الحقيقية. بدت المسألة برمّتها غريبة.

كان الأستاذ يبدو في غير مكانه في دور الوسيط الرسمي الذي يفرض عليه إلقاء إحدى الكلمات الرئيسية في حفل الزفاف. لقد نجح في العثور في مكان ما على بدلة صباحية محترمة، غير أنه لم يكن يتمالك نفسه من الضحك طوال الوقت وكان شعره الأبيض المتماوج مشعثاً كلياً. كما أن بغضه لأطبّاء الأسنان منعه من زرع سن مكان ذاك الذي سقط منذ زمن طويل في واجهة فمه. أما لولو، فلم يكن لديها أي ملابس سهرات رسمية فاختارت ثيابها وفق أسلوبها الغريب المعهود الذي يشبه من بعيد الأسلوب الباريسي. صاحت منفعلة «آه هذا مذهل تماماً! إنها أول مرّة أحضر زفافاً على الطراز الياباني الحقيقي!» وراحت

تقوقي وتقهقه مثل ساحرة شمطاء. وقفت إشبينتي تحدق بها بذهول كامل.

حسناً، كان كلّ ذلك من ضمن اللعبة، وكنت سعيدة برؤية الجميع يحتفلون بفرح بالمناسبة.

حين رآني بوغي أرتدي الكيمونو الأبيض الطويل والقبعة والشعر المستعار وعلى وجهي طبقة كثيفة من التبرّج الأبيض الخاص بالزفاف، ارتبك وراح يعامل المدعوين بفيض من الوقار والاحترام، متعمّداً الودّ حيالهم بشكل بدا مصطنعاً. بالنسبة لشخص متهكّم مثله معتاد على إثارة مزاج طيّب لدى الناس لاستغلالهم لاحقاً، كانت ذروة الارتباك أن يجد نفسه هو بالذات نجم الحدث.

أنا من جهتي كنت مرتاحة أستمتع إلى أقصى حدّ بتجربتي الجديدة وأنا أحتفل في كيمونو زفاف أبيض من الطراز القديم. أجل، الأزياء أمر رائع حقاً. الواقع أن المظاهر مهمة فعلاً، لأنه إن ارتدى الواحد الملابس المناسبة للحدث، فسوف يشعر ولا بدّ بأن هذا الحدث حقيقي فعلاً.

قادتني الإشبينة إلى المذبح الشينتو لعقد زفافي. كان ذلك آخر يوم سبت من شهر مارس. في السبت السابق كنت ارتديت نوعاً مختلفاً من اللباس الرسمي، فوضعت التنورة البسيطة والقميص المطلوبين لحفل التخرج من الجامعة. أعترف بأنها كانت فكرة موفّقة أن ننتهي من هذه المراسم الملازمة للحياة. وبعد أن أفرغ منها، يصبح في وسعي الجلوس بهدوء والتفكير في مستقبلي.

كانت والدتي قامت بزيارة إضافية إلى متجر الكيمونو لتوصي لي على كيمونو بسيط وأنيق للأيام العادية يحمل شعار عائلتي مطرّزاً عليه،

إضافة إلى ثوبي كيمونو للحداد، واحد للصيف والآخر للشتاء. كانت تعلن أنها لا ترغب في منح ابنتها النزويّة أي شيء، غير أنه مع تعاقب تخرّجي وزفافي بفارق أسبوع، كان إحساسها بالاعتزاز يدفعها إلى تجهيز العروس بالملابس الضرورية كما هو متعارف عليه.

بدا لي الممشى المؤدّي إلى المذبح طويلاً للغاية وأنا محزّمة في كيمونو الزفاف الثقيل وعلى رأسي القبّعة المزخرفة. وفيما كنت أتقدّم بجهد، كنت أفكر في نفسي «هذا يعني أن أسس حياتك متينة». وبعدما نستقر كما ينبغي، يصبح في وسعي بناء حياتي على هذه الأسس.

لم يكن لديّ في سذاجة شبابي أي فكرة عن مدى التفاؤل المفرط الذي تنطوي عليه هذه الأفكار. كنت مؤمنة بكل بساطة بالأسطورة اليابانية القديمة التي تقول إن ثمّة خيط طويل أحمر ينسجه القدر يربط بين المرأة والرجل الذي تتزوجه من قبل ولادتهما. تلك الأفكار الرومنطيقية استلهمتها من بدلة الزفاف وحليه ومن الأجواء المحيطة بي.

جرى الزفاف بحدّ ذاته عند الغروب في معبد شينتو يقع في غابة صغيرة تابعة لقاعة حفلات الزفاف. كان نور الشفق المصبوغ بالحمرة يغلّف المذبح الصغير ونحن نتقدّم نحوه، عندما أخذ المساء بالحلول شيئاً فشيئاً. وحين أنهت خادمات المعبد رقصتهن المقدّسة على المسرح المصنوع من خشب السرو المنصوب أمام المذبح، وتبددت آخر الأنغام المتصاعدة من الآلات الموسيقية القديمة، وأفرغنا كؤوس الساكي الاحتفالية، كانت الظلمة تحيط بنا. ذلك هو معبد نوغي في الغروب، مشهد مليء بالإيحاءات وكأنما ينذر بالشؤم. كان بوغي في غاية التوتر

على خلاف ما يكون عليه في الظروف العادية، ولاحظت ونحن نتبادل المحبسين أن أصابعه كانت ترتجف قليلاً.

الفصل السادس

على الرغم من أننا أقمنا حفل الزفاف، إلا أننا في نهاية الأمر لم نتزوّج شرعاً. فقد شعر بوغي بأنه يجدر به مراعاة مخاوف والدته حول مشاعر أولاده، وأن يرى في الوقت نفسه كيف تتطور أعمال شركته قبل تسجيل زواجنا لدى السلطات المدنية.

قال «ما زلت حتى الآن لا أعرف كيف يمكن أن تتطور الأمور في الشركة. وفي حال وقعت في متاعب ما، لا أريد زجّك فيها. أما بالنسبة لولديّ، حسناً، فالكبرى باتت في سن يمكنها فيه الاهتمام بنفسها، لكن الأصغر دخل للتو سن المراهقة ويبدو أنها ستكون مراهقة صعبة. أفكر في الاجتماع بهما ومناقشة الأمور معهما».

كان بوغي يتكلم بنبرة من يعتذر ويبرر، لكن ليس عليه أن يخشى أن يجرح مشاعري. فتسجيل زواجنا لم يكن بنظري سوى معاملة بيروقراطية مملّة، ولم أكن أكترث إطلاقاً إن سجلناه أم لا. وبالتالي حين سألني بوغي إن كنت أمانع في تأجيل المعاملات الشكلية في الوقت الحاضر، أجبته «لا بالتأكيد، لا مشكل لديّ إطلاقاً».

«حقّا؟» بدا بوغي مرتاباً بعض الشيء.

«طبعاً. كما سبق وقلت، علينا أن نفكر بزواجنا وكأنه «حدث» من نوع ما».

«فعلاً؟» قالها بذلك الصوت الصبياني الساخر الذي يستخدمه حين

يشعر بالإحراج أو يمازح.

«نعم. فعلاً!»

بدا الارتياح على بوغي لكنه في الوقت نفسه استغرب نجاته من وضع حرج كهذا دون التعرّض لأي انتقادات أو توبيخ.

لكن ما قلته كان صادقاً. فشهادة الزواج لم تكن بنظري سوى قطعة ورق. كنت سعيدة لعقد زواجنا لأنّ ذلك هدّأ من مخاوف بوغي وقد استمتع به الجميع بمن فيهم أنا نفسي.

شاركنا طبقاً للتقاليد بعد حفل الزواج في سلسلة من الحفلات المتتالية راحت الرسميات تغيب عنها تدريجياً الواحدة تلو الأخرى. الحفلة الثانية جرت في ناد صيني في روبونغي. كان النادي في الداخل ذهبيا متلألئاً تتوسطه حلبة رقص مذهلة وكانت فرقة موسيقية فيليبينية تعزف. كان بوغي يرتدي بدلة بيضاء من ماركة «موسيو نيكول» أقنعته باستئجارها من متجر ما، فيما كنت أنا أرتدي فستان زفاف ابتعته من متجر باركو في شيبويا.

كان مجرد فستان أبيض جاهز الصنع يصل طوله إلى ربلة الساق لم يكن ثمنه يزيد عن سبعين ألف ين، غير أنني كنت أعلّق أهميّة كبرى على ارتداء فستان عرس خاصّ بي. استأجرت بسرور كل مستلزمات الزواج المتبقّية، لكنّ الفستان - والطرحة- كنت مصممة على شرائهما والاحتفاظ بهما للذكرى. قد لا أكون أكترث إطلاقاً للمغزى القانوني والاجتماعي للزواج، غير أن مراسم الحفل كان فيها شيء من الرومنسية يحرّك أحلام الفتيات.

كانت حلبة الرقص الفخمة محاطة بأنابيب النيون المضاءة مدّت على

طولها أضواء متعدّدة الألوان تومض بشكل متقطّع على وقع الموسيقى. افتتحنا الحفل أنا وبوغي وفق العادة المتّبعة بسكب شمبانيا بخسة زهريّة في هرم متأرجح من الكؤوس، فراحت تترقرق منحدرة من كأس إلى آخر. أخذ الجميع يصفقون ويصيحون مبتهجين. بعد ذلك تعاقبت الخطابات الواحد تلو الآخر، والهدايا الواحدة تلو الأخرى، ثم نزلنا أنا وبوغي عن الخشبة واختلطنا بالمدعوين ورحنا نملأ كؤوسهم بويسكي هينيسي. كانت حفلة باهرة حقاً.

اندمج جميع المدعوين مع الأجواء الاحتفالية، كل محبّي الأضواء واللصوص وشلّة الحديثي الثروة بكاملها. وفي ختام السهرة، غنى بوغي مع كين كين أغنية «شرف الأخوّة» من فيلم قديم عن المافيا اليابانية، فيما ألقيت من جهتي خطاباً ختامياً قصيراً لا يليق تماماً بعروس خجولة، فقلت للحضور «أرجوكم جميعاً، لا تفكّروا في أي شيء آخر. فقط استمتعوا بوقتكم قدر المستطاع الليلة. فهذا هو المطلوب في الحياة في نهاية الأمر، أن نلهو ونستمتع بوقتنا».

وبعد هذه الكلمات الفارغة من المعنى، تقدّمت الجميع في ثلاث جولات من التصفيق الإيقاعي تشير إلى انتهاء المراسم الشكلية.

قد يكون أصدقاء بوغي حضروا حفلات كهذه من قبل، غير أنها كانت أول تجربة من نوعها بالنسبة لصديقاتي الشابات فلم يسبق أن شاركن في سهرة لصوص، وكان يمكن تفهّم دهشتهن. لكنّهن حين رأين أن العريس في الواقع رجل فاتن في متوسّط العمر وليس شخصاً هامشيا مريباً، بدأن يتودّدن إليه. بوغي من جهته كان يبذل كلّ ما في وسعه ليجعل الجميع يبتهجون، فقادهم إلى موقع من حلبة الرقص حيث

كانت فتيات محترفات يؤدين رقصات مثيرة.

حين انتهت الحفلة، حملنا أنا وبوغي الهدايا والأزهار وتوجهنا إلى جناح شهر العسل الذي كان رفاق بوغي حجزوه لنا كهدية زفاف أخرى في فندق مياكو الفخم. كان سرير العرس شاسعاً، أعتقد أن عرضه كان يفوق طوله.

لسوء الحظ، كان بوغي متعباً جداً من شدة ما احترس للظهور في أفضل مظهر، كما حدث نتيجة الحفلات الثانية والثالثة والرابعة التالية للعرس، ولم يكن بوسعه الاستمتاع بالديكور الفاخر. ما أن تمدد على الفراش حتى غرق في نوم عميق وراح يشخر مثل فرس نهر. تردد في أرجاء الجناح الرومنطيقي أعلى شخير سمعته حتى الآن. كان هذا شخير عرس رسمي. أما أنا، فقد تأنيت في اختيار ملابس داخلية مخرّمة بيضاء على طريقة مادونا لتليق بفستان العرس، لكن كل هذا ذهب سدى.

*

في اليوم التالي لزفافنا، ناولني بوغي ثلاثمئة ألف ين وقال «الآن وقد أصبحت ربّة منزل فعلية بدوام كامل، خذي هذا المبلغ وحاولي تدبّر أمرك به لمدّة شهر». كان حفلا التخرّج والزفاف متعة خالصة بالنسبة لي، وها هو الدليل الدامغ على أنني تحوّلت حقاً من طالبة إلى ربّة منزل.

«فهمت. ربّة منزل بدوام كامل، هكذا إذاً!»

لم أع يوماً ما كنت أقوم به، وبما لأنني لم أكن أدري من أين أبدأ، بدأت بالمظاهر. لم أكن معتادة على وضع خواتم، لكن الخاتم الذي

أضعه الآن هو خاتم عرسي، وعليّ عدم نزعه أبداً من إصبعي. في كل الأحوال، فقد أسرفت في تناول الكحول فتورّمت أصابعي ولم يعد بوسعي نزعه. كنت أميل إلى التصنّع والعجرفة، لكن بما أنني أصبحت الآن امرأة متزوّجة، بدأت أختار ملابسي لتناسب عروساً شابة: ملابس بسيطة ولكنّها جذابة.

انكببت أيضاً على توضيب الشقة معتبرة أن هذه هي الآن «وظيفتي». وضعت غطاء أنيقاً فوق الكنبة الرثّة واخترت أزهاراً تتناسب مع ألوانه وزّعتها في مواقع استراتيجية لإبراز الكنبة. علّقت على الجدران لوحات عصرية مطبوعة على أقمشة حريرية، واستخدمت الهدايا النقديّة التي تلقّيناها لشراء خزانة وصوان ذي أدراج. تبقّى لديّ ثلاثون ألف ين بالكاد كانت كافية لاختيار مزينة جميلة رخيصة الثمن. الآن وقد وضعت في مكانها كل العناصر الحسيّة الملموسة لحياة الأزواج الجدد، كنت على يقين بأنني سوف أستمتع بالحياة.

بوغي أيضاً كانت معنوياته مرتفعة. كلّما كان يذهب لتناول الكحول، كان رفاقه يمازحونه بشأن «زوجته الشابة»، وحين يعود ثملاً إلى المنزل، يعانقني ويقول «إذاً أنت زوجتي الآن يا سايا. زوجتي العزيزة، كم أحبّك. ياه! اسمعي كيف صرت أتكلم!»

كان يجهد لاسترضائي بشتى الوسائل، بعضها بغيض قليلاً. ففي أحد الأيام على سبيل المثال، قال وهو في طريقه إلى الحمّام «تعالي مع بوغي ليريك ما يمكنه القيام به».

«ماذا؟»

«هيا سايا، هذا أمر طبيعي بعدما صرنا متزوجين. قرأت في مكان ما

أن زوجة توميسابورو واكاياما كانت تتفحّص برازه كل صباح للتثبّت من حالته الصحيّة. أليس هذا دليل حبّ حقيقي؟»

«توميسابورو واكاياما؟»

لا شك أن بداية الحياة الزوجية أمر جميل جداً، لكن لها حدودها. لم أكن أودّ أن يشبهني بوغي بالزوجة الهزيلة لأحد نجوم أفلام الساموراي الغابرة، ولم أكن بالتأكيد أرغب في تفحّص برازه. غير أنني في المقابل لم أشأ جرح مشاعره، فرافقته حتى باب الحمّام ووقفت أنتظره في الخارج وأنا أتظاهر بالاهتمام، فأمد رأسي أحياناً كأنما أريد الحصول على مشهد أوضح.

قال متنهّداً «آه سايا، أنت لا تحبّينني». الحياة الزوجية في اليابان شاقة فعلاً إن كان الحب يقاس بمدى استعداد المرأة لتفحّص براز زوجها.

غير أن بوغي كان الآن أكثر مراعاة لي مما كان عليه قبل زواجنا. كما كانت تشغلني مهام كثيرة مترتّبة عن الزفاف، مثل تظهير نسخ إضافية عن الصور لضمّها إلى الرسائل، وبصورة عامة ترتيب المسائل العالقة وتسويتها. وإضافة إلى كل ذلك، كان هناك أعراس أخرى يتعين حضورها والمساعدة فيها. فكانت سكرتيرة بوغي على وشك الزواج، وكذلك رايكو بالطبع.

اضطلعت بكل هذه المهام بخفة وفاعلية كما يليق بزوجة شابة بارعة. ذهبت برفقة بوغي إلى الأعراس الأخرى وكأننا زوجين حقيقيين. على الرغم من أننا لم نقض شهر عسل حقيقياً، إلا أننا قمنا برحلة ممتعة إلى فندقنا المفضل في منتجع للمياه المعدنيّة الحارّة، كما قمنا برحلة أخرى إلى كيوتو لحضور سباق الخيل. شعرت وكأننا نعيش حياة زوجية لائقة،

حياة بالغين نضرة ومفعمة بالحيوية.

عند مشارف ربيع تلك السنة، وصل اقتصاد اليابان المحموم إلى نقطة الغليان، فأصبح بوغي عندها رجلاً مشغولاً للغاية وكان يجني أموالاً سهلة طائلة. الواقع أن الكل كان يجني أرباحاً كبيرة، حتى أن المال كان يخرج من مسامهم. وكلّما ازدادت أرباحهم، ازدادوا طمعاً بالمزيد. أصبح جني المال بمثابة لعبة مجنونة رائجة.

كانت شركة بوغي تراكم الأرباح بسرعة فائقة وكان منشغلاً في متابعة الأمر إلى حدّ إنه بات بالكاد يحضر إلى مكتبه في روبونغي الذي كان يفترض أن يؤوي أعماله الشرعية، بل لم يعد يبارح مكتب الاستشارات الاستثماريّة في غينزا. عاد إلى أسلوب الحياة الذي كان عليه أيام «كابوتوشو جورنال» وتوقّف عملياً عن التخطيط للأعمال «النظيفة» التي يفترض أن تدرّ له دخلاً نزيها، ومع بدء تدفّق الأموال الطائلة، عاد بحماسة متجدّدة إلى نشاطه المفضّل، وهو التلاعب بالأسهم لتحويل أرباحه الضخمة إلى أرباح أكثر ضخامة بعد.

كان تداول الأسهم في البورصة بنظر بوغي شكلاً من أشكال المقامرة، غير أنه يتطلّب مراهنات تفوق مجرّد رزمة من الأوراق المالية في جيب مراهن منفرد. وهذا يعني أنه كان يترتّب عليه السعي لجمع المراهنات من خلال إقناع مراهنين آخرين بتسليمه أموالهم ليوظفها. ومثل أي مقامر حقيقي، لم يخطر له للحظة أنه قد يخسر، كما لم يكن يفكر بأنه يحتال على أي كان بإدعاءات كاذبة، إذ كان مؤمناً حقاً في كلّ مرّة بأنه يمسك بصفقة جيدة. لم أكن على علم بأي مما كان يخطط له، غير أنني كنت على يقين بأن ما يقوم به مشابه لما كان يفعله في

«كابوتوشو جورنال». كنت واثقة أيضاً من أن ذلك الرجل لا يضمر أي سوء نيّة.

كان بوغي مقامراً بالفطرة. كان يقامر للعمل، كما يقامر للمتعة. لم يكن يشعر بأنه على قيد الحياة إن لم يقامر. لم يكن ذلك أمراً منطقياً. والقول له بوقف المقامرة لن يجدي نفعاً، بل سيكون كمن يقول لحيوان مفترس أن يتوقف عن قتل الحيوانات الأخرى لالتهامها.

بالطبع، لم يكن العمل كله متعة خالصة. كان يقضي لياليه في غينزا يتبادل معلومات وتكهّنات بشأن الأسهم أو يولم لمستثمرين محتملين. في الفترة التي كان فيها يتردد إلى مكتب روبونغي، كان يخرج كل ليلة مع الأستاذ فيشربان لمجرّد المتعة، في حين لم يعد لديه الآن وقت لتناول كأس مع أي كان لمجرد رفقته. شركاؤه في السهر الآن رجال في متوسّط العمر يعملون في الميدان المالي. يبدو أيضاً أنه يقضي بعض الوقت أحياناً مع أعضاء في مافيا ياكوزا. كان يرتدي كل ليلة بدلته الداكنة ليعود إلى المنزل في الثالثة صباحاً منهكاً من كثرة النشاطات الترفيهية والسمسرات المريبة.

«ربّاه! لست أدري إلى متى سأتمكن من تحمّل الأمر سايا. الليلة أصرّوا جميعهم على الذهاب إلى بار الكاراوكي والغناء. إنهم يهوون أغنيات إنكا الشعبية، أتعلمين؟»

لم تعد أغنيات إنكا رائجة كما كانت في الماضي، لكن ما زال هناك العديد من الأشخاص الذين يهوون تلك الأغنيات القديمة المفعمة بالحنين وبشيء من العاطفية. أذكر أنني ذات ليلة قمت بملاحظات ساخرة حول برنامج إنكا مضجر على التلفزيون فنهرني بوغي لكن باعتدال.

«تقولين هذا لأنك شابة. لكن تذكري ما سأقوله لك: ذات يوم حين تتقدّمين في السنّ، سوف تدمعين وتشعرين بغصة في قلبك عند سماح إحدى أغنيات إنكا تلك».

قالها وهو بمنحى ما يهزأ بهذا النوع الموسيقي نفسه.

«ماذا عنك بوغي؟ حين تكون مع مجموعة كهذه، لا يمكنك التملّص دون أن تغني أغنية أو اثنتين. ماذا تختار حين يحين دورك؟ أغنيات حزينة؟ أغنيات عصرية؟»

«يا لك من..».

«هذا ما ظننته! أغنية إنكا، أليس كذلك؟»

«لا أغنّيها لأنها تعجبني. ولا تظني أنني من هؤلاء البلهاء المغرمين بوقع صوتهم. عليّ القيام بذلك من باب اللياقة الاجتماعية، تفهمين؟ مهلك عليّ!»

كلما ازداد عليه ضغط العمل والاجتماعيات، ازداد إقبالاً على المقامرة. وكان ذلك اللون الشاحب المخيف يعود إلى وجهه ويبدأ بتبديد المال بجنون. أتساءل لماذا يكون للمال هذا التأثير على الناس، بحيث أنهم كلما جنوا المزيد، ازدادوا انحلالاً وانتهى بهم الأمر إلى تبديده وكأنه مياه حمام أو أوراق مرحاض.

اعتقل بوغي مرّة حين داهمت الشرطة لعبة ماجونغ برهانات عالية كان يشارك فيها مع لاعبي بيسبول محترفين متقاعدين. تلقيت يومها اتصالاً هاتفياً من شرطة اوساكي يطلبون مني جلب ملابس إلى المركز حيث كان موقوفاً قيد الاستجواب. كانت تلك صدمة حقيقية. فمهما بذلت جهوداً لأبدو جميلة ولتبدو الشقة أنيقة،

ومهما تفنّنت في إعداد العشاء، فهو يتركني وحدي معظم الوقت. والآن، بدل أن يدخل بوغي من الباب، ها أنا أتلقى اتصالاً هاتفياً من مركز الشرطة.

بدأت أنافس بوغي في الانحلال. لم يمض شهر على زواجي حتى أصبحت من نوع الفاجرات اللواتي يحفظن سجل حسابات في علاقاتهنّ مع رجالهنّ. الواقع أنني كنت أسدي خدمات متفرّقة، وكان من حقي بالتالي أن أنتظر في المقابل أموراً متفرقة.

كنت أتصفح مجلات السفر والرحلات، فأجد مكاناً جميلاً يمكن زيارته في عطلة نهاية الأسبوع وأقنع بوغي باصطحابي إلى هناك. عيد ميلادي على سبيل المثال بات مناسبة مختلفة تمام الاختلاف عن تلك الكعكة الذائبة المائعة التي جلبها لي العام الماضي. هذه المرة جعلته يرافقني إلى فندق سايو، أحد أفخم فنادق طوكيو وجوهرة غينزا. حين طلبت منه ذلك بأسلوبي المتملّق المتدلّل الاعتيادي، وافق بوغي على الفور. أعتقد أنه كان يشعر بوخز الضمير لأنه يتركني كل هذا الوقت وحيدة.

دعونا كن كن وبعض الفتيان من المكتب بعد العمل وفتحنا شمبانيا دوم بيرينيون، ثم أكملنا الاحتفال في كيتشو، المطعم الياباني الأسطوري في طبقة ما تحت الأرض من الفندق، قبل الانتقال إلى غينزا للاستمتاع بالليل في المدينة. لكننا في تلك الليلة أيضاً لم نحسن استغلال غرفة الفندق كما ينبغي، فبقيت جالسة في جناحنا الفخم، في فندق لا غرف فيه بل أجنحة، بحمامه الرخامي الفسيح بمساحة صالون عائلي عادي،

أتأمل بوغي ممدّداً مستغرقاً في ذلك الخدر الثمل الذي اعتاده، وغطيطه يملأ الأرجاء بصخبه مرّة جديدة.

*

بما أن بوغي كان ثملاً على الدوام عند عودته إلى المنزل ليلاً، كانت حياتنا الجنسية تجري في الصباح قبل أن يذهب إلى العمل.

«سايا، كل ما عليك القيام به هو تلقي «حقنتك» الصباحية ثم العودة إلى النوم مباشرة! هذا ما يعطيك كل هذه الحيوية وهذا النشاط».

كانت تلك من دعابات بوغي المفضّلة، لكنها كانت الحقيقة. حين أستيقظ بعد مضاجعتنا الصباحية، يكون انقضى وقت طويل منذ أن خرج من المنزل. وحين أنهض من الفراش، يكون الوقت تخطى الظهر. كنت أستحمّ، أنظف الشقة كيفما تيسّر وأنطلق سواء إلى صالون التجميل أو إلى مدرسة المحادثة بالإنجليزية. وإن لم أكن أرغب في ذلك، ألغي موعدي بكلّ بساطة. لم يكن لديّ ما يتوجّب القيام به بشكل ملح، وكان الأمر مريحاً وإنما مؤسفاً في آن. كانت مهمّتي الوحيدة إبعاد الإحساس بالوحدة عن بوغي، فأبقى تحت تصرّفه وأعتني بمظهري وأبقى متأهّبة للانضمام إليه حالاً إن اتّصل وفي أي وقت يتّصل به. كان ذلك قبل أيام الهاتف الجوّال، ما يعني أنني كنت أقضي الكثير من الوقت في المنزل.

باختصار، باتت حياتي فارغة ورتيبة إلى أقصى الحدود بعد انقضاء ربيع زواجنا، مثل شريط ساحلي عريض انسحب منه المدّ. بكلام آخر، عدت إلى مربّع الصفر. فقد تخرّجت في الجامعة وتزوّجت، لكن يبدو أن هذين الحدثين لم يكن لهما أي تأثير في حياتي. نعمت في بادئ

الأمر بتغيير في نمط حياتي، لكنني بعدما اعتدت وضعي الجديد، عاد إليّ إحباطي القديم. لن أستطيع أن أستمتع فعلاً بأي شيء أقوم به ما لم أجد حلاً لمشكلتي الجوهرية، أياً كانت.

بدا وكأن إحباطي المزمن نتج بقسمه الأكبر عن التغيير في وضعي. فقد انتقلت من حياة الفتاة الجامعية الطائشة إلى... كيف أصف ذلك؟ ربّة منزل رتيبة؟ بات هذا اللقب عبئاً يزن على صدري مثل طن من الرّصاص.

اعتدت التذمّر والتبرّم حين يعود بوغي إلى المنزل.

«سايا، أقول لك على الدوام إن لك الحرية بالقيام بما يحلو لك».

لكنني لم أكن حرّة، بل كان وضعي يكبّلني كسلاسل حولي. كان الجميع يتجنب إزعاجي بما أنني صرت الآن ربّة منزل. كل رفيقاتي من الجامعة عثرن على وظائف وبتن منهمكات بشكل فظيع. بالطبع، كان لدي صديقات أصغر سناً ما زلن يتممن دراستهنّ، لكنّ رفقتهن لم تكن تستهويني، فكنت في نهاية الأمر أبقى وحيدة صباحاً وظهراً وليلاً.

«إنني أضجر كثيراً، إلى حد أنني أفكّر في تعلم قيادة السيارات. ما رأيك بوغي لو نشتري سيارة؟»

لكنه كان مصمماً على عدم الاستجابة لهذا الطلب.

«لا، لن نقتني سيارة. يمكنك شراء كل ما تريدين، باستثناء السيارة».

كان بوغي يعاني من رهاب النساء خلف المقود بسبب حادث السير الذي قتل زوجته.

«النساء كائنات انفعاليّة. لذلك لا يحسن اتّخاذ قرارات في الحالات الطارئة. غالباً ما نقرأ في الصحف عن حوادث تحصل لنساء يقدن

سيارات، كأن يخرجن من المرآب وينطلقن بالسيارة إلى الخلف من باب الخطأ فيدهسن أطفالهن ويقتلنهم، أو أن يلمحن شاباً ما أمامهن فيضطربن ويدسن على البنزين بدل الفرامل».

«هل تحصل أمور كهذه فعلاً؟»

«بالطبع. أنت لا تشاهدين الأخبار في التلفزيون أو تقرأين الصحف، وإلا لكنت علمت بها. لكن الحقيقة أن هذه الحوادث الحمقاء تحصل طوال الوقت، وغالباً ما تتسبب بها نساء».

«هذه كذبة وقحة. بل إن أخطر السائقين هم الشبان الذين تسلّموا رخصة القيادة للتوّ. أعرف ذلك لأن هذا ما قالوه لنا في مدرسة قيادة السيارات. فقد قمت بمحاولة لنيل رخصة في سنتي الجامعية الأولى، أتعلم؟»

الواقع أنني لم أحصل عليها إذ كنت منهمكة في السهر والمرح وهدرت وقتي.

«على أية حال، الجواب هو لا، وهذا جواب نهائيّ! المكان الوحيد لك في سيارة هو على المقعد الخلفي مع سائق خلف المقود. سوف أتخطى هذا الأمر ذات يوم، لكنه سيترتب عليك حتى ذلك الحين الاكتفاء بسيارات الأجرة!»

منذ أن تزوجنا، بات بوغي يبدي اهتماماً أكبر برفاهيتي واستعداداً أكبر لتدليلي. لكنني لم أكن أرغب في الاعتماد على سائق، بل أردت ولو لمرّة واحدة أن أقوم بشيء ما بمفردي.

«هذا مضجر جداً!»

«بالله عليك! أعرف أن الأمر صعب، لكن الحياة ليست مجرد مرح

وكيف! معظم الناس يعيشون حياة مملّة، هذا أمر اعتيادي. أنت من المحظيين، مع كل ما تحصلين عليه!»

«إن كان الناس العاديون يعيشون حياة مضجرة، فلا أريد أن أكون عاديّة، بل أفضل أن أكون غريبة الأطوار».

«مهما قلت، لا سيارة!»

كلما كان بوغي يدلّلني، كنت ازداد مزاجيّة إلى أن أصبحت نموذجاً عن تلك النساء الفاسدات الثريات.

«حسناً، إذا لم تكن تسمح لي بالحصول على رخصة قيادة، فاشتر لي على الأقل كيمونو. موافق؟»

«ما... ماذا؟»

لم يعد يرضيني التنقل في ملابس على الموضة من الطراز الغربي، وشعرت أن الوقت حان لامتلاك بضعة كيمونويات لائقة. فبوغي يعجب بالنساء اليابانيات الجميلات اللواتي يبدين فاتنات في الكيمونو. بل أكثر من ذلك، كنت أشعر أنه يجدر بشخص بمستوى موارده أن يقدم لزوجته كيمونو جميلاً بين الحين والآخر. صرت أعتاد شراء أي شيء أرغب فيه في الحال. كان التسوّق المجال الوحيد في حياتي تقريباً الذي لا أواجه فيه أي كبت.

كانت شركة بوغي بوضع ممتاز في تلك الفترة، ما يعني أنه كان يجني أموالاً طائلة دون أن يكون لديه وقت لإنفاقه معي.

«كم ثمن هذا الكيمونو؟»

«مليون ين عدّاً ونقداً. يمكنني الحصول على حسم لأن إحدى صديقاتي تدير المحلّ».

«أوف... هذا ثمن باهظ، ألا توافقينني؟»

فكّرت في نفسي: «ما الذي يتذمر منه؟ مليون ين ليس بمبلغ يذكر بالنسبة له»، ثمّ قلت ببرودة «سوف أختار له حزاماً رخيصاً».

فكرت أنه بما أنني أعيش هذه الحياة المملّة من أجل بوغي، فأقلّ ما يمكنه القيام به هو أن يشتري لي ملابس لائقة بين الحين والآخر. وصلت إلى هذا الحدّ من العجرفة.

اعتدت التأنق في الكيمونو في أي مناسبة، إلى أن صرت في نهاية الأمر من فئة اللواتي يليق لهنّ ارتداؤه. كما كان لدي كل وقت الفراغ الذي أحتاج إليه لتصفيف شعري في صالونات تجميل متخصصة في التسريحات اليابانية التقليدية. أن أكون المرأة الأنيقة التي يمكن لبوغي أن يفتخر بها كان جزءاً من مهامي.

أصبح الكيمونو جاهزاً بعد وقت. أطلقت تنهيدة صغيرة ضجرة «حسناً، ربّما أريه لأمّي!»

كان هذا أول ما فعلته بالكيمونو. اعتدت زيارة أمي أكثر من قبل بما أن بوغي لا يخصص لي الكثير من الوقت. سدّدت لها المال الذي كنت اقترضته منها حتى آخر فلس، مقتطعة من أجل ذلك مبالغ من مصروف الجيب الذي كان بوغي يمدّني به بسخاء متزايد.

علّقت قائلة «لديك حقاً أذواق خارجة عن المألوف. هذا النوع من الكيمونو لا ترتديه سوى الغيشات المحترفات».

لم تكن تعني أنه صارخ ومبهرج، بل على العكس. الواقع أن نقشته كانت بسيطة إنّما أنيقة. أعتقد أنها استحسنت فكرة أن نقيم أنا وبوغي نوع العلاقة القديمة الطراز التي يوحي بها الكيمونو.

«أترين خيط التسريج هذا؟ عليك أن تتركي قسماً يسيراً منه في مكانه وتطلبي من زوجك الذي اشترى لك الكيمونو أن يسحبه بيده. هذا هو التقليد. إن كانت زوجته تبدو جذابة، فذلك لأنه يعيلها، فهو الذي يكسب المال. لا تعرفين كم أنك محظوظة. أنا كنت أشتري أغراضاً لوالدك، لكنه لم يشتر لي شيئاً يوماً، ولو مرّة!»

كان الكيمونو الذي اختارته لي والدتي يليق بفتيات بألوانه الزّاهية والزهور المنقوشة عليه، في حين أن الكيمونو الذي أرتديه الآن داكن ورزين وأنيق يليق بالأكبر سنّاً. كانت والدتي مفتونة. رأيت السرور يشع من ملامحها وعلمت أنني اتّخذت القرار الصواب، وليس فقط في اختيار الكيمونو. لا بد أنني فتاة محظوظة للغاية!

كان بوغي ووالدتي يتشاطران القيم ذاتها. مطالبي المادية المتزايدة كانت تروّعه، لكن المفارقة في الأمر أنها كانت أيضاً تنال استحسانه، إذ أن إفراطي في التبذير وفي غرابة الأطوار كان انعكاساً جليّاً لثرائه. دعوا الزوجة تظهر بأبهى ما يمكن ودعوها تعيش حياة مترفة، ذلك كان المثال الأعلى الذكوري التقليدي، أحد مبادئ مافيا الياكوزا إن أردتم.

كان يسرّه أن أعيش بهذا النّمط، منفصلة عن الواقع ومتفرغة تماماً، أنام وأستيقظ وأتبرّم وأحياناً أكشّر، وأتدلّع طوال الوقت.

قال بوغي «أتعلمين؟ الرجال لا ينجذبون إلى النساء اللواتي يعملن لكسب معيشتهنّ. يحبّون أن يدعوا زوجاتهم يعشن في الترف، أن يمارسن نشاطاً أو نشاطين، هواية أو هوايتين مسلّيتين».

كان يريد لزوجته أن تكون مترفة. أو بكلام آخر، أرادها أن تعيش في خمول تام حتى تكون متفرّغة تماماً له وتحت تصرفه الكامل،

ليفترض عندها أنها تفكر به وحده طوال الوقت. بهذه الطريقة أيضاً يكون في وسعه اصطحابها إلى أي مكان يرغب في الذهاب إليه في أي وقت، واثقاً من أنها ستكون على قدر من الأناقة يبعث فيه إحساساً طيّباً بالسعادة.

يمكن القول إن في تفكيره هذا شيئاً من الشوفينية الذكورية! لكنني على الرغم من ذلك بذلت جهدي لأعتبر نفسي سعيدة. كان رجلاً محنكاً خبيراً في شؤون العالم والناس، وقد وقع في غرامي منذ النظرة الأولى. قلت لنفسي إن ذلك يثبت تميّزي كامرأة.

«سوف أجد لنفسي هواية وأخرج من هذا المأزق».

بدا الأمر سهلاً، لكنني سرعان ما أدركت أن العثور على هواية مسلّية أمر في غاية الصعوبة. قلت لنفسي في بادئ الأمر إن الأمور على ما يرام، وإنني فتاة محظوظة. كان بوغي سعيداً، وكذلك والدتي. أما أنا، فكان يمكنني بصفتي ربّة منزل الذهاب إلى مدرسة المحادثة بالإنجليزية والقاعة الرياضية وصالون التجميل قدر ما أشاء.

لكنني مهما ازددت طلاقة بالإنجليزية ومهما اشتدّت عضلاتي وازددت تألّقاً، لم يكن لدي أي مكان يمكنني فيه استغلال هذه المهارات والميزات التي اكتسبتها. ليس هناك ما هو أكثر كرباً من الانكباب على أمر غير ضروري إطلاقاً.

باستثناء المناسبات النادرة حين كان بوغي يصطحبني، كنت أقضي كل وقتي تقريباً ممدّدة في المنزل مع الهررة الأربع. بدأت أشعر وكأن حياتي تعبر دوني.

حاولت التخفيف من حدة مخاوفي من خلال الاتصال بالعالم

الخارجي لأرى كيف يسير. لكنني كلما كنت أتصل بصديقة من الكلية، كان ترد عليّ «ربّاه كم أنني منشغلة! أحسدك حقاً على كل هذا الوقت وكل هذا المال الذي تملكينه وتنفقينه على هواك». كانت صديقاتي يشتكين بمرارة، لكن أعتقد أنني لمست نبرة سعادة أيضاً في أصواتهن. هنّ يواجهن أوقاتا عصيبة، لكنهن يسعين جاهدات للتكيّف مع عالم العمل، وكانت أصواتهن مفعمة بالحياة والنشاط.

أما أنا، فكان لدي المال الوفير ووقت الفراغ المديد وكان يفترض بي أن أكون سعيدة، لكن قلبي كان ملبّداً على الدوام بغيوم داكنة كثّة. كانت صديقاتي يتبرّمن ويتذمرن من كثرة العمل، لكن من حظّهن أنهنّ كن منشغلات بأمر ما مترتب عليهن. فدون ذلك، لا متعة على الإطلاق في الاحتفال والسهر والإنفاق.

حين كنت لا أزال في الكليّة، كنا نعتقد أنا وبوغي أننا في غاية الذكاء. ننظر إلى أولئك الذين يكافحون معاً لكسب حياتهم، فيبدون لنا بمعظمهم مجرد مغفلين في عالم مصمم برمّته للبلهاء، عالم أكثر ضجراً وحماقة من أن نكترث له. أما الآن، فبدأ يتبيّن لي أننا ربما نحن المغفلان الحقيقيان.

*

سألتني رايكو بين ملعقتين من الأرز بالمأكولات البحرية الذي كانت تلتهمه «لماذا لا تقومين بمحاولة في مجال كتابة السيناريو؟»

كنت نجحت في إرغام رايكو على تناول الغداء معي في مقهى النادي الرياضي حيث كانت تقوم بتمارين السباحة الخاصة بالأمومة.

كنت أكره استشارتها في أي موضوع كان لما يوحي به ذلك من إقرار بأنها أفضل وضعاً مني، لكن لم يكن لدي من أكلمه سواها.

كان ذلك نادياً رياضياً يرتاده المتعجرفون. حمو رايكو كان يملك اشتراكاً مدى الحياة فيه وانضمت رايكو بالتالي إلى هذا الاشتراك عند زواجها. كان من نوع النوادي التي تحقق في ظروفك المهنية وتتثبت من أوضاعك العائلية قبل أن تسمح لك بالانتساب إليها. فالمال وحده لا يكفي لحملها على إصدار بطاقة اشتراك لشخص مثل بوغي.

انتابني إحساس بالدونيّة لم يسبق أن شعرت به، على الأقل مع رايكو.

«كتابة السيناريو؟»

«أجل. إنه عمل شاق يتطلب الكثير من الوقت ولا يدر الكثير من المال، لكن العديدين يزاولونه. وبما أنك متخرجة من قسم الآداب في جامعتنا، فلا بد أن يساعدك ذلك في الحصول على عمل».

قسم الآداب... همم، لا يمكن القول إنني مثقفة أدبياً، بل اخترت هذا القسم لأنه بدا لي خالياً من المتاعب والصعوبات.

«لكن كيف لي أن أصبح كاتبة سيناريو؟»

«حسناً، عليك أولاً الانتساب إلى مدرسة لكتابة السيناريو. لن يترتب عليك المواظبة يومياً هناك، لديهم خيار الدروس الليلية حيث تذهبين ليلة في الأسبوع. ما يحصل بصورة عامة أنهم يعطونك واجبات للأسبوع التالي، مع تعليقات وتصحيحات على واجبات الأسبوع السابق. يمكنك التخرج والحصول على شهادة في ستة أشهر إلى سنة، وبعدها يعود لك أن تسعي لتسويق ما لديك. الأساتذة في المدرسة

يساعدونك فيضعونك على اتصال مع بعض الأشخاص، وإذا حالفك الحظ فقد تبدأين العمل على الفور. عفواً، هل يمكنك أن تحضري لي طبقاً آخر مماثلاً؟»

كانت الجملة الأخيرة موجهة إلى النادلة. رايكو كانت تأكل عن شخصين الآن وهي بالتالي تحتاج إلى طبقين من الأرز بالمأكولات البحرية.

«آكل وآكل ولا أشبع. الأمر فظيع. قال لي الطبيب أنه يجدر بي عدم كسب المزيد من الوزن».

«لكن رايكو، من أين لك كل هذه المعلومات حول كتابة السيناريو؟»

«خطر لي أن أزاول هذه المهنة بنفسي. بدا لي من المعيب ألا أستفيد من دروسي الجامعية، فبحثت عن مهنة ما يمكنني أن أزاولها بموازاة كوني ربّة منزل. تصورت أن ذلك عمل ثقافي مرموق يمكنني القيام به من المنزل، وإذا نجحت فقد أصبح شهيرة وكل ما يرافق ذلك، فأرسلت طلباً للحصول على الكتيّب. لكن حصل هذا بعدها ووضع الأمور على الرف».

ربّتت رايكو على بطنها. لا شكّ أنه كان ينمو بسرعة. فكرت في الحدث السعيد الذي كان يحمله وبحياة رايكو بصورة عامة، فذهلت لمدى دقتها في تخطيط كل شيء بأدنى التفاصيل.

من خلال نافذة المقهى كان بوسعي تأمل أجساد نخبة رجال الأعمال المفتولي العضلات وهم يذرعون بركة السباحة ذهاباً وإياباً. يصعب عليّ الإقرار بالأمر، لكن هل يعقل أن يكون هؤلاء الرجال هم الذين يقدّر

لهم أن يكونوا الرابحين في لعبة الحياة الكبرى؟ خطر لي للمرة الأولى أن رايكو، تلك الفتاة التي كنت أخالها من صنفي المتبالد الخمول غير المهتم بأي شيء، كانت تنتمي في الواقع إلى مجموعة الرابحين هذه، منذ إشارة الانطلاق. أما أنا، فقد انتقلت مباشرة ودون أن أفكر من «طالبة» إلى «محظيّة لصّ».

فكرت في أمر قاله لي بوغي مرة حين كانت شركته تكافح للانطلاق في الأعمال. حينها سألني إن كنت مستعدة لأن أموت معه، وقال «والدي ووالدتي لم يعلّماني يوماً كيف يعمل المجتمع، فارتكبت أخطاء. في المجتمع الياباني، إذا ذهبت إلى جامعة جيدة ومن ثم إلى شركة جيدة، فقد يكون العمل مضجراً، لكن إذا التزمت به، فستصلين في نهاية المطاف إلى موقع تسيطرين فيه على مبالغ مالية ضخمة. يصبح في وسعك التحكم بأموال طائلة تصنف على نطاق مختلف تماماً عن نوعية أموالي. حسناً، قد يكون ما تحصلين عليه مجرد راتب متواضع، لكن لا مجال للمقارنة على صعيد الرضا الذاتي والموقع الاجتماعي. قد تعيشين حياة متوسطة عادية، لكنك تشعرين بالاعتزاز والرقي والتمايز. لم أكن أدرك كل هذا، فانجرفت خارج مساري في منتصف الطريق ودخلت هذا النوع من العالم. وبالتالي، حين أقارن نفسي بمعارفي السابقين الذين تابعوا في الطريق المستقيم، لا أجد سوى وسيلة وحيدة تبعد عني الإحساس بالإخفاق، وهي جمع أموال تتخطى ما يمكن أن يحلموا بجنيه طوال حياتهم».

لطالما نظرت بازدراء إلى رايكو واستراتيجيتها لترتيب حياة بورجوازية لنفسها، وطريقة تفكيرها الشبيهة بالنساء المتوسطات العمر

في حين أنها لا تزال في بدايات عشريناتها. أما الآن، فشعرت فجأة بالإعجاب حيال نمط حياتها الذي بدا لي في غاية النضوج.

«رايكو، أنت رائعة، تعلمين؟»

«هذا غير صحيح. لا يمكن القول إنني قمت فعلاً بكتابة السيناريوات، بل اكتفيت بتقصي هذه الإمكانية. لكنكما لا تخططان لإنجاب أطفال على الفور، أليس كذلك؟ إن كان لديك بعض الوقت، لم لا تقومين بمحاولة؟ المدرسة في آوياما على ما أذكر. الواقع أنه ما زال لدي الكتيّب في منزل والديّ. سأتّصل بوالدتي وأطلب منها أن ترسله لك».

«أشكرك كثيراً!»

انتشلت الفاتورة وتوجّهت مسرعة إلى الصندوق. كانت تلك عادة اكتسبتها من بوغي: حين يشعر الواحد بأنه أدنى مستوى من الناس «اللائقين»، الأمر الوحيد الذي يمكنه القيام به لصون كرامته هو دفع الفاتورة، لأن المال هو المجال الوحيد الذي تكون الغلبة فيه له.

«آه! أنت تدعونني؟ أنا شاكرة لك! أتمنى لو أننا أثرياء مثلك. قد يكون زوجي طبيباً، لكنه يعمل لقاء أجر في عيادة والده. أهله دفعوا العربون لشقتنا، لكنه يترتب علينا تسديد الأقساط الشهرية للرهن، ونكافح لتغطية مصاريفنا. كما سيترتب علينا قريباً شراء المزيد من الأغراض أيضاً».

ربّتت على بطنها مجدداً، ثم خفضت صوتها وهمست بنبرة تآمرية «لا يمكننا احتمال نفقات أي ترف قبل أن يقضي الرجل الطاعن في السن».

فكّرت في نفسي «هذه هي رايكو الانتهازية التي أعهدها»، لكنني

لم أتفوّه بكلمة، وحين وصلتني استمارة الانتساب إلى مدرسة كتابة السيناريو سارعت إلى ملئها.

فكرت أن ألتحق بالدروس الليلية. بوغي لا يعود أبداً إلى المنزل في المساء في نهاية الأسبوع، بكل الأحوال. ربّما أكسب أصدقاء جدداً، يمكننا عندها الذهاب معاً بعد الدروس لاحتساء كأس.

غير أن هذه الآمال الواهية تبخرت ما أن تخطيت باب المدرسة الليلية. رباه! يا له من مكان مقيت! كانت تلك القاعة الأكثر كآبة التي يمكن رؤيتها، فيها حوالي عشرين تلميذاً كانوا أكثر التلاميذ كلحاً الذين يمكن مصادفتهم. كانوا من أعمار متفاوتة، أكبرهم سناً امرأة بدت في الخمسينات. جميعهم يعملون خلال النهار في وظائف يخرجون منها منهكين ومتجهّمين حين يحضرون إلى المدرسة في المساء. بدا لي وكأن هالة من الامتعاض والغيظ تغلفهم.

كانت تلك المدرسة بالنسبة للعديد منهم بمثابة محطة الفرصة الأخيرة، محاولة يائسة لانتزاع تذكرة إلى شيء أفضل من وظائفهم التي لا تحمل أي مستقبل. كانت أجواء من اليأس تخيم في قاعة الدروس. لم يكن فيها شخص واحد يبدو من الممكن مصادقته، بل أبدوا بمعظمهم حيالي كرهاً حين تعارفنا.

ها أنا أصل بحليي المتوهجة وثيابي الأنيقة المتناسقة واللافتة للنظر، وشعري الطويل اللماع المسرح بعناية وكأنما لأثبت لهم أن لدي متّسعاً غير محدود من الوقت أكرّسه له، وبشرتي الناعمة الناصعة وأظافري الطويلة المقلمة والمطلية بشكل رائع، في حين حضر الآخرون في ثياب رثّة بالية، وقد قدموا مسرعين بعد يوم شاق من العمل. هم يدفعون بدل

دروسهم بمال كسبوه بعرق جبينهم، في حين أنني دفعت ثمن دروسي بمال أعطاني إياه بوغي وهو بالنسبة له بعض الفكة ليس أكثر، ولم يكن حضوري هناك بالتالي سوى وسيلة لإمضاء الوقت. لم أكن أثمن الفرصة التي تمثلها تلك الدروس، فلا عجب بالتالي أن يبغضونني.

قد لا تكون هذه الدروس مسلية، لكن لا يزال في وسعي العودة إلى المنزل والتبرّم من زملائي الطلاب لبوغي. إنه يجد في ذلك متعة، لأن تذمري من العالم الخارجي يحمل شهادة معبرة عن تفوّق عالمه الذي يريدني بجموح أن أؤمن به.

«الأمر مضجر إلى حد لا يمكن احتماله! الطلاب كئيبون بشكل لا يصدق، حتى أنهم يبعثون فيّ الغثيان! إنني واثقة من أن أقزام الفقر تلحق بهم جميعاً!»

«أقزام الفقر؟ ما هذا؟»

«قرأت عنهم في كتب قصص مصورة حين كنت صغيرة. بعض الناس يلحق بهم أقزام الفقر أينما ذهبوا. الأقزام يحسنون الاختباء، لذا لا يتم ضبطهم أبداً. وأولئك الذين يتبعونهم لا يذوقون طعم الثروة مهما كدّوا في العمل».

قهقه بوغي ضاحكاً لهذه القصة.

«الأساتذة أيضاً يثيرون الشفقة. يفترض أن يكونوا من كبار كتّاب السيناريوات، لكن هؤلاء الرجال المسنين المضجرين لا يمكنهم إنتاج سيناريو واحد يثير الاهتمام، حتى لو توقفت حياتهم نفسها على ذلك».

«أصبت تماماً سايا! أولئك الذين لا يخوضون تجربة الحياة لا يمكنهم

كتابة أي شيء مثير للاهتمام بمجرد الجلوس إلى مكاتبهم والتفكير في الأمر. دعيني أقول لك، ذات يوم سأكتب لك رواية تذهل الناس وتستأثر بانتباههم. لدي كمّ هائل من الأفكار للحبكة».

لم يكن بوغي تخلى بعد عن حلمه بأن يصبح روائياً. فهو ما زال يشتري كل كتاب يصدر لكنزو كيتاكاتا فور صدوره، كما كان يقرأ معظم الروايات التي تفوز بجوائز أدبية أو حتى التي ترشح لها. بينما كنت أجلس إلى جانبه، مستغرقة كعادتي في مجلات الأزياء وكتب القصص المصورة، كان هو يقرأ أحدث إصدارات الأدب القصصي.

في نهاية الأمر، واظبت على دروس كتابة السيناريو وكنت أتردد إلى المدرسة مرتدية أبسط ثياب يمكنني العثور عليها في خزانتي، أجلس في الصف دون أن أتفوّه بكلمة، أسلم واجباتي وأعود مباشرة إلى المنزل. غير أنه كان لا يزال لدي أوقات فراغ مديدة. فالواجبات كانت تقتصر على كتابة سيناريو واحد قصير في الأسبوع. ربما كانت هذه مهمة مرهقة لشخص يعمل في وظيفة بدوام كامل، لكنها لم تكن كافية البتة لأحد مثلي أمامه أسبوع كامل يتعين عليه ملؤه.

«ربّاه كم أنني ضجرة!»

كنت أتحرّق إلى أفكار جديدة، فقصدت ميتشي، الماماسان السابقة في ملهى أولالا. بعدما قضت ميتشي حكماً بالسجن في عملية ضبط الكوكايين، كلّفها ثري يعمل في مجال الفنون والرسم بإدارة صالة عرض صغيرة. كنت واثقة من أن ميتشي ستتمكن من توفير وظيفة ممتعة لي بدوام جزئي في الفنّ.

في تلك الفترة كانت عبارات إنجليزية رائجة لتوصيف الوظائف

مثل «مصمم مساحات» و«مخطّط داخلي» تحتاج اللغة اليابانية. كنت أتوق سرّاً لولوج هذا العالم، عالم من الإبداع والتميّز والحداثة! وبما أنني خريجة آداب، فسوف يكون في وسعي العمل في النشر أيضاً. هذا ما خطر لي على الأقل.

لم تخذلني ميتشي. فقد عرفتني إلى شركة إنتاج ونشر ضخمة تدعى «فنون جديدة». كان رئيسها من صنف رجال المافيا اليابانية، يعرف على أنه صاحب نفوذ قوي في مجال تجارة الفن. رأى فيّ ما أن قابلني روحا توأماً له ووظفني على الفور.

من بين نشاطاتها الكثيرة والمتنوعة، كانت شركة «فنون جديدة» تنظم تظاهرات وحفلات صاخبة تلقى رواجاً كبيراً في محيط الفورة الاقتصادية التي شهدتها نهاية الثمانينيات. كانت وظيفتي تقضي بالمساعدة في الإشراف على هذه المناسبات، أقله نظرياً. الواقع أن الشركة كانت لديها سكرتيرة بارعة تماماً ومحاسب يتكفلان بكل ذلك بفاعلية عالية، ما يعني أن وظيفتي لم يكن لها وجود فعلياً. كان عملي يقتصر على تقديم «رفقة» ما، تأمين حضور ثانوي تزييني في الحفلات، وكان الرئيس ورفاقه يصطحبونني في جولات السكر وكأنني حيوان أليف.

وعلى الرغم من ذلك، كنت سعيدة بالعثور على تلك الوظيفة. كان الشبان العصريون يطالعون المقالات في مجلات «فنون جديدة» فيعتبرون أنهم يدخلون مباشرة إلى قلب الطليعية. أنا نفسي كنت مثلهم. وهأنذا الآن ضمن الفريق الذي يصدر هذه المجلات! كان ذلك كافياً ليبعث فيّ جذلاً لا يوصف. فأنا لدي الآن مكان أقصده بملابسي الفاخرة من

صنع مصممي الأزياء، وكان الجميع يكترث لي مجدداً. شعرت بسعادة عارمة لم أذقها منذ زمن طويل.

حسناً، ربما كنت مجرد مضيفة في تلك التظاهرات، لكنه تسنى لي أن أخالط شخصياً جميع مشاهير عالم الفن والموضة الذين كنت أقرأ عنهم في المجلات. كان كل ذلك يحصل في حمى الفورة الاقتصادية، في مرحلة ينعم فيها العديدون بخطّ إنفاق غير محدود. وها أنا في وسط كل ذلك، أستمع كلّ مساء إلى الثرثرات عن آخر التيارات الرائجة وكل الشائعات عن صانعيها. وفي نهاية المطاف خيّل لي بطريقة ما أنني أنا أيضاً ذكية ومبدعة.

أولئك الذين كنت أعاشرهم جابوا أصقاع العالم واستكشفوا مدن التكنولوجيا المتطورة كما البراري بحثاً عن أجمل ما يمكن العثور عليه وأكثره إثارة للاهتمام. كان من الممتع الاستماع إليهم، وقد أيقظوا فضولي الفكري.

حين يبدأ شخص لا يفكر عادة بأي شيء بالتفكير، سرعان ما تتحول خواطره إلى مشاعر. فجأة باتت أيامي مليئة بالبريق والتألق، فوجدت نفسي أتضوّر حسداً، أحسد هؤلاء الأشخاص الذين عاشوا في الخارج، الذين يلمعون بمواهبهم ويقومون بعمل مشوق.

كنت محاطة بالكتاب والمصممين والفنانين. بنوا حياة مهنية ناجحة بمواهبهم الخاصة. إنهم مفعمون بالطاقة، يعيشون حياة حرّة وممتعة، في حين أنني مجرد نكرة. لم أكن أحتمل ذلك. كانوا ينظرون إلي بنظرات كأنما تقول «لا نعرف هذا الوجه... من تكون بحق الله؟» فيعلن رئيس الشركة عندها «تجنباً لأي سوء فهم، يجدر بي القول إنها ليست

عشيقتي. إنها ربّة بيت ثرية، تأتي لقضاء الوقت معنا حين ترغب في ذلك».

حاول التندّر وعرض المسألة على أنها طرفة، لكن لم يبد أحد أدنى اهتمام وانتقلت الأحاديث إلى موضوع آخر.

كان رئيس الشركة يرى تمايزاً ما في حضور ربّة منزل في غاية الشباب والثراء والتفرغ إلى تظاهراته الاجتماعية. لكنني لم أكن هناك سوى للصورة ولم يكترث أي كان للتكلم معي إذ لم أكن أزاول أي نشاط ولم تكن لدي أي موهبة تميّزني. الوحيدون الذين كانوا يعيرونني بعض الاهتمام كانوا الأكبر سناً الذين كان مجرد الوقوف برفقة امرأة شابة يسعدهم.

في هذه الأثناء وصل الاقتصاد إلى نقطة حيث باتت مبالغ طائلة من المال في التداول، إلى حد لم يعد الناس يعرفون ما يفعلون بها. بدا الولوج أكثر في الثقافة والفن بمثابة فكرة موفقة، وكانت الصحف تغص بالمقالات عن أهمية تطوير «ثروات روحية». اكتسب الفنانون والكتاب مكانة جديدة وحظوا باحترام جديد كمراجع في ذلك النشاط الصعب والدقيق القاضي بتحويل الثروات المادية إلى ثروات روحية، ولم يبخلوا في تقديم مساعدتهم.

لم يكن حزني لتجاهل هذا الحشد الفاتن لي همي الوحيد، بل باتت أفكار جديدة وغير مألوفة تراودني، فأتساءل على سبيل المثال «من أنا؟ ليس لدي أدنى فكرة».

الآن وقد بات بوغي يدللني إلى هذا الحد، لم أعد أشعر حياله بالحب نفسه كما في الأيام التي كنت أجهد فيها يائسة للاستئثار باهتمامه.

صرت الآن واثقة من مشاعره حيالي، ما جعل ميزان القوى بيننا يميل لصالحي. بعد سنوات مديدة قضيتها أضحي بذاتي وأكرّس نفسي له، بدأت أفكر بنفسي بدل التفكير به.

كانت وظيفتي تقضي بالاختلاط بفنانين وأدباء، فبدأت أعير المزيد من الاهتمام للثقافة. أردت فجأة التحدث في الفن والتيارات الرائجة، وصرت شديدة التبرّم والتدقيق في كل ما يتعلق بنمط عيشي. كما بدأت أنظر بعين أكثر نقداً إلى الرجل الذي كنت أعيش معه، فصرت أجد صعوبة في التعايش مع بعض العادات الخاصة ببوغي التي كنت في الماضي أستطلفها وأعتبرها بمثابة أطوار غريبة وظريفة في آن.

*

في تلك الفترة حصل حادث مؤسف في مطعم صيني. كان مطعماً أنيقاً في دايكانياما، الحي الرائج قرب شيبويا. جررت بوغي إلى هناك على الرغم من احتجاجاته الشديدة، إذ اعتبرت أن الوقت حان لاكتساب عادات غذائية أكثر حداثة. ما كان يجدر بي الاكتراث لذلك.

كل أحد كان بوغي يقصد مركز المراهنات خارج حلبة السباق في شيبوا بعدما يناولني بعض المال أبدده في محلات الحلي في دايكانياما. في يوم الأحد ذاك تحديداً، كان مزاجه متعكّراً لأنه خسر في سباق الخيل، فلم يكن ذلك اليوم المناسب لاصطحابه إلى مطعم يدّعي الرقي.

في هذا النوع من الأماكن لا يكترثون لك إلا في حال كنت من المشاهير المعروفين إلى حد ما في الإعلام. لم يكن مقام الشخص يقتصر

على المال، ولم يكن الموظفون هناك يقومون بأي محاولة للتظاهر بأنهم يرغبون في زبائن أمثال بوغي.

«أحضر لنا قائمة الطعام».

«هذه فترة الظهر، وليس لدينا بالتالي سوى ثلاثة خيارات: الغداء أ، والغداء ب، والغداء ج».

«أ ب ج؟»

«أجل بوغي، انظر إلى هنا». لفتت انتباهه إلى القائمة البلاستيكية التي كانت تستخدم أيضاً لوضع الأطباق عليها.

«حسناً، حسناً، لكن لا بد أن لديكم قائمة مأكولات حقيقية أيضاً، أليس كذلك؟ قائمة طعام يمكن الاختيار منها؟ أرجو منك أن تأتيني بها لو سمحت».

«عند الظهر لدينا فقط هذه القائمة».

«لا يهمّ، بوغي. لم لا نطلب غداء أ وغداء ج ونتقاسمهما؟ مع كوبي بيرة؟»

«بالتأكيد سيدتي».

فيما استدار النادل البغيض وابتعد، تمتم بوغي «هاه! لا يمكن القول إنهم يبدون الكثير من المرونة! ولم يحضروا لنا حتى منفضة. هاي! أيها النادل!»

التفت الجميع حين صاح بوغي بالنادل. هرعت إلى طاولة قريبة وجلبت له منفضة.

حين أحضروا لنا الطعام، كانت الأطباق مزخرفة بطريقة فنية جميلة، لكنها لم تكن تستجيب لمعايير بوغي الصارمة سواء على صعيد الكمية أو

المذاق. ازداد عصبية وطلب من النادل إحضار طبق آخر من الحساء.

لم يكن النادل يستسيغ بوغي. ها هو، ذاك النادل العظيم الذي خدم أسماء لامعة في الثقافة، وها هو ذلك النذل الحديث النعمة السوقي الذي يظن أن من حقه بعدما جمع بعض المال الحصول على طبق حساء إضافي.

قال بكل ما لديه من كيد ماكر «الأطباق الزائدة غير مسموح بها في الوجبات المحددة سلفاً».

فقد بوغي صوابه وبات على استعداد للدخول في عراك.

«اسمع، سوف أدفع الثمن، فهمت؟ أحضر لي فقط الحساء اللعين!»

غير أن النادل لم يتزحزح عن موقفه شبراً واحداً.

«قواعد المطعم لا تسمح بذلك، سيدي».

ثم استدار وولّى مسرعاً. جنّ جنون بوغي.

«طفح الكيل! ابن السافلة! لن أتحمّل المزيد! تعالي، سنخرج من هنا!»

توجه مسرعاً إلى الصندوق، ألقى مبلغاً من المال على المكتب واندفع خارجاً دون أن ينتظر الفكة. انتابني إحساس فظيع بالخزي والحرج. لماذا تصرّف على هذا النحو؟

لم يكن بوغي كمبدأ يطلب الوجبات المحددة، بل كان يطلب عدداً كبيراً من الأطباق من قائمة الطعام، يفوق أحياناً ما يمكنه أكله. لم يكن إطلاقاً من هواة الخيار الاقتصادي القاضي بطلب وجبة غداء خاصة أو وجبة عشاء كاملة محددة، بل كان يطلق عليها عبارة «وجبات تقنين».

حتى عندما كنا نقصد حانة سمك عادية على شاطئ البحر لا تقدم سوى وجبات محددة، كان يطلع بفكرة ما، كأن يقول مثلاً «سوف أدفع لكم الضعف، هل يمكن أن تقدّموا لي طبقاً إضافياً من سمك الاسقمري؟» لم يكن يستلطف إطلاقاً الذين يرفضون الاستجابة لطلبه. أما النادل الذي رفض أن يحضر له طبق حساء إضافياً، فبات ينظره عدوّاً لدوداً لمدى الحياة.

كان بوغي يحب تناول الحساء إلى درجة غير اعتيادية. حين نذهب إلى مطعمنا الصيني المعتاد في أزابو جوبان، يطلب على الدوام طبق تانمين، وهو طبق نودلز بالصلصة، غير أنه يجهز على الصلصة ويترك القسم الأكبر من النودلز دون أن يمسّها حتى. لم يكن يأكل كل ما يحتوي على البطاطا أو الفاصولياء، لأنه كان يبعث فيه العطش، وكان يرفق جميع وجباته تقريباً بالهينيسي الممزوج بالماء.

«صحيح ما يقولون سايا، إنه حين يبدأ الرجل بالتقدم في السن، أول ما يظهر عليه ذلك هو أسنانه وعيناه وعضوه».

الواقع أن البندين الأخيرة على قائمة بوغي كانا يعملان بشكل ممتاز، وإن كانت أسنانه في حالة رديئة، فلم يكن لذلك علاقة بالتقدم في السن، بل لأنه كان يكره تنظيفها بالفرشاة أو الذهاب إلى أطباء الأسنان.

«بالله عليك بوغي، نظف أسنانك بالفرشاة! سوف تفسدها وتفسد لثتك أيضاً إن لم تفعل!»

قلت له ذلك ألف مرة، دون فائدة. كان يضع معجون الأسنان على الفرشاة، يضعها في فمه ثم يغسل فمه دون فرك أسنانه. الطعام الوحيد الذي كان لا يزال في وسعه مضغه كان أذن البحر، وهو طبق يشتهيه

كثيراً. وبالتالي، لم يكن من الممكن أن يقبل بتناول وجبة غداء محددة عديمة المذاق ودون حساء. فضلاً عن ذلك، كان خسر في الصباح في مراهنات سباق الخيل.

لقد رسمت صورة من الداخل عن بوغي. لكن على الرغم من ذلك كله، كان شخصاً فاتناً، غير أنه بات أيضاً مصدر إحراج. كنت أحبه، لكنني كنت أفضل إخفاءه عن أصدقائي.

*

كان بوغي يتصرف دائماً كما يحلو له، دون أن يكترث لرأي أي كان. كان هذا مكمن قوته، لكنني على الرغم من ذلك صرت أرى شخصيته الفريدة عائقاً أمامي. كنت لا أزال في خطواتي الأولى في عالم العمل، لكن ذلك كان كافياً لجعلي أكثر اهتماماً بالانطباع الذي أتركه لدى الآخرين. بدأت آراء الأشخاص المحيطين بي تهمني أكثر. ألم أكن مصدر إرباك بعض الشيء؟ ألم أكن تافهة؟ تلك المخاوف كانت تعذبني.

اشتريت لبوغي قميصاً للمصمم أيسّي مياكي بياقة عالية. بهذه الطريقة إن التقى بالصدفة أحداً ما من «فنون جديدة» في الشارع، لن يخطر لهم أنني أتلهى مع رجل متقدم في السن يرتدي ثياباً رثة على طراز رجال المافيا.

ربما كنت مجرد مضيفة في السهرات، لكنني كنت سعيدة بانتمائي إلى جماعة «فنون جديدة». اشتريت المزيد من الملابس الباهظة الثمن، لكنني على الرغم من ذلك لم أكن راضية. أصبحت «فنون جديدة»

المركز الرئيسي لحياتي حتى لو لم يكن لديّ ما أفعله فيها. في المكتب كنت أطلب نصائح الرئيس وغيره من العاملين هناك بالنسبة إلى إمكانات العمل المتوافرة لي.

«ما هو أفضل ما يمكن لشخص مثلي أن يفعل؟»

كم كنت حمقاء! لم يكن أحد ليجهد نفسه بالتفكير في جواب جدي على سؤال سخيف كهذا. كنت أبدو وكأنني ما زلت تلميذة في المدرسة. هذا عالم لا يرحم وجميعهم منهمكون في العمل. فلماذا يقدمون النصح لشخص لا يواجه حتى مشكلات؟

كنت فتاة خالية البال، تعتمد دائماً على الآخرين، تهيم في الحياة دون أن تعرف ما تريد حقاً. وهذا النوع من الفتيات لا يحصل عادة سوى على أمر واحد في حياته، وهو ليس بالتأكيد إرشادات لبناء حياة مهنية، بل رجلاً.

الرجل هذا كان منسّقاً يعمل في نيويورك وغالباً ما يحضر إلى الشركة حين يأتي إلى طوكيو. المنسق هو شخص يعيش في الخارج ويساعد الذين يتعاطون مجال الإبداع على جمع مواد للفنون. وهذا المنسق تحديداً كان أيضاً يكتب مقالات في مجلات أزياء يتناول فيها آخر توجهات الموضة الرائجة في الولايات المتحدة، وهو نشاط متحضر زاده إثارة وفتنة.

عاش الرجل في نيويورك عشر سنوات وهو يتعاطى العمل الثقافي. كان يستخدم الكثير من الكلمات الإنجليزية في حديثه، دون أن يبدو مدّعياً. في سلوكه شيء أجنبي جذاب جداً، وقد فتنني مظهره الكوزموبوليتاني. كان مرهفاً وساحراً وحين يجري اتصالاً دولياً كان يثرثر بالإنجليزية وكأنها لغته الأم. يا له من رجل مميز! سرعان ما أخذ إعجابي به يتحول إلى حبّ.

الفصل السابع

كان اسمه كاورو ناكاتاني. يوحي بالرغبة ويتنقل بخفة مرتدياً بدلة سبور من ماركة «كوم دي غارسون» للرجال.

كانت ليلة حارة رطبة وهواء المدينة الكبيرة مثقل بإفرازات تبعثها الأجساد كالرسائل. كنت أشعر بالدوار بسبب الحرّ والكحول والشباب. كنا خارجين للتو من حانة في روبونغي حين التفت رئيس «فنون جديدة» إلى كاورو وقال له «إنني ذاهب في الاتجاه المعاكس تماماً، لذا أرجوك أن تسدي لي خدمة وترافق سايا إلى منزلها. هلا فعلت؟» ثم تركنا نستقل سيارة الأجرة التي طلبها من الحانة.

كان يمكن الخروج من حانة في وقت متأخر بعد جلسة سكر وعدم العثور على سيارة أجرة واحدة بسبب الغليان الاقتصادي المخيم. وحتى لو كانت الشركة متعاقدة مع مكتب سيارات تاكسي، فقد لا يكون من الممكن الاتصال بهم على الهاتف إلا بعد الجهد الجهيد، وحتى بعد ذلك، فقد يستغرق الأمر ساعة أخرى من الانتظار قبل أن تلوح سيارة أجرة في الأفق. أما في حال كان طالب التاكسي فرداً عادياً لا ينتمي إلى شركة ما، فسوف ينتهي به الأمر يرقص في حانة حتى الصباح.

«ممتاز! إنني فعلاً محظوظة!»

لم يكن نجاحي في الحصول على إحدى سيارات الأجرة هذه النادرة وحده ما جعلني أتمتم تلك الكلمات لنفسي، بل فرحت لأنني سأتقاسم المقعد الخلفي مع كاورو. لا يمكنني القول إنه كان يقوم بأي مبادرة للتودد إليّ، بل كنت مسرورة بالتقرب قليلاً من رجل يعجبني. لم يخطر

لي إطلاقاً أنه في الحقيقة ذئب في ثياب أنيقة.

كان سريعاً جداً بالنسبة لرجل ياباني. فما أن انطلقت سيارة الأجرة حتى انقضّ عليّ على حين غرّة. فوجئت به يقبّلني بحرارة ولم أبد أي مقاومة. كنا متوجهين إلى منطقة فندق أكاساكا وكنت جذلة أحلق عالياً كطيارة ورق ولا أخشى شيئاً.

عدت إلى أزابو جوبان قرابة الفجر مكسوة بعضات حبّ أشبه بورود مزهرة. كان يملأني إحساس بالنشوة والاستهتار غلب على خوفي من أن يكشف بوغي أمري. ليحصل ما سيحصل. كنت منتشية إلى هذا الحد. شعرت بانعتاق لأول مرّة منذ دهر. آه كم استمتعت بليلتي! تلذّذت بها إلى أقصى الحدود دون أن أكترث البتة لما قد يظنّه أي كان. بوغي كان أول رجل أقمت علاقة معه، بالتالي لم يحصل لي من قبل أن خرجت ولهوت دون أن أفكر به. أمر مذهل!

لم يكن بوسعي العودة إلى المنزل دون أن أكون ثملة، فتناولت كأسين إضافيين في ردهة الفندق قبل أن أنطلق. المسألة أنني جهزت عذراً في حال احتجت إليه، فسوف أدعي أنني بقيت أشرب في الحانات طوال الليل. بعد دوار البيرة الخفيف فوق سكر الليل، وقلة النوم والنشوة المفاجئة لهذا الحب الجديد، كنت أتألّق إشراقاً في هواء الصباح الباكر المنعش وكأنني أمشي على غيوم.

لم يساورني هذا الإحساس الرائع من قبل في حياتي. لا نشعر بحرية مطلقة حقاً إلا حين نستمتع بوقتنا دون أن نفكر في الماضي أو المستقبل. انتابني شعور رائع إلى حد أنني لم أعد أكترث لما يمكن أن يحصل بعد ذلك. فتحت باب الشقة.

لم يكن بوغي هناك.

قلت لنفسي «حسناً، أليس هذا متوقعاً؟ أفترض أنه يقضي ليلة أخرى في لعب الماجونغ».

شعرت بارتياح تخالطه خيبة ما.

أمر مخيف أن أفكر في أنني قد أخسر كل ما يعني لي شيئاً، لكنني كنت مستعدة للاعتقاد بأن بداية جديدة قد تكون أفضل من مواصلة حياتي في ملل وضجر. كنت أرغب في تغيير ما، لكنني لم أكن أملك الشجاعة أو الطاقة لإحداث هذا التغيير بنفسي. كنت بالغت في اتباع حمية غذائية إلى حد انقطاع الشهية. أمر جيد أن أكون جذّابة، لكن جسدي الشبيه بصبية الشوارع كان يعاني من الجفاف إلى حد أنني كنت أشعر على الدوام بالدوار. الحمية الغذائية كانت بالنسبة لي أشبه بتقليد ربط أقدام البنات وضغطها، قيد غير طبيعي أتحمله من أجل إرضاء الرجال. كنت أعتمد على بوغي في كل شيء ولم يكن بوسعي إطلاقاً القيام بأدنى خطوة من تلقاء نفسي.

عاد بوغي إلى المنزل أخيراً في المساء. كان غاضباً وبادرني بالسؤال «إذاً أين كنت الليلة الماضية؟»

آه، فهو يعرف.

كان من عادة بوغي أن يتصل بي بين الحين والآخر من نادي الماجونغ لمجرد التحدث إليّ. أحياناً لم يكن يتصل طوال النهار، لكن إن اتصل ولم أكن في المنزل لأجيب على الهاتف، كان يغضب على الفور ويبدأ بالاتصال كل نصف ساعة للتثبت مما إذا كنت عدت. كانت عادته تلك تخيفني، لذلك وضعت للهاتف وصلة طولها عشرة أمتار ليبقى في

متناولي حتى إن كنت أستحمّ.

حين كان يتصل ولا يجدني في المنزل، كان مزاجه يتعكر على الفور من شدة أنانيته. لا ضير إن تركني وحدي أياماً، لكن إن شعر بأنني أهمله حتى ولو للحظات، فلم يكن يحتمل ذلك بكل بساطة.

منذ أن التقيته وأنا أحس بأن أطباعه التملّكية تأسرني، ولو أن هذه الميزة هي التي جعلتني أغرم به. في تلك الفترة كنت وحيدة جداً وكنت أرغب في أن أعني شيئاً لأحد ما إلى حد يدفعه إلى فرض هذا الأمر عليّ. دخلت إلى الأسر من تلقاء نفسي وكنت سعيدة في قفصي.

أما الآن، فبات هذا التملك أشبه بلعنة علي وشعرت بعبئه يزداد يوماً بعد يوم.

فكرت أنه يجدر به الإقلاع عن التصرف مثل طفل مدلل. وفي كل الأحوال، لم تكن لدي فكرة عن الوقت الذي يمكن أن يتصل فيه. أحياناً أقضي أياماً دون تلقي اتصال واحد منه. حين يكون منهمكاً مع امرأة ما على سبيل المثال، فلا يمكن أن يتصل بي من مخدعها.

وحتى حين كان يتصل، لم يكن لديه ما يقوله لي، فيكتفي بالتحقّق من أنني في الشقة حتى يخلو باله ويتفرغ تماماً للعبة التي يلعبها.

«آه سايا، ها أنت هنا. لا أدري متى سأعود إلى المنزل، لكن أحضري لي العشاء وانتظريني. اتفقنا؟»

كان يقول ذلك بصوت طريف ليضحك رفاقه في لعبة الماجونغ وكنت أسمعهم يقهقهون في الخلف قبل أن يقفل الخط.

قلت بقليل من الاكتراث «خرجت لتناول بعض الكؤوس مع ميناكو. لم أرها منذ زمن طويل».

*

أدركت بعدما تبدد سكري أنني لا أنوي إطلاقاً التخلي عن بوغي من أجل علاقة غرامية عابرة مع كاورو. كان بوغي بطانيتي القديمة مثل بطانية لاينوس، ولم يكن بوسعي التخلي بهذه السهولة عنها وعن إحساس الأمان الذي تمنحني إياه. لم أكن أتحلى بالشجاعة الكافية للقيام بذلك.

كنت آمل في قرارة نفسي أن يأتي أحد ما ويحسم الأمر عني. كنت أشعر وكأنني ممددة في حمام فاتر، غير حار إلى حد كاف لأستمتع به، لكنه غير بارد إلى حد يدفعني إلى الخروج منه، إلا في حال قام أحد بشيء ما. كان كاورو ناكاتاني ذلك الشخص. هبط في حياتي مثل حصاة ألقيت في مياه راكدة، فراحت الدوائر تنتشر مع الوقت.

*

جاء الخريف وعيّنت في منصب جديد. كنت مسؤولة عن مكتب الاستقبال في غاليري تديرها شركة «فنون جديدة». في الظروف العادية، كنت فضلت الموت على تولي عمل كهذا، لكن الأمر كان مختلفاً، إذ عين كاورو مديراً للدار. وافقت إذاً على هذا العمل بسرور، لمجرد أنه يعطيني فرصة لقضاء المزيد من الوقت معه.

حاول كاورو في بداية الأمر التهرب مني. فقد بلغ الثلاثين من العمر للتو وكان يرغب في الاستمرار لبضع سنوات بعد بمضاجعة أي امرأة يشتهيها، ولم يحتمل تعلّقي الكبير به.

كنت امرأة متزوجة وزوجي رجل خشن للغاية، ففكر بأن في وسعه أن يجعل مني «طبقاً مقبّلاً» سريعاً ثم ينسحب بلباقة وينتقل إلى الطبق الشهي التالي. لكنني كنت مصممة على عدم السماح له بالانصراف بهذه السهولة. يمكنني أن أظهر تعنتاً مدهشاً أحياناً حيال أمور محددة. لم يكن كاورو في الواقع يستحق العناء، لكنني حين أدركت أنه يحاول الاعتذار والذهاب في سبيله، تشبثت وقاومت. لن أدع رجلاً من طرازه يعاملني وكأنني لعبة رخيصة.

لكنني كلما سعيت لإرضاء غريزة كاورو الجنسية القوية، وجدتني أشاطره أكثر شهواته النهمة.

«حين تضاجعين رجلاً، تصبحين تدريجياً شبيهة به». تلك كانت نظرية ميناكو. قالت لي مرة «أعترف أن شيئاً ما كامناً في مني الرجل ينتقل إليك. هل لاحظت أن الفتيات اللواتي لا يضاجعن سوى السود يبدين بدورهن بعد فترة شبيهات بالسوداوات بعض الشيء؟»

قد يكون هناك قدر من الصحة في هذه النظرية. على كل حال، يبدو أن إفرازات كاورو تسربت إلي، وكلما مارسنا الحب طلبت المزيد. كاورو كان النموذج الذكوري بامتياز: مصاب بصلع مبكر وجسده مكسو بالشعر. والآن صرت بدوري أتوق بجنون إلى الجنس.

كنت شبقة إلى حد أن الأمر أخافني. حين تبدأ بأخذ الجنس على محمل الجد، من المدهش ما يمكن أن تقوم به عندها. لم نكن نمارس أي شيء يمكن نعته بالشذوذ، لكن ذلك كان يترك لنا الكثير من النشاطات ولم نوفر أياً منها، قمنا بها كلها مراراً وتكراراً وبكثير من الإحساس. جعل ذلك تجاربي الجنسية السابقة تبدو أشبه بلهو أطفال.

كانت هذه أول مرة أختبر فيها حباً يقود مباشرة إلى الشهوة. لم أقم من قبل أي علاقة جنسية لمجرد أنني رغبت في ذلك، بل كنت أدع الرجال يضاجعونني وكأنني أسدي لهم معروفاً.

أما الآن، فالأمر مختلف تماماً. كلما كنت ألتقي كاورو كنت أتوسله أن يضاجعني. لم يكن بوسعي السيطرة على نفسي. حتى عندما كنا نمشي في الطريق، كنت أجذبه إلى ممر مظلم بين مبنيين وألقي بنفسي عليه. أقبله في أدنى مناسبة، على أدراج خلفية، في مصعد، في سيارة أجرة. أقتنص أي لحظة عابرة. أقوم بأي شيء معه، في أي وضعية، أينما كان وفي أي وقت. بات الأمر أشبه بهوس حقيقي، آخر نزوة تملكتني.

كنت مدمنة على كاورو. تذكرت تعليق بوغي الساخر: «إن المرأة تقع في غرام أي رجل تجد لذتها معه». ربما كان بوغي يعرف ما يقوله بعد سنوات من التجربة.

أي رجل!

لم يكن كاورو بالتأكيد رجلاً شهماً. الوجه الذي يظهره في العلن كان جذاباً للغاية، غير أن سلوكه في حياته الخاصة كان بغيضاً إلى حد تكاد تتساءل إن لم يكن مزدوج الشخصية. كان مغرماً بنفسه، يتظاهر بالأهمية، غير أنه لا يملك ذرة من المحبة لأي كائن سواه. كما كان في غاية البخل. رجل ليس لديه ما يعطيه، لا من جيبه ولا من قلبه. كان يأخذ لذته حيثما أمكنه ولا يتردد لحظة في جرح مشاعر امرأة.

جعلني مرّة أنتظره في ردهة فندق ثلاث ساعات ونصف. لكنه كلما عاملني بجفاء ازدادت لهفتي إليه. كنت أبقى في انتظاره في دار

العرض وحين يحضر أدعوه إلى العشاء. بدأت أختار ملابسي لترضي ذوقه فتبنيت أسلوب «كوم دي غارسون» الذي كان يفضله. اصطحبته إلى أماكن لم أحلم يوماً بجرّ بوغي إليها، من مطاعم إيطالية راقية وحانات ودور عرض وسينما، وغصت في عالم من الأناقة والثقافة والمثالية الساذجة.

حين لم يكن كاورو متفرغاً، كنت أعوض عن حضوره بمشاهدة أفلام رومنسية وقراءة روايات عاطفية والولوج عموماً في عالم من الرومنطيقية. كنت من قبل أعتبر كل ذلك هراء تم ابتداعه خصيصاً للنساء الحمقاوات، وهأنذا أجد نفسي من هذا الصنف من النساء.

لم يقتصر ولعي على كاورو وحده، بل تملكني هوس بنيويورك، صرت مهووسة بشكل متزايد بتلك المدينة التي كانت مركزاً له. أردت أن أعرف كيف هي الحياة هناك. أردت أن أكون عصرية وكوزموبوليتانية. لم أكن أرغب في القيام بزيارة خاطفة إلى بلد أجنبي لقضاء عطلة لبضعة أيام فقط، بل كنت أريد أن أعيش في البلد فترة كافية حتى أتقن الإنجليزية بطلاقة إلى حد أن أصبح قادرة على التحدث بهذه اللغة وكأنها لغتي الأم.

ربما كان السبب الرئيسي الذي جعلني أغرم بكاورو إمكانية أن يأخذني إلى مكان ممتع. كان يسهب في الكلام عن رحلاته في استكشاف الفن والثقافة، إلى الكاريبي وأميركا اللاتينية ومواقع نائية من أفريقيا وصولاً إلى الهند والصين. كنت على يقين بأنه يتباهى، لكن كم كانت عيناي تلتمعان حين يسترسل في قصصه تلك!

كم يمكن أن تبعث مثل هذه الحياة إحساساً بالاكتمال، وكم تكون

مسلية أيضاً! إن كان شخصان يتشاطران القيم ذاتها، لا حاجة عندها إلى أن يخفي أي منهما مشاعره الحقيقية من باب المراعاة للآخر، بل يمكنهما الاستمتاع معاً بكل شيء.

هذه كانت حالنا أنا وكاورو. كنا نحب الأفلام ذاتها والمطاعم ذاتها. سواء كان فيلماً فرنسياً في سينما تجريبية أو معرضاً في غاليري للفن الحديث، كنا نتجاوب معه بالطريقة نفسها. كان الأمر مختلفاً تماماً عن علاقتي مع بوغي! لم أنجح مرة في حمل بوغي على دخول إحدى دور العرض، والأفلام الوحيدة التي كانت تعجبه كانت أفلام اللصوص. وحتى في هذه الحالة، كان ينبغي أن تكون حبكة الفيلم بسيطة للغاية، إذ أن فيلم لصوص له أبعاد فنية مثل «حدث ذات مرة في أميركا» سوف يجعله يغفو مباشرة، فيتردد دوي غطيطه في أرجاء السينما.

كان يذهب كل نهاية أسبوع إلى السباق، سواء سباق الخيل أو سباق الدراجات، وحين يخسر يعود إلى المنزل باكراً ويتمدد في السرير ساعات طويلة يأكل بنهم ويقضي سكره ويشاهد التلفزيون أو فيلماً ما عن الياكوزا. الآن بعدما بدأت أخرج مع كاورو، بدا لي نمط حياة بوغي الخمول عقيماً وبلا معنى إلى حد مذهل. هل سأقضي حقاً حياتي بكاملها معه على هذا النحو؟ في هذه الحالة، ستكون الحياة أطول مما يمكنني احتماله.

*

كان هوسي بكاورو لذيذاً، لكنه في بعض الأحيان مؤلم. حين التقيت بوغي كنت ناضجة وكان بوسعي أن أفصح عما أريده دون أن أخشى

إزعاجه. أما كاورو، فهو سيئ المزاج للغاية ويترتب علي أن أحترس في اختيار عباراتي حين أكلمه، وإلا ثار غضبه. كان يمكن أن ينشب شجار بيننا في لحظة، ويكون الأمر مزعجاً جداً لنا كلينا. ربما هذا ما جعل حياتنا الجنسية متقدة إلى هذا الحد. «الشجار يعزز الوفاق». كان ذلك من الأمثال اليابانية القديمة التي بدت لي فجأة ذات مغزى على الرغم من كل شيء. قد يكون الشجار في الواقع مفيداً لعلاقة غرامية.

كان الأمر مع بوغي مختلفاً تماماً. «صحيح سايا، أنا وأنت نتفق تماماً».

الواقع أننا كنا نتفق أكثر مما ينبغي. لم نتشاجر يوماً حول أي موضوع. ربما كان يفترض أن يكون والدي وليس عشيقي. كنت لا أزال فتاة في التاسعة عشرة حين التقيته. أربع سنوات مرت لم أعر خلالها المسألة اهتماماً، لكنني الآن صرت امرأة ناضجة ولم أعد أكتفي بالاحتماء في حضن والدي.

على الرغم من ذلك، لن يكون من السهل الانفصال عن بوغي وكسب معيشتي بنفسي وإقامة علاقة مع كاورو وحده. سيكون الأمر أشبه بمغادرة حمام دافئ والخروج عارية في صقيع الثلج. لم يكن «التسامح» من الكلمات الواردة في قاموس كاورو.

كانت علاقتي بكاورو أشبه بلعبة الجبال الروسية. لم أكن أهوى الجبال الروسية من قبل لأنها ترعبني، لكن الخوف تحول الآن إلى نشوة. كنت لا أزال خائفة، لكنني على الرغم من ذلك أرغب في مواصلة اللعب. كان التغيير في داخلي يخيفني أيضاً.

رحت أتصور ما يمكن أن تكون عليه حياتي مع كاورو. الواقع

أن الأمر كان مجرد حلم، لكنني على الرغم من ذلك أخذت أفكر كم سيكون رائعاً أن أصبح مستقلة عاطفياً واقتصادياً وأعيش حياة مثقفة لها معنى. كنت أحلم بحياة أكون فيها على قدم المساواة مع رجل ويكون وجودي أكثر إبداعاً ومتعة، ولو أنني حتى الآن لم أتجاوز تبعيتي المادية والمعنوية لبوغي.

هذا لن يتحقق طالما أنني مع بوغي. لن أتخطى أبداً جحيم التبعية والاعتماد على الآخر. جسدي سوف يشيخ لكن نفسي ستبقى إلى الأبد متوقفة عند سن التاسعة عشرة. لم أكن أقوى بكل بساطة على احتمال هذه الفكرة.

*

لكن أن أصبح امرأة مستقلة لم يكن يقتصر على ارتداء ملابس جاهزة من ماركة «كوم دي غارسون». أردت تحقيق استقلاليتي من خلال العمل في المجال الثقافي، لكن أي فرصة لم تسنح لي على هذا الصعيد وانتابني قلق متزايد.

أتممت دورة كتابة السيناريو التي استمرت ستة أشهر دون أن أشعر بأي رغبة في التعمّق أكثر في هذا الحقل. لم يكن ذلك مدهشاً إذ أنني التحقت أساساً بهذه الدورة بناء على توصية صديقة.

كلما كان يخطر لي القيام بمشروع جديد، كنت أبتدع اعتراضات شتى أخرجها من لاوعيي حتى أستمر في كسلي، وفي نهاية الأمر كنت أفقد كل حماستي. حين تعيش حياة من الخمول التام، يخيل لك أن في وسعك القيام بأي شيء إن صممت عليه، لكنك تشعر في الوقت نفسه

بأنه ليس هناك في العالم مهنة يمكنك إتقانها. ومهما بلغ يأسي، كان بوغي دائماً إلى جانبي لمواساتي.

كان يقول لي «حتى لو لم يكن لديك أي شيء آخر، معك بوغي رجلك. هذا يكفي، أليس كذلك؟ إفعلي فقط ما يحلو لك يا حبيبتي. ليس عليك أن تبحثي عن أي شيء تقومين به إن لم يكن هذا ما ترغبين فيه».

لكنني على الرغم من ذلك كنت أشعر بالهلع. لن أتمكن من إخفاء علاقتي مع كاورو إلى الأبد، وبينما كنت أحلم باستمرار بحياة مثالية واصلت حياة غير مرضية مع بوغي. كنت بائسة. وفضلاً عن كل ذلك، كان الاقتصاد يواصل غليانه وقد بات على شفير الانفجار، ومع تدفق المال بات بوغي يشبه اللصوص أكثر من أي وقت مضى.

كانت طاولة ضخمة مصنوعة من بلاطة رخام واحدة لا بد أنها كلفت ملايين الينات، تتوسط الآن مكتبه في حي غينزا، في حين كانت الجدران مكسوة بنجد باهظة الثمن وعديمة الذوق. أما شقتنا، فيتصدرها تلفزيون ضخم حجم شاشته أربعون إنشاً اشتراه من رجل يعرفه كان يبيع أثاثاً ومعدات لشركات أفلست. كان بوغي يجلس معظم الوقت مسمراً أمام تلك الشاشة العملاقة يشاهد برامج رياضية وسباق خيل وأفلام مافيا يابانية. صرت أرى بوضوح متزايد وأليم الهوة القائمة بين أذواقنا، هوة تتسع لتصبح صدعاً لا يمكن رأبه.

واصلت الجلوس خلف مكتب الاستقبال في الغاليري، لكنني بدأت كتابة مقالات قصيرة للمجلة الفنية التي تصدرها الشركة. لم يكن هناك أي إمكانية لكسب معيشتي من الكتابة، لكنني كنت على استعداد

لمحاولة أي شيء. كنت أنتظر بفارغ الصبر اليوم الذي أصبح فيه مثقفة ومستقلة، امرأة تليق بكاورو. كان ذلك ما يحفّزني في نضالي لتحقيق حياة خاصة بي.

تلك الأنا الجديدة كانت أشبه بطفل أوقظ بشكل مفاجئ. ذلك الرجل الأصلع والمشعر أيقظني من نومي الهانئ العميق وبعث فيّ كل تلك الأفكار الغريبة عن نفسي، والآن صرت على وشك أن أنفجر بالبكاء. كنت لا أزال أتوق لمص إبهامي والاحتماء في حب بوغي الدافئ، لكن كاورو جعلني لا أطمئن لهذه الرغبات الطفولية. كانت مشاعري تبتعد أكثر وأكثر عن بوغي، وكان هذا الإحساس مخيفاً.

كنت أعود أحياناً إلى المنزل من أحد مواعيدي الملتهبة مع كاورو، لأجد بوغي في المنزل وقد عاد باكراً. كنت أعانق بطنه الضخم الدافئ وأداعبه وأقرصه، وأنعم ببعض الأمان إلى جانبه. هو الشخص الوحيد في العالم الذي يدعني أبقى طفلة. لكن بمعزل عن التعقيدات العاطفية، كانت هناك أسباب عملية تجعل من الصعب علي قضاء وقت مع بوغي.

إضافة إلى كتابة المقالات الصغيرة في وقت فراغي، كان يترتب علي الحضور إلى الغاليري في الساعة العاشرة كل صباح. أما في الليل، فكنت أنصرف إلى نشاطاتي الاجتماعية. وحين يعود كاورو من نيويورك، كان يترتب علي تخصيص بعض الوقت للهو بلعبتي الجديدة. لم تكن كل هذه المشاغل تترك لي أي متسع من الوقت، تماماً مثل رجل أعمال مضنى. وحين أعود إلى المنزل أكون منهكة.

وعلى الرغم من ذلك، كان المنزل يضاء قرابة الساعة الثالثة أو الرابعة

صباحاً وأسمع «حبيبتي، لقد عدت. أين العشاء؟»

في تلك اللحظات كنت أود أن أقول «أحضر عشاءك اللعين بنفسك! عليّ أن أذهب إلى العمل غداً وأحتاج إلى بعض النوم!» لكنني لم أكن أكسب معيشتي بنفسي، ولم أكن بالتالي في موقع يسمح لي بالاحتجاج بمثل هذه النبرة الشديدة. كما لم يكن بوسعي أن أقول لبوغي إنني بحاجة إلى الاستراحة لاستجماع قواي قبل موعدي المثير المقبل مع كاورو.

بالطبع، لم يكن عملي يعني شيئاً لبوغي، بل كان بنظره مجرد وسيلة مفيدة تسمح لربة منزل متفرغة بقضاء الوقت. أما نشاطاتي الاجتماعية، فلم تكن بالنسبة له من فئة العمل، بل مجرد لهو. كنت مستاءة من بوغي لكونه لا يفكر سوى بما يناسبه، دون أن يخطر له مرة أنني قد أكون ملتزمة أنا أيضاً ببرنامج معين. لكنه يترتب علي تقبل الأمر طالما أنني لا أجني ما يكفي من المال لإعالة نفسي.

كنت أخجل من ضعفي، لكنني كنت على الرغم من ذلك أفرك عيني النعستين وأنهض مرغمة لأعد بعض الأطباق ثم أحملها إليه فيما هو ممدد في السرير. كنت أشعر باستياء شديد لانتهاك حقوقي بهذه الطريقة. وفي إحدى الليالي، أطلقت العنان لنقمتي وبدل أن أضع عوديه الخشبيين على صينية العشاء ألقيتها داخل الطعام. غير أن بوغي فاجأني ولم يغضب.

«هاي! لقد ألقيت هذين العودين في الطبق!»

«لم أفعل، بل سقطا من يدي».

خرج مني هذا العذر تلقائياً دون أن أفكر. وبكل الأحوال، لن أذهب بعيداً إن حاولت أن أعظ بوغي في حقوق الإنسان. قد يكون

للفتيات بنظره وجود ما، لكن من المؤكد أنه ليس لهن أي حقوق.

«حسناً، من الأفضل أن تكون هذه الحقيقة!»

كانت هذه آخر كلمات تفوه بها قبل أن يغفو دون أن يمس الطعام الذي أعددته له.

وقفت في مكاني والغضب يغلي في عروقي. كان يجدر بي أن أتوقع ذلك. لا بد لبوغي أن يكون النجم في أي وضع كان، والناس من حوله ليس لديهم بنظره حياة خاصة، بل يفترض بهم أن يسلموا أمرهم له وأن يكون شغلهم الشاغل الوحيد.

لا يمكنني القول إن بوغي لم يكن منطقياً البتة، فكان يتكفل بكل حاجات الآخرين الاقتصادية حتى يتفرغوا لصب اهتمامهم عليه، وهذا تحديداً الأسلوب الذي كان يتبعه معي. لم يكن يريدني أن أعيش حياة خاصة بي وأهتم به في أوقات فراغي فقط، فكبرياؤه لا يسمح بذلك. كنت أعتقد في الماضي أن سعادة المرأة تكمن في العيش إلى جانب رجل مثله. أما الآن، فبدأت أمتعض من تبعيتي له.

حين تقع مصيبة، تتعاظم وتأخذ أبعاد كارثة حقيقية. كان ذلك عام 1987، وفي التاسع عشر من أكتوبر، انهارت بورصات العالم. سدد ذلك الاثنين الأسود ضربة قاسية لبوغي، وعاد من جديد يسألني إن كنت على استعداد للموت معه، وإلى ما هنالك. سئمت هذا الوضع برمته. فطالما أنه يعمل في مجال المضاربات في البورصة، هذا يعني أن مزاجه سيبقى متقلباً على هذا النحو. وكلما حصل ذلك تملكني القلق، بل توجب علي أن أكون جاهزة للموت.

لم يعد الأمر محتملاً، إذ كان يتحتم علي بصفتي زوجة بوغي، أن

أضع حياتي نفسها بين يديه بالمعنى الحرفي للعبارة. لم أكن أرغب إطلاقاً في أن أموت عن قريب.

كنت أعتقد في فترة ما أنني مستعدة للموت معه، لكن تلك الفترة ولّت الآن. فحينما لا تسير الأمور على ما يرام، هل نستسلم يائسين وننتحر؟ لا، شكراً! هذا خيار الضعفاء. إذا استطعت أن أكسب ما يكفي من المال لإعالة نفسي، فسوف أتمكن من الخروج من هذا الوضع وسأتفادى أن ينتهي بي الأمر مثل كلب على حافة الطريق.

عادت الأسواق المالية إلى النهوض مجدداً بعد فترة.

*

قال مرة في عطلة نهاية الأسبوع «رباه، كم أنني متعب. تعالي نذهب إلى منتجع للمياه المعدنية الساخنة!»

قرر بوغي بحماسته الاعتيادية أن نزور فندقاً فيه حمامات مياه ساخنة كنا نزوره من وقت لآخر في جبال أيزو. وكالعادة، لم يكترث ليسألني إن كان ذلك يناسب برنامجي. كان عليّ أن أسلم مقالاً يوم الاثنين وكنت أعول على ذهاب بوغي كعادته إلى السباق في نهاية الأسبوع حتى أتمكن من إتمام عملي.

لم يكن بوسعي أن أرفض الذهاب، لكنني أبديت احتجاجي الصامت من خلال حمل حاسوبي معي في الرحلة. وبعد الاستحمام في المياه المعدنية في المنتجع، لففت منشفة حول رأسي وأخرجت الكمبيوتر.

«ماذا تظنين أنك تفعلين؟»

أخذت نفساً عميقاً، أعدت الكمبيوتر إلى حقيبته، مشطت شعري

وجلست لتناول كأس من الساكي مع بوغي.

فكرت في نفسي «لم أعد أحتمل الأمر».

تناولت كأساً مع بوغي على الرغم من أنني لم أكن في مزاج مؤات لذلك. في الماضي حين كنت متفرغة، كنت أستمتع دائماً بتناول كأس مع بوغي، أو على الأقل كنت على استعداد للقيام بذلك. أما الآن، فصرت أكره القيام بأي شيء يمكن أن يشكل لي أي إزعاج لمجرد إرضاء شخص آخر.

بدأت أتحدث عن الانفصال عنه.

غير أن الكلام كان أسهل من التطبيق. كنا نعيش معاً منذ ثلاث سنوات ونصف وقد أقمنا للتو حفل زفاف وشكلنا ما يشبه عائلة. وبمعزل عن الناحية العاطفية، كان هناك مشكلات عملية. فبوغي بحاجة إلى امرأة متفهمة تعتني به، فيما أنا أحتاج إلى أموال بوغي.

فكرت وأنا أطلق تنهيدة حزينة فيما أدقق في كشف حسابي المصرفي «هذا لا يكفي إطلاقاً لضمان معيشتي». لم أكن أكسب في الشهر ما يكفي لتمويل جولة تسوق واحدة، ناهيك عن الحاجات المعيشية. شعرت بإرادتي تتلاشى كلياً وأنا أنظر إلى تلك الأرقام. وبدل أن أستجمع شجاعتي وأترك بوغي، قمت بما أقوم به عادة: واصلت خداع نفسي والقيام بمناورات نفسية لتفادي التأمل في حاضري. وبما أن التفرغ يجلب الأفكار السوداوية، فقد تقصدت الانهماك في العمل. اتبعت دروساً مكثفة في اللغة الإنجليزية، فتخليت عن ربة المنزل الأميركية المحلية التي كانت تدرسني، مفضلة الانتساب إلى مدرسة تفيدني أكثر في مجال العمل ويمكنني الذهاب إليها كل ليلة. كتبت بعض سيناريوات

الأفلام وطرحتها في مسابقات دون أن أصل بها إلى مكان.

كنت أشعر بوطأة الوقت. لم أشعر يوماً بأي حماسة في القيام بعملي، إذ إن مستواي المعيشي لم يكن على ارتباط بنشاطاتي. وهذا يعني في المقابل أن أحداً لم يكترث للتعاقد معي، فبقيت أشعر بثقل كل هذا الوقت الفراغ. كان يراودني على الدوام كلام رددته لي والدتي.

«إن امرأة مثلك لن تحسن أبداً القيام بأي وظيفة. بالله عليك سايا، أنت لا تقوي حتى على الخروج وشراء أحمر شفاه لنفسك. يجدر بك أن تنسي الأمر».

كنت أنحدر وأوشكت على ملامسة القعر. شعرت بالإحباط إلى حد بات يصعب علي الخروج من السرير. وحين كنت أفتح عيني كانتا مغرورقتين بالدموع.

بات واضحاً أنه يترتب علي أن أترك بوغي، مهما كان الأمر شاقاً علي. وإلا، فلن أتمكن من القيام بأي شيء. إن بقيت معه، فسوف أحمل معي إلى القبر هذا الإحساس الغامض بعدم الاكتفاء، هذا التوق إلى أمر لا يمكنني تحديده، سوف يرافقني ذلك الإحباط دون أن يكون بيدي حيلة.

كان علي أن أنفصل عنه. ذهبت إليه والدموع في عيني وطلبت منه مرة جديدة أن يدعني أرحل.

«لا يمكنني تدبر أمري دونك. سبق وقلت هذا لك، أليس كذلك؟ فقط إبقي معي، ويمكنك القيام بما يحلو لك. ما يجعلك تشعرين بالإحباط هو الجلوس كل هذا الوقت في البيت. إليك هذا المبلغ من

المال، اذهبي وروّحي عن نفسك به. سوف تكونين أفضل حالاً بعد قليل من التسوق». بينما كان يتكلم، وضع الرزمة الاعتيادية من الأوراق المالية المدعوكة، ربما مئتي ألف ين أو ما يقارب، على المنضدة الصغيرة إلى جانب سريري وخرج.

فكرت في نفسي «إنه لا يفهم الأمر بكل بساطة».

كلما كان حزني يشتد، كان بوغي يعاملني برقة متزايدة. كان يصطحبني في نهاية كل أسبوع إلى فندق فخم يدعوه «الخدمة العائلية»، تماماً مثلما يتحدث العمال ذوي الأجور عن اصطحاب أطفالهم إلى منتزه ديزنيلاند. كان الأمر كما في الماضي تماماً، حين كنا فارين من ماماسان حي غينزا، غير أن أحداً لم يكن يطاردنا هذه المرة.

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد، بل كان يكلف نفسه عناء ارتداء ملابس تليق بالمناسبة. كان يقول «من الجيد أن يرتدي زوجان ملابس أنيقة بين الحين والآخر للسهر». كان يحضر إلى بار الفندق مرتدياً بدلة رسمية رزينة. كان سلوكه مختلفاً تماماً عن أسلوبه الاعتيادي، حيث كان يرتمي على السرير في سرواله الداخلي بعد لحظات على دخولنا غرفة الفندق.

أخذ بوغي أيضاً يحيطني بكثير من الاهتمام والرعاية في ليالي الأسبوع، وكأنه يسعى لبداية جديدة في حياتنا الزوجية. يجعلني أرتدي أجمل ملابسي ويرافقني إلى مطاعم باهظة إلى حد سخيف، وكأنني أميرة.

صرنا نتردد بانتظام على فندق سايو بعدما كان في الماضي مخصصاً لمناسبة عيد ميلادي. أحياناً أيضاً كنا ننزل في جناح في

فندق أوكورا الذي يفوقه فخامة ونحتسي شمبانيا دوم بيرينيون دون أي مناسبة خاصة مثل عيد الميلاد. غير أنني لم أكن أشعر بأي شكر لبوغي.

كان الأمر يصل إلى حد أن يقوم أحد العاملين في قاعة التدليك في فندق أوكورا بغسل جسدي، دون أن أكون مريضة أو عاجزة. لكن حين تعامل فتاة عادية مثلي وكأنها أميرة لم تضطر يوماً إلى الاغتسال بمفردها، فإن ذلك يبعث إحساساً غريباً ومزعجاً.

كلما ازداد هذا الترف العبثي، ازددت تعاسة وبؤساً. فأنا أحصل على كل هذه الأمور الجيدة دون أن أقوم بأي شيء حتى أستحقها. كنت أتأنى بمظهري وأعتني بجمالي فقط لإرضاء بوغي والإفادة من سخائه وحنانه. لم أعد أرى أي جدوى في طريقة العيش هذه.

وبقدر ما كان حزني يزداد، كان بوغي يزداد شبقاً. في فترة ما كنت أتحرش به بنفسي وأستثيره، لكن الوضع انعكس تماماً الآن. كان يقول في الماضي إن الجنس لا يهمّه، وها أنه الآن يعلن بأعلى صوته «اليوم يوم المضاجعة!» ثم يقلبني على السرير. وإن حاول التقرب مني بطريقة أكثر خفراً ورقّة، كنت أتظاهر بأنني لم ألاحظ مناورته، فيدع الأمور على حالها، لكنه يجعلني أدفع الثمن في صباح اليوم التالي.

«كنت تعلمين جيداً أنني كنت أرغب فيك الليلة الماضية. لماذا رفضت؟ أما عدت تحبينني؟»

كان الأمر يتكرر إلى ما لا نهاية. بل كان يسوء في بعض الأحيان، حين يرمقني مطولاً بشوق ويدع عيناه تهيمان على جسدي وكأنه يلعقه بهما، ثم يبدأ الكلام بنبرة ملؤها الشهوة.

«همم، إنك مثيرة للغاية هذه الأيام. حصلت على حبيب جديد، أليس كذلك؟»

«ما... ماذا؟»

بدأ بوغي يشعر بشيء مريب يجري في الخفاء. لم يكن الأمر مفاجئاً. ففي سعيي للخروج من إحباطي، كانت أفكاري كلها تبقى مشدودة إلى كاورو، الرجل الذي أحب. تصورت أنه سبيلي إلى الخروج من مأزقي. كنت أقضي معه الكثير من الوقت في رحلاته المتكررة إلى طوكيو، وكانت علاقتنا تزداد قوة وعمقاً سواء عاطفيا أو جسدياً.

كانت حياتي شبيهة بحياة مومس هرمة متعبة. كنت امرأة للمتعة بنظر الرجال، واستمتاعهم معي كان الدليل الوحيد، إن أمكن اعتباره كذلك، على أنني ما زلت موجودة.

حتى لو لم يكن مزاجي الآني ميالاً إلى الجنس، لم يكن هناك أي مبرر محدد للرفض إن كانت رغبتهما في ذلك قوية. لقد تخليت وسط إحباطي عن كل شيء، العمل، دروس اللغة الإنجليزية، كل شيء. لم يكن لدي ما أفعله إطلاقاً، لا غداً ولا بعد غد. كان شغلي الشاغل الوحيد أن أبقى في الفراش ويضاجعانني.

لا يمكنني القول إنني كنت أكره بوغي، لكنني لم أكن أرغب في الانفصال عن كاورو. ولو أتيح لي الخيار، لفضلت الذهاب إلى الفراش مع كاورو، لكنني لم أكن أمانع ذلك مع بوغي. كنت على يقين بأن حياتي وصلت إلى القعر، والحل الوحيد أمامي كان ممارسة الجنس بشغف مضاعف. لم أكن أنسى همومي إلا وأنا أمارس الجنس.

ما الذي تصورته حين بدأت أخرج مع كاورو؟ كنت أعرف جيداً أنه لن يكون في وسعي مواصلة حياتي كما هي، لكنني كنت على يقين بأنني أفتقر إلى الجرأة والقوة والتصميم للخروج منها من تلقاء نفسي. وبعدما تذوقت طعم الترف المطلق في طوكيو، كنت أشك في قدرتي على التأقلم مع حياة عادية في اليابان. كنت بحاجة إلى تغيير كامل، إلى بداية جديدة. لذلك كنت آمل أن يصطحبني كاورو إلى نيويورك.

«خذني معك حبيبي، لنهرب معاً». هاه! كانت تلك أشبه بلازمة إحدى الأغنيات العاطفية المبتذلة القديمة.

كان كاورو يرفض اصطحابي إلى نيويورك. قال لي «يجدر بك ألا تثقي بي. إنني عديم المسؤولية أكثر مما تعتقدين بألف مرة. ما أفعله معك هو الحقارة بعينها، لكنه لا يسعني تمالك نفسي. ماذا عساي أفعل؟»

كان يتكلم دائماً بتلك المرارة الطفيفة.

أردت الانفصال عن بوغي، لكن كاورو لم يدعني أفعل. كنت أشبه بحيوان أليف، كلب أو هرة. لم يكن لي وجود بحد ذاتي، أو بالأحرى، لم يخطر لي حتى أن أقوم بأي شيء من تلقاء نفسي.

«يمكنك الفلاح إن حاولت وأبديت تصميماً كافياً». كانت تلك أشبه بلازمة وطنية في اليابان، لكنني لم أشعر يوماً كذلك. ماذا لو مرضت؟ ماذا لو تعرضت لحادث؟ ماذا لو نفد مني المال؟ وحين تخطر لي مثل هذه الأفكار، ينتابني الهلع ولا أعود أجرؤ على الخروج.

حتى لو أصبحت كسيحة عاجزة عن مغادرة فراشي، فإن بوغي هو الشخص الوحيد الذي لن يتخلى عني. كانت تلك الفكرة توقفني كلما حاولت تركه. أما كاورو، فسوف يفارقني في طرفة

عين.بمجرد أن ينفد مني المال.

كنت أثق ثقة كاملة بحدسي فيما يتعلق بالحكم على الآخرين، لكنني كنت عاجزة عن فهم نفسي. كل تلك السنوات التي قضيتها أتجنب التفكير في ذاتي قادتني إلى هنا.

*

كان ثمة سبب آخر لإحباطي. كان بوغي على تواصل مجدداً مع ولديه ويكلمهما بانتظام عبر الهاتف. كانت ابنته البكر تعتزم القدوم إلى طوكيو للالتحاق بمدرسة صيفية تعدّها لامتحانات الدخول إلى الجامعة، وقد عرض عليها أن يجد لها مسكناً في طوكيو، وكان من الواضح أنه مسرور بمساعدتها. حين كان يكلم ولديه على الهاتف، كان علي أن أبقى صامتة ولا أصدر أي صوت. فابنة بوغي تعتقد أنه يعيش وحيداً.

اقترحت عليه بخبث «إن كانت تعني لك الكثير، لم لا تدعوها للإقامة معك؟ سوف أرحل وأجد لنفسي مكاناً أبقى فيه لوحدي».

أخذ بوغي هذا الاقتراح من باب المزاح. «بصراحة سايا، أنظري إلى نمط عيشي! هل هو مناسب لتنشئة ابنة؟»

لم يكن الأمر طريفاً بنظري. شعرت بالحزن يعصر قلبي. بدا لي فجأة أنني فقدت نصف مكانتي في حياة بوغي. كان يقول لي إني كابنة له، والآن وقد بات لديه ابنة حقيقية تشغل باله، لم أعد سوى مجرد امرأة كسواي. إن رابط الدم بين الأهل والأطفال رابط حصري يقصي الدخلاء. فكرت «علي أن أبني عائلة لي عاجلاً أم آجلاً، وإلا

بقيت طوال حياتي بائسة».

تملكتني تلك الفكرة فبنيت كل أحلامي على كاورو ودفعت بعلاقتنا بأقصى وأسرع ما أمكنني. تحولت مواعيدنا الباكرة بعيد الظهر إلى لقاءات مطولة لليلتين أو ثلاث ليال. كنت أدّعي بوقاحة أنني ذاهبة مع ميناكو فأقصد مكاناً ما مع كاورو لقضاء نهاية أسبوع من الشبق والجنس أو كنا نهرب معاً وسط الأسبوع. وحين يبقى بوغي وحيداً كان ينزل في فندق أوكورا الذي أضحى بمثابة بيت ثان له.

بعد ثاني رحلاتي السرية تلك، قصدت فندق أوكورا للانضمام إلى بوغي. وجدت خارج الباب صينية عشاء من الليلة الماضية عليها زجاجة دوم بيرينيون فارغة وبعض أطباق المقبلات لم يؤكل إلا نصفها، وكأس شمبانيا عليه آثار أحمر شفاه.

لم يصدمني الأمر كثيراً. في الواقع اعتبرته طبيعياً. كنت أعرف جيداً أن بوغي لا يحتمل البقاء وحيداً ليوم واحد. كان ذلك محتوماً، لكنه لم يمنعني من مواصلة علاقتي مع كاورو. يعني أننا متكافئان بشكل من الأشكال. فقد اكتسبت هذا المنطق الفطري في الأمور في مرحلة ما من حياتي.

دخلت الغرفة. كان بوغي ممدداً يقرأ الصحيفة في السرير وكأن شيئاً لم يحدث. بدا واضحاً أنه لم يخطر له أن الخادمة لم تقم بجولتها لجمع صواني العشاء قبل وصولي. كان ذلك جلياً في لامبالاته.

«مرحباً، لقد عدت!»

«آه سايا! ها أنت. كان بوغي يعاني من الوحدة، أتعلمين؟»

ضاجعني بشكل سريع من باب الترحيب.

عاد بوغي إلى النوم بعدها فيما قصدت مركز التجميل في أسفل الفندق. كنت أنوي قص شعري قصيراً. فقد انتقد كاورو مظهري في إحدى مواعيدنا.

«شعرك طويل جداً. ولا تعجبني قصة الخصلة على جبينك، كيف تنبثق خارج التسريحة على هذا النحو. تبدو غير متسقة مع شعرك».

كان على حق. فقد تركت شعري طويلاً لإرضاء ذوق بوغي، في حين أنني منذ صغري كنت أقصه قصيراً وكان يناسب وجهي.

كان ذلك أسلوبي الخاص في مواصلة حياتي: أجعل نفسي أظهر بالشكل الذي يعجب الرجال، أجعلهم يظنون أن هذه طبيعتي، وأعزي نفسي بخداعهم. لم يكن بوسعي القيام بأي شيء بشكل مباشر وصريح، بل عليّ في كل مرة سلوك الطريق الملتوية والطويلة لتحقيق مبتغاي. إنني حقاً حالة يائسة، لكن يبقى في مقدوري على الأقل أن أرفع معنوياتي بمجرد قصة شعر وتسريحة جديدة.

لم يكن لدي الجرأة الكافية لتنفيذ ما كنت أرغب فيه وقص شعري قصيراً مستقيماً، فعمدت إلى حل وسط (كالعادة) واخترت قصة حتى الكتفين وتسريحة مجعّدة. عدت إلى غرفة الفندق حيث كان بوغي يقرأ الصحيفة. ما إن لمح تصفيفتي حتى رمى الصحيفة على الطاولة وراح يزعق.

«من قال إن في وسعك قص شعرك؟ ما معنى هذا؟ تبدلت مشاعرك، أليس كذلك؟»

وقف مسمراً بلا حراك، صامتاً. فكرت في نفسي «إن امرأة تعجز عن كسب قوتها لا يحق لها قص شعرها»، لكنني لم أقل كلمة.

صاح بوغي «حسناً! طفح الكيل! انتهى كل شيء بيننا!»، واندفع خارجاً من الغرفة.

لم أتفاجأ، بل أطلقت تنهيدة ارتياح. أخيراً، صرت حرة! كان ذلك الطير الأسير ينظر إلى باب مفتوح.

*

عدت إلى الشقة في أزابو جوبان، أطعمت القطط وبدأت أجمع أغراضي. في هذه الأثناء رنّ الهاتف. كان ذلك كاورو، فأخبرته بما جرى.

«حسناً، لاقيني حالاً».

لقد استغرق الأمر بعض الوقت، لكن كاورو بدأ يظهر قليلاً من الصدق في تعاطيه معي وكان ذلك يسعدني. كنت أود أن أعتقد أنني لم أغرم به وحدي بل أن كلانا وقع في غرام الآخر. كنت في مزاج جيد. ارتديت ملابس أنيقة وتوجهت إلى المقهى الذي حدده لي. نجحت في الانفصال عن بوغي والآن كان كاورو سيصطحبني بالتأكيد إلى نيويورك.

تبين لي أن كاورو كان يفكر في الواقع بطريقة عملية وباردة إلى حد مدهش.

«سايا، أود منك أن تبقي في طوكيو لمزيد من الوقت. سوف أعود إلى نيويورك الشهر المقبل، لكنني سأنهمك في بادئ الأمر في تأسيس المكتب وما يتصل بذلك، ولن أستطيع التفرغ لك لفترة».

«لكن سيتوجب علي استئجار شقة لي، وأفضل استئجار شقة في

نيويورك وليس في طوكيو. الشقق في طوكيو ضيقة وباهظة».

«عودي إلى والدتك. امكثي عندها فصل الخريف فقط. لن يضرك الأمر».

«أعود إلى أمي؟ كيف يمكنني ذلك بعد كل ما حصل؟»

تناقشنا لبعض الوقت بعيداً عن أي انفعال. كنا نناقش أمراً بالغ الأهمية بالنسبة لنا نحن الاثنين، لكننا كنا نحافظ على هدوئنا بشكل يثير العجب. بات في وسعنا أخيراً أن نحب بعضنا ونهتم بهذه العلاقة دون أن نشعر بأي ذنب حيال أحد، وكان هذا يسعدني.

الشهوة أمر فظيع. كنا عائدين للتو من نهاية أسبوع من الجنس، وكان حزن انفصالي عن بوغي آخر ما يشغل بالي. قصدنا فندقاً للعشاق وعاودنا الكرة هناك. عدت فجراً إلى الشقة في أزابو جوبان ظناً مني أنها ستكون خالية.

ما إن دخلت حتى لاحظت بقايا وجبة مطعم صيني قرب السرير وإلى جانبها رسالة سميكة. كانت من بوغي. كان خطه الأنيق يعجبني. أذكر ليلتنا الأولى معاً في فندق الأمير أكاساكا، كنت أراقبه يوقع استمارة الحجز. قلت لنفسي حينها «أجل، إنه رجل ناضج رائع».

لكنني الآن أنظر إلى خطه بعين باردة لامبالية. كانت رسالة طويلة مشوشة، مليئة بالندم والأعذار والأسى. فرغت من قراءتها دون أن أشعر بأي حاجة للرد عليها. تمطيت على السرير. لم يسبق لي أن تلذذت إلى هذا الحد بالتمدد وحيدة في فراش بارد. ربما لم أعد بحاجة إلى بوغي.

لم يمض على نومي سوى ساعة أو ما قارب حتى رن الهاتف يستدعيني إلى فندق أوكورا.

قال بوغي «أظن أنني أعرفك أكثر من أي شخص آخر، وليس لدي أي نية في الانفصال عنك. أنت بحاجة إلى بعض الوقت للتفكير في حياتك، أليس كذلك؟ لن أعترض طريقك. سايا، أنت الوحيدة التي أحبها. أنت خلاصي. سأبقى هنا في أوكورا، هكذا ستكون الشقة لك، اتفقنا؟ إنني بحاجة إلى من يساندني. لن أتزوج أي امرأة أخرى. سوف أعطيك كل المال الذي تحتاجين إليه، ويمكنك القيام بما يحلو لك. لكن لا تتركيني أرجوك، هذا كل ما أطلبه».

أقنعني بوغي بإعطائه فرصة.

لكن ما الذي يفترض بي أن أفعله وحدي في الشقة؟ فكرت في الأمر بتأمل وبرودة، فوجدت أنني أضل طريقي مرة جديدة. من أنا، ما الذي أريد أن أفعله بحياتي، وأي رجل أحتاج إليه حقاً؟

قال كاورو إنه لا يريدني أن أذهب إلى نيويورك، وعلى الرغم من أنني انفصلت عن بوغي، فلم يكن لدي ما يمكنني القيام به. تلك الحياة المنحلّة العديمة المعنى ربما هي في نهاية المطاف تليق بشخص فارغ تافه مثلي.

عدت إلى الشقة واتصلت بكاورو. سألته «ما الذي يجدر بي القيام به؟»

«بالله عليك، كيف لي أن أعرف؟»

«لكن..».

«الوضع سيئ للغاية. هكذا هي الأمور».

أقفل كاورو الخط بوجهي وقد يئس من ترددي. غرقت في الإحباط والإهمال فقضيت عدة أيام من الكآبة والغموض في

الشقة، وحيدة باستثناء القطط.

ومع الأيام بدأت مشاعري تتبدل. وبعدما بدا لي حبي لكاورو قوياً ونقياً، أخذ يتبدد وعاد إليّ الحنين لبوغي. لم يبد لي أن بوسعي العيش إن لم يكن أحد ما يرغب في. إن من يريدك يكون مثل مرآة ترى نفسك فيها. ودون شخص كهذا، لم يكن لي وجود.

ربما لم يكن يهم في الحقيقة من منهما يرغب بي، طالما أن أحدهما يريدني. هل أن الوقوع في غرام كاورو هو ما جعلني أرغب في ترك بوغي؟ أم أنني سئمت العيش مع بوغي، فذهبت إلى كاورو بحثاً عن مخرج؟ في الوضع الذي كنت فيه، لم يبد لي أي من التفسيرين مجدياً. الأرجح أنني شعرت بالملل، بكل بساطة.

ذات مساء حضر بوغي إلى الشقة وأبلغني بأنه سيبيت فيها لليلة. كانت تلك شقته، ولم يكن بوسعي أن أجادله في الأمر. تناولنا بعض الكؤوس ثم نمنا معاً مثل شخصين غريبين.

استيقظت قرابة الفجر لأجد بوغي جالساً فوقي ويداه تضغطان على عنقي.

«من هو حبيبك، هاه؟ أعطني اسمه وإلا قتلتك حالاً».

شعرت من يديه أنه كان يعني ما يقول، لكنني لم أتفوه بكلمة. ما همني إن قتلني؟ مهما حاولت ومهما فكرت، ينتهي بي الأمر دائماً إلى أن أدور في دوامة. الحياة أليمة، فما الجدوى من العيش؟ شعرت ببوغي يضغط بيديه على عنقي.

«لست أمزح! قولي لي اسمه أو قتلتك!»

كنت مستعدة للموت. لكن فيما كنت على وشك أن ألفظ أنفاسي

الأخيرة، خانني شيء ما في داخلي وسمعت نفسي أتمتم اعترافاً في همس متقطع.

«رجل... يدعى... ناكاتاني... كاورو ناكاتاني».

حاولت الخروج بعذر أخرق غير مجد.

«ليس شخصاً من معارفك!»

فك بوغي قبضته. وحين تكلم، لم يكن الرجل الذي أعرفه. كان صوته خفيضاً متوعداً.

«حسناً، سوف أسوّي الأمر معه. لا أخالط رجال الياكوزا لمجرد المتعة، تعلمين؟ أنت عار لعين علي. مستحيل أن أدعك ترحلين الآن! افهمي ذلك في رأسك البليد».

خرج من الغرفة كالبرق. صحيح أنه طالما كان في أسلوب بوغي ما يشبه رجل الياكوزا، لكنه لم يخطر لي يوماً أنه قد يكون منهم حقاً. وعلى الرغم من ذلك، كان يمكن أن يكون ذلك مشهداً من أفلام الياكوزا التي كان يشاهدها على الدوام. كان يتصرف مثل لصوص الأفلام تماماً.

كنت لا أزال ممددة في الشقة، مذهولة للمنحى الذي اتخذته الأمور، حين اتصل بوغي. لا بد أنه عاد للتو إلى الفندق ولم يسعه الانتظار ليكشف لي المزيد مما يجول في باله. كان صوته مسعوراً وهو يزعق عبر الهاتف.

«بحق الجحيم، من يدفع نفقاتك أيتها العاهرة اللعينة؟ هل فكرت في ذلك؟ لم تمض سنة بعد على زواجنا! هل لديك أدنى فكرة كم أبدو كالأبله؟ سوف تبقين معي تدفعين ثمن ذلك، يوماً بعد يوم! أتعلمين ما أعنيه بذلك؟ إن خطوت خارج تلك الشقة، فسوف أرسل من

يقتلك حيث تكونين. يمكنني قتلك مثل ذبابة، الأمر بهذه السهولة. فهمت؟»

لم أدر ما أقول. «من يدفع نفقاتك»، تلك العبارة كان لها وقع العاصفة في داخلي، وقع أقوى من الخوف من أن يقتلني، ومن نعتي المخزي بالعاهرة.

لم يسعني أن أصدق أن في وسعه قول شيء كهذا. ظننت أن المال الذي كان ينفقه علي كان تعبيراً عن حبه لي. غالباً ما كان يقول «القطط، الشقة، المال، كل هذا لك سايا!» وقد صدقته. وتصديقي له جعلني أكتفي بتلك الحياة الكسولة الهائمة دون هدف.

الحقيقة على الرغم من كل شيء إنني كنت سعيدة إلى أن التقيت كاورو. وما جعلني أجد هذه السعادة وأمرح بحياتي، كان ثقتي بأن بوغي يحبني أكثر من أي شخص في العالم، أكثر من نفسه بالذات.

كنت واثقة من أنه سوف يدافع عني في أي ظرف، مهما حصل له ومهما تغير. لكن تبين في نهاية الأمر أن كل المال الذي هدره علي بسخاء كان مجرد مال، مثل تلك الأوراق النقدية التي كانت تدخل محفظته وتخرج منها. وهذا ما يجعل مني بغياً حقيقية. لا عجب إذاً أن يكلمني على هذا النحو. فقد مارست الجنس مع بوغي من أجل المال. كنت مجرد مومس عادية ظنت مخطئة للأسف أنها ملكة بلاد خيالية.

كانت ركبتاي ترتجفان، لكن ذهني كان صافياً إلى حد مدهش. ذلك الرجل ضللني حتى الآن وجعلني أخال أنني شخص مميز. دللني، حقق لي أدنى نزواتي، أعطاني معنويات عالية، وخلقنا معاً زوجاً وهمياً، بوغي وصغيرته الجميلة التي لا تفارقه سايا. لكنني الآن أرى نفسي على

حقيقتي: بغي عادية يسيّرها المال، توهّمت بأنها تعيش حباً ورضخت لهذه المعاملة المسيئة وكأنها متسولة حقيرة في الشارع.

لم يمض وقت حتى اتصل بوغي مجدداً.

«أعطني رقم هاتف الرجل الذي يملك الشركة حيث كنت تعملين!»

«لكن لا دخل له إطلاقاً في الأمر!»

«اصمتي! ناكاتاني ذاك على علاقة بالشركة، أليس كذلك؟ سوف أبلغ عنه لرئيسه! سأجعله يدفع ثمن فعلته!»

بدا صوته مخيفاً. لم يكن يسعني سوى النزول عند طلبه. ما أن أعطيته رقم مدير شركة «فنون جديدة» حتى اتصلت بالأخير لأحذره وأعتذر منه. ثم اتصلت بكاورو.

«لقد كشف أمرنا وقد يقتلك».

«أنت تمزحين».

لم يكن أحد قبل كاورو تجرأ على لمسي لأن الجميع كان يعلم أنني امرأة رجل من صنف الياكوزا، غير أنه لم يخطر مرة لكاورو أن الأمور قد تؤول إلى ما آلت إليه.

أقفلت الخط وجثمت على ركبتي قرب الهاتف. كان ذهني فارغاً تماماً. ماذا عساي أفعل؟

حلّ الليل ورن الهاتف مجدداً. هذه المرة كان صوت امرأة، صوت أجش ومتكلف.

«هذه أول مرة نتكلم معاً، لكن علي أن أبلغك أنني على علاقة مع السيد هوتا منذ حوالي سنة ونصف».

إذاً كنا أنا وبوغي نلعب اللعبة ذاتها طوال هذا الوقت! لكن سنة ونصف؟ هذا يضعه في خانة مختلفة تماماً عني! كنت أعلم أنه يقيم بين الحين والآخر علاقات عابرة، لكن لم يخطر لي البتة أنه في علاقة مستقرة.

«علمت بما حصل من هوتا. أرجوك أن تعيدي التفكير في قرارك المتسرع وأن تعودي إليه. فهو يحبك حقاً. إن تركته الآن، فسوف تذهب كل معاناتي سدى. تعلمين، حاولت جاهدة أن أجعله يقع في غرامي، لكن قلبه كان على الدوام ينبض لك أنت. والآن وقد خسرك، فهو في حالة يرثى لها. إن عدت إليه، فسوف أقبل بهزيمتي بكل طيبة خاطر وأنهي علاقتي معه».

لم أفهم الأمر. لماذا يتحتم علي في وقت كهذا الاستماع إلى امرأة لم أقابلها من قبل تتصل بي على حين غفلة وتجادلني في شروطها للتخلي عن بوغي وكأنه غنيمة حرب ما؟

قلت ببرودة «أعتقد أن هذا شأني وشأن السيد هوتا، ولا أحد سوانا». تبدلت نبرتها عندها.

«أنت وقحة حقاً! من أين لعاهرة وضيعة مثلك أن تعيش كما تعيشين حتى لو مرّرت عشرة زبائن في اليوم! كل ما تملكينه إنما تملكينه بفضل السيد هوتا! وكيف تعبرين عن شكرك له؟ بالتسكع هنا وهناك ومضاجعة أول فتى جذاب يعترض طريقك!»

بدا لي أن لا جدوى في الرد.

«هل تستمعين إلي؟ إنني أقول لك إنك إن بدلت رأيك وعدت إليه، وإن اعتنيت به كما ينبغي وقمت بالواجبات المنزلية، فسوف أرده لك!»

أقفلت الخط بهدوء. لم أكن أرغب في سماع المزيد. لم نكن على الموجة ذاتها، وكان من المستحيل بالتالي أن نتواصل.

قد تكون امرأة لطيفة. صوتها الرقيق يوحي بأنها امرأة راقية من غينزا لم تعد في ريعان شبابها. تغاضت عن كرامتها من أجل بوغي واتصلت بزوجة الرجل الذي كانت على علاقة معه لتتلو عليها هذه العظة. لكن كفاني عظات من نساء مثيرات أكبر سناً.

أولئك النساء كن يملكن من المال ما لا يدري معظم الناس ما يفعل به. كن يعشن حياة من التبذير والترف ويملكن من الجمال والذكاء ما يضمن لهن الحصول على كل هذه الثروات المادية. كن ينتمين إلى عالم المال. بوغي يعيش في هذا العالم، لكنني خلته مختلفاً. ما زلت على قناعتي بأنه كان حقاً مختلفاً في فترة ما. لكن الناس في نهاية المطاف متلوّنون كالحرباء ويتبدلون للتكيّف مع بيئتهم. في نهاية الأمر يصبح الواحد ما يقوم به.

يبدو أنني لم أفهم شيئاً. الاعتقاد بأن بوغي لديه مناعة تجاه محيطه كان أكبر خطأ اقترفته، كنت ضائعة في ضباب الجهل. لكنني الآن تمكنت أخيراً من إدراك حقيقة أساسية: إن قيمي تختلف عن قيمهم.

ظننت أنه طالما أننا أنا وبوغي متوافقان، لا داعي للاكتراث لكل من يحيطون بنا. كان هذا خطأ جسيم آخر ارتكبته. والآن علي الخروج من هذا الوضع مهما كان، حتى لو كلفني ذلك حياتي. سوف أرحل ما أن أتثبت من أن رغبة بوغي في الانتقام لن تهدد حياة كاورو أو مديري السابق.

اتصلت بوالدتي وأخبرتها بما يجري. لم تفاجأ كثيراً. لا بد أنها كانت تتوقع حصول مثل هذا الأمر عاجلاً أم آجلاً.

فيما كنت أنتظر لأرى كيف ستتطور الأحداث، واصل بوغي الاتصال بي طوال النهار ليكيل لي مزيداً من الشتائم.

«فكري في الأمر فقط، هلا فعلت؟ حين يكون الرجل في الثامنة والثلاثين أو التاسعة والثلاثين من العمر، يكون في عز شبابه. لقد هدرت أجمل سنوات حياتي عليك! إن حياة رجل على المحك هنا! هل لديك أدنى تصور لما يعنيه ذلك؟»

لم أسمعه مرة يتكلم بمثل هذا الصوت الثاقب الهستيري. تذكرت بوغي القديم، رجل ناضج سلس، ودود وعذب، وبكيت من الخوف والحزن على هذا التحول الفظيع.

كان يردد في الماضي «أنا رجل سبق وأنهى حياته من قبل»، ملمحاً بتواضع إلى أن حياته الحالية لا أهمية لها. كانت تلك الأيام حين كان يغمرني بحنانه. أما اليوم، فهو هجومي يقول عكس ذلك تماماً، إن حياته مهمة جداً وأنني أفسدتها.

علمت بعد فترة أن بوغي تحدث مع كاورو ومدير «فنون جديدة» بهدوء متمالكاً نفسه. قال لهما إنه لا يريد أن يقابلني كاورو بعد ذلك، وأنه سيضطر إلى استخدام القوة إن استمرت العلاقة بيننا. كان يتكلم بهدوء لكن التهديد كان واضحاً.

مع مرور الأيام، استعاد بوغي هدوءه وبدّل نهجه معي، محاولاً إقناعي بتغيير رأيي. لكنني كنت مصممة تماماً على غير ذلك.

حين تنفصل امرأة عن رجل في الأفلام أو المسرحيات، لا تأخذ معها

غالباً سوى المجوهرات التي تضعها، وربما تضع غرضين نفيسين في حقيبة يدها وهي خارجة من المنزل. ثم تخرج إلى الشارع وقد تخلصت من أغلالها، وتبدو هادئة إلى أقصى الحدود. أما أنا، فخروجي من المنزل كان أقل أناقة من ذلك بكثير.

كنت في سنواتي الدراسية أنقل دون توقف أغراضاً من منزلي إلى شقة بوغي، بينها مقتنيات عزيزة علي من طفولتي، كتب أثرت فيّ، ملابس وأحذية اشتريتها على مر السنين، فضلاً عن حلي زفافي. لم يكن بوسعي الإقلاع عن تمسكي بكل هذه الأغراض، ما يعني أنني لم أكن بموقع يسمح لي بالخروج من الشقة بسهولة.

إن القوة والصمود في العداء ميزتان خاصتان بالنساء. على الرغم من بؤسي وإرهاقي، باشرت الانتقال خارج الشقة بطريقة منظمة وفعالة إلى حد مدهش، فاتصلت بشركة نقليات وحين وصل العمال كنت أنجزت كل الترتيبات والتحضيرات.

في ذلك الصباح قدم بوغي من فندق أوكورا فقط ليرى ذلك المشهد الأخير من حياتنا معاً.

«إذا أنت راحلة فعلاً، هاه؟»

على الرغم من كل الإساءات التي تلقيتها منه، لم يكن بوسعي النظر إليه دون أن أشعر بألم الانفصال. أحسست فجأة بغصة وأجهشت بالبكاء. نظرت إلى وجهه عبر دموعي.

«ليس هناك من سبيل آخر... لا سبيل آخر». كان هذا كل ما تمكنت من التلفظ به لأودع بوغي.

«أمر مؤسف أن تنتهي القصة على هذا النحو».

حبس بوغي دموعه وخرج من الغرفة. وقفت أبكي. سألني فتى من فريق النقليات إن كنت على ما يرام. مسحت دموعي بمحرمة ووضعت نظارات الشمس لإخفاء عيني المنتفختين. كنت جاهزة للرحيل.

كان وقت قيلولة الظهيرة للقطط الخمولة وقد غفت الإناث منها جميعها. أما الذكر وهو قط فارسي أبيض يدعى فانا، فقد شعر بشيء مريب يجري، فتح عينيه وتابعني بنظره دون أن ترف جفونه وأنا أخرج من الباب وأرحل.

الفصل الثامن

عدت إلى منزل أمي، غير أن ذلك لم يخفف البتة من تعاستي. أحسست بوحدة فظيعة نائمة هناك وحدي، كنت أتمدد كل ليلة على السرير وأجهش بالبكاء. الأسوأ من كل هذا كان أنني لم أجد شيئاً أفعله. كلمّا كنت أقوم بمجهود للتفكير بتصميم ما كنت أجد في ذهني سوى ضباب كثيف.

كان بوغي متكاسلاً على غراري تماماً، وكان يتصل بي كل مساء.

«كيف حالك يا سايا؟ أتعرفين ماذا؟ الآن وقد ذقتِ فعلياً طعم الرفاهية، سوف لن يكون باستطاعتك إطلاقاً العيش بطريقة عادية. لقد تركتُ الشقة كما كانت تماماً، لذا بوسعك العودة آن تشائين».

حين سمعت نبرته تلك الحنونة الحميمة، ألفيتني مستعدة تقريباً لنسيان كل المشاكل والإسراع بالعودة إليه.

كدت أفعل إنما ليس فعليّاً. ما إن تتحطم العلاقات ما بين رجل وامرأة، حتى تصبح الجراح أعمق كلما التقيا. الطريق الوحيد لوضع حد لتعاستي كان الفرار إلى نيويورك برفقة كاورو. لو أستطيع فقط الوصول إلى نيويورك فسوف ينجلي بالتأكيد الضباب من رأسي. ولكن للأسف كنت أفتقد الجرأة للتوجه وحدي إلى هناك. كل ما كان بوسعي القيام به كان انتظار أن يصطحبني كاورو إلى هناك.

انتقل بوغي من فندق أوكورا إلى فندق هيلتوب. اختاره بسبب

سمعته كمقصد لرجال الأدب والمثقفين. كان مقتنعاً بأن السبب الذي جعلني أرحل مع كاورو هو أن بوغي لم يكن يتعاطى عملاً متسماً بطبيعة ثقافية وافية. لذا قام بعزل نفسه في الفندق وانكّب على الرواية التي طالما حلم بكتابتها.

إن القيام بعزل كاتب في فندق هي ممارسة يستخدمها الناشرون مع كتّابهم النجوم. حين يعجز كاتب خارق المبيعات عن إنهاء مخطوطة فات الكثير من الوقت على موعد الانتهاء منها، يقوم الناشر بدفع تكاليف القيام بوضعه في مختلى داخل فندق أنيق وإبقائه بمنأى عّما يلهيه عن عمله إلى أن ينجز عمله الأدبي الكبير. أي كاتب شاب كان سيستسيغ بشدة أن يعنى به بتلك الطريقة وخصوصاً في فندق هيلتوب الفخم، ولكن البوهيمي. بيد أن قيامك نفسك بدفع الفاتورة هو في الحقيقة أمر مختلف.

لم يقم بوغي فعلياً بكتابة الرواية إنما أملاها على آلة تسجيل. ثم اتصل بأمي وطلب منها القدوم للاستماع إليها.

في تلك الأثناء كان سبق أن التقته عدة مرات وباتت تعرفه بشكل جيد، لذا كانت واثقة من أنه لن يحاول القيام بأي شيء غير اعتيادي. زارته في غرفته كما طلب منها.

كان بوغي رجلاً شهما وأيضاً لطيفاً. والتحّول المخيف الذي كنت شهدته لم يكن أكثر من جنون مؤقت سببه غضب أكبر. كنت أنا السبب.

استمعت أمي بطواعية إلى الشريط المسجل طوال ساعتين كاملتين. إن القيام بإملاء رواية كان أمراً خطر لبوغي القيام به عدة مرات. «سوف

أجلس في حجرة فندق وأحكي رائعة أدبية. هلاّ تقومين بطبعها لي على الكومبيوتر خاصتك يا سايا؟ سوف نكون أشبه بروائي غربي شهير وسكرتيرته أو لن يكون ذلك رائعاً؟»

كان شخصاً يفكر عبر الصور.

كنت أجيبه قائلة «حسناً بهذه الحالة ماذا لو توجهنا إلى فندق أورينتال في بانكوك؟ إنه شهير بكتّابه، بوسعك أن ترتدي بدلة بيضاء من الكتان وأستطيع أن أقوم بالطباعة على الشرفة».

استمتعت بمشاطرته حلمه. قدّر لي التنعم بتلك الأمور ذات مرة.

ما سمعته أمي كان رواية عني، حول كم كان بوغي يعشقني. بعد أن انتهى من الاستماع إلى الشريط أطفأ آلة التسجيل وقال لها بهدوء «هكذا هي الأمور، أتمنى لو أنك تطلبين من سايا العودة إلي».

أخبرتني كل هذا حين وصلت إلى البيت.

«من الأفضل أن لا تلتقيه، إنه لم يعد طبيعياً، خسارة أن ينتهي رجل ذكي مثله مجنوناً. وعندما يتصل في المرة المقبلة سأقول له إنك خرجت. ولا أريدك أن تجيبي من الآن فصاعداً على الهاتف. كان أمراً جيداً جداً أنكما لم تتزوجا شرعيّاً.. إن أردت رأيي أقول لك إن القدر لعب دوراً في المسألة».

غير أني لم أتوقف عن رؤية بوغي. إن امرأة غير معتدّة بنفسها تستطيع وحسب إيجاد معنى لوجودها حين تكون مرغوباً فيها. السبيل الوحيدة التي سأستطيع فيها المحافظة على ذرّة من كبريائي كانت في أن أقوم بالاكتساء بملابس غالية والتواجد فيها في مكان فخم إلى جانب رجل غنّي سوف يمنّ عليّ بحبه.

ثم كان هناك واقع أننا كنا معاً كل تلك السنوات. العشّاق لا يستطيعون أن يصبحوا غرباء كلياً عن بعضهم الآخر في لحظة واحدة. مخفية الأمر عن أمي كنا نلتقي في موعد ما بين الفترات. كان بوغي مقتنعاً بأنه سوف ينجح بهذه الطريقة بإذابة قلبي المتجمد.

غير أنه كان مخطئاً. فعلى العكس، مشاعري كانت تزداد برودة. ذات وقت كانت علاقتنا أمراً نادراً. كنت امرأة شابة جميلة وذكيّة وكان سيّداً أكبر سناً يمتلك الكثير من المال السهل وكنت عبدة للحب. غير أننا الآن مجرد زوج من أزواج «حقبة الفورة الاقتصادية» من النوع الذي تجده في أي مكان في طوكيو، كهل تعس مهووس بالفتيات ومحشو بالمال يمشي مشبوك الذراع مع امرأة شابة مبهرجة تخال أنها شيء مميز.

ما إذا كان الفوران الاقتصادي يضّخ أكثر من السابق، أو أني كنت ألحق ضرراً بعمل بوغي، لست أدري، غير أنه في الواقع بعدما انفصلنا ارتفعت أرباح الشركة إلى الذروة.

كان بوغي «سيد الفورة الاقتصادية» شخصياً، وكان يزداد فورانه كل يوم.

قام بمجهود هائل ليبدو لائقاً للدور، إذ راح يرتدي ملابس أنيقة من ماركات شهيرة. كان لا يزال يأمل في استعادتي، وقام حتى بتجهيز عشّ غرام جديد لنا.

قال «إن الشقة في أزابو جوبان فيها الكثير من الذكريات البغيضة». وتابع «فلنستأجر شقة جديدة ونبدأ من جديد، لقد طلبت مساعدة البروفسور، وأعانني في اختيار شقة في عمارة جديدة تماماً، عالية التقنية

وأعرف جيداً أنها سوف تعجبك جداً».

اصطحبني إلى جوار المسكن الجديد. كانت بناية فخمة جداً في حي موتوجوبان، مخصصة لرجال الأعمال الأجانب والدبلوماسيين المسافرين.

«كنت مجرد فتاة صغيرة لذا لم أصحبك البتة إلى مواعيد لائقة».

كانت تلك جملة أخرى من جمله المأثورة. والآن يحاول أن يعوّض عليّ ذلك مصطحباً إياي إلى نزهات في حديقة سانومارا العامة والجلوس على أحد المقاعد تحت الشمس.

ذهبنا معاً إلى بوتيكات الألبسة الفاخرة وكان ينتقي لي في الواقع ملابس قائلاً «هذا سيناسبك جيداً يا سايا».

وحين حل عيد ميلادي ابتاع لي باقة كبيرة من الورود موضوعة في إناء غالي الثمن. كل ما كان بوغي يقوم به كان مجرد تكرار للمسرحية الروتينية المتكررة التي يستخدمها الرجال للتأثير على النساء، غير أن شيئاً ما بدا غير مناسب في أسلوب بوغي الجديد. كان يحمل لي حقائبي، يرافقني إلى صالات السينما الفنيّة، ويحضر معي أفلاماً تجريبية «أندر غراوند» من نيويورك. حتى أنه رافقني إلى غاليريات الفن الحديث على الرغم من إدراكي أنه ما كان يهتم البتة بالقيام بذلك. لا شك أنه كان يفعل ذلك بنيّة حسنة، لكنه ببساطة لم يكن بوغي الذي أعرفه.

بوغي الذي عرفته كان عاجزاً عن فهم فضائل الحياة الثقافية أو الأنماط الطليعية. بوغي الحقيقي كان شخصاً خارج زمنه كلياً، كان ذكراً شوفينياً من الطراز القديم، غندوراً متأصلاً يمتلك ثقة كاملة بالنفس

تتيح له عدم القيام بأي تنازل للنساء «العصريات»، هذا بالتحديد ما كان يعجبني فيه ولقد أثارت اشمئزازي رؤيته يتخلى جراء العزلة عن شخصيته القديمة، ويسعى إلى تركيبها مجدداً بشكل مختلف لتناسب أذواقي. كان هذا في شكل ما أسوأ من عدم تمكني كلياً من رؤيته.

قام حتى بابتياع سيارة. هذا الرجل الذي يكمن سحره تحديداً في افتقاده أي بداهة مربوطة ذهنياً بالبالغين الحقيقيين، توجه واشترى سيارة وهذا تقريباً أشد الأمور التي يمكن أن تفعلها تقليدية. الأسوأ من هذا أنها كانت سيارة تويوتا كراون من الطراز الأفضل، سيارة مهيبة، مريحة إلى حد مزعج، ورمزاً للثراء، غير مثيرة لذرّة من المخيلة.

قال لي «إن اقتناء سيارة هو أمر جيد» وتابع «ما خطر أبداً لي أني بحاجة إلى أشياء كسيّارة أو منزل، غير أني أدركت الآن أن الأشياء التي يتوق إليها بشدة معظم الناس هي فعلاً أشياء تستحق أن نمتلكها. سأبدأ الآن بادخار مبلغ كاف لبناء ذلك المنزل إزاء الشاطىء».

كان يتكلم بجديّة بالغة، كان بوغي يتحّول سريعاً إلى مجرد رجل في منتصف العمر على غرار الآخرين يبحث عن الأمان والاستقرار.

في حجرته في الفندق كان قلم الحبر الثمين ذي الريشة الذهبية الـ «باركر» خاصته ملقيّاً نهب الغبار إلى جانب كدسة سميكة من أوراق الكتابة اللاملطّخة. في هذه الأيام كانت تجارته جارية على أحسن ما يكون لذا كان يملك كل ما يحتاج إليه من الوقت الحر... وعلى الرغم من ذلك لم يكن السطر الأول من روايته العظيمة قد خطّ بعد. ذات يوم وبنبرة جديّة كانت نذير المزيد من الفلسفة العاميّة البسيطة كشف لي السبب.

«أتعرفين يا سايا، طوال كل تلك السنوات كنت ناسياً الأمر الأهم في الحياة. أتدرين ما هو؟ أن يكون لديك شيء تعيشين من أجله. طالما تملكين ذلك فإن المال وكل الأمور الأخرى سوف تتبع. هذه هي الحقيقة. وإن لم تحظي بذلك الشيء، فلن تستطيع كل أموال العالم أن تمنع عنك الشعور بالخواء. إن بوغي الآن رجل سعيد. ولماذا؟ لأني أملك ذلك الشيء المميز. وتدرين ما هو ؟ إنه أنت».

كان حب بوغي على وشك أن يصبح عبئاً كبيراً. كان في الواقع مرهقاً جداً. كان قلبي قد انجرف بعيداً وما كنت راغبة بعد في أن أكون طفلة أو حيواناً أليفاً. الحيوانات الأليفة لطيفة لأنها عاجزة، إنها مثيرة للشفقة. لقد ضقت ذرعاً من كوني مثيرة للشفقة.

على أيّة حال، إن رجلاً لا يجد ما يستحق الحياة وهو وحده يكون أشد كرباً من أن تتحمّل العيش معه. قلت له بمنتهى الوضوح إن علاقتنا انتهت. اغرورقت عيناه بالدموع.

«يا لي من رجل كبير في السن، تعس. لست أدري لماذا أحبك بهذا القدر يا سايا؟»

«انفصلت عنه بالروح، غير أن فصل ذاتي عنه جسدياً لم يكن أمراً سهلاً. أحسستني فراشة تختنق في قوقعتها».

لم تتوافر لدي أية شفقة حيال بوغي. كانت بالكاد كافية لإنقاذ نفسي. رغبت وحسب في أن أكون أنا نفسي.

أخيراً جاء كاورو لإنقاذي وهربت.

*

غير أني حين وصلت إلى نيويورك كنت مازلت أفتقد أي هدف واضح، لذا غرقت في عزلة أعمق.

من أجل أن يبقيني معه، جعل كاورو يقوم بأعمال إضافية. ما كان لديه وقت لالتقاط أنفاسه. بالكاد تسنى له بعض الوقت للاهتمام بي وأحسستني مهملة، لذا ولأنني كنت وحيدة بدأت أناكده. وراح يناكدني بالمقابل.بما أنه كان يبذل قصارى جهده لكسب ما يكفي لإعالة اثنين. كنا نتشاجر باستمرار، وتعوّدت أن أصرخ فيه عبر دموعي مثل جنيّة هستيرية.

كنت حتى أشد كآبة ممّا أحسست حين كنت في اليابان، ولجأت إلى الشراب والمخدرات. كنت ابتاع الكوكايين الرخيص من الشارع وأتجرعه دفعة واحدة في الشقة وأغادر الواقع. وأجدني عند الصحو بغيضة المزاج وكان الخلاص الوحيد في النوم بواسطة الكحول. معاودة هذه الدورة تكراراً وتكراراً كان يؤجج وحسب هستيريتي وبدأت أثير الذعر في كاورو. بدا أني كنت عاجزة حيال الحالة المذلّة التي كنت واقعة فيها.

صرت مدمنة طوال ستة أشهر. كل ليلة في أحلامي كنت أرى بوغي والقطتّين، كل ليلة كانت تتبلل وسادتي بالدموع المريرة التي كنت أذرفها لأنني تخليت عنهم. كانت الحياة مع كاورو مجرد جنس وشجارات ولا شيء سوى ذلك. منهكة جسداً وروحاً قمت ببعث رسالة «نداء استغاثة إلى بوغي».

ما كنت أشعر أني في بيتي في شقة كاورو، كان هو يحاول العمل

وأنا مضطربة ساخطة طوال الوقت، لذا انتقلت وسكنت مع امرأة يابانية كانت عرّفتني إليها ميناكو. في لحظة ضياع غير مسؤولة كتبت رقم صديقة الصديقة هذه في رسالتي إلى بوغي.

ذات يوم تماماً قبل حلول الغسق تلقيت اتصالاً هاتفياً منه.

«سايا؟ لقد وصلتني رسالتك. أنا موجود في نيويورك هل تستطيعين المجيء؟»

مترعة بالسعادة، انطلقت متوجهة إلى فندق بلازا حيث كان ينزل. كنت مقتنعة بأنه قدم إلى نيويورك لرؤيتي، إنما في الواقع كان جلب معه صديقته الجديدة.

جعلني أنتظر في البار المعتم وراء ردهة الفندق كي لا تراني صديقته إن صدف ومرّت من هناك.

يا لي من عاهرة بلهاء! لعنت غبائي. لم يكن بوغي من النوع الذي يسافر كل تلك المسافة إلى نيويورك وحيداً. إلا أني كنت مقتنعة– لست أدري كيف– أن قيامه بدعوتي إلى فندقه كان يعني مباشرة أنه باستطاعتي الانضمام إليه في غرفته. يا لي من عاهرة حمقاء!

على الرغم من هذا، عجزت عن منع الدموع من التدفق من عينيّ عند رؤيته.

«هل ثمة من خطب؟ لستِ على ما يرام. أليس كذلك! لقد كنت في طريقي إلى المطار حين اتصلت السكرتيرة وأخبرتني أن هناك رسالة منك. لذا عدت معجلاً إلى المكتب لاستلامها».

«ما الذي جاء بكَ إلى نيويورك؟»

«مجرد رحلة استجمام. أحسستني راغباً في إلقاء نظرة سريعة على

المدينة التي تعيشين فيها».

«هل أنت برفقة تلك المرأة التي اتصلت بي مرة؟»

«لا، ليست هي، في الحقيقة أنت تعرفين هذه الفتاة. أتذكرين النادي الليلي الذي اصطحبتك إليه عدة مرات المدعو «لا في آن روز»؟ كان ثمة فتاة هناك مضحكة عجيبة الشكل تسمّي نفسها أوروكا. تلك التي بدت أشبه برجل».

«آه، تلك التي كانت مغنّية بارعة».

«أجل».

على الرغم من كل شيء سرّني ذلك. كانت فتاة غريبة الطباع ستمنع الضجر عن بوغي. كنت لأقلق لو أنه ارتبط بامرأة أكثر أنوثة كتلك التي اتصلت بي. لا شك في أنها سوف تمنح بوغي الكثير من الحب والجنس وكل ما هنالك، لكنه بلا أدنى ريب سوف يضجر منها عاجلاً أم آجلاً. كانت أوروكا فتاة مرحة صريحة، من النوع الذي أستطيع أن أتخيّلها صديقة لي.

«يا بوغي، هل نقص وزنك؟»

«أجل أعاني بعض الشيء من زائدتي الدودية، يفترض بي في الواقع أن أدخل المستشفى، غير أني لم أكن أتحمّل البقاء في اليابان، لذا تناولت دواء ما لتسكين الألم وركبت الطائرة. في الحقيقة حصلت أمور كثيرة كما تعرفين. صراحة إنني أواجه إلى حد ما ورطة الآن».

«أتقول ورطة ما؟»

«إنها الشركة، اقترح يا سايا لو نخرج ونتناول بعض السوشي؟»

«إن المطاعم اليابانية في نيويورك ممتازة. تعالي نخرج ونتحادث

حول طبق لذيذ من السوشي!»

اصطحبت بوغي إلى مطعم للسوشي في المنطقة الشمالية من منهاتن. جلس وحدّق عميقاً في عيني ثم قال مستهجناً «يا الهي كم أنت نحيلة! أراهن أنك لم تتناولي أي وجبة لائقة منذ أشهر. هيا تناولي بعض السوشي».

غير أن دموعي ما كانت تتوقف وعجزت عن ابتلاع السوشي، ما كنت أستطيع الاعتراف له بأن حالة فقدان الشهيّة التي أعاني منها سببها الكوكايين. لم يكن عادلاً أن أواجهه بهذا الاعتراف البغيض بعدما عانى كل ما عاناه لتحريري من قفصي الذهبي المخادع المظهر وأتاح لي هروبي إلى الحرية.

الآن كنت مجرد مدمنة مخدرات ولا شيء أكثر.

«ثمة أشياء كثيرة أود أن أخبركَ إياها إلى درجة أني لا أعرف من أين أبدأ».

«يمكنك البدء بتناول بعض الطعام أيتها الصبية».

بينما كنت لا أزال أبكي جهدت لابتلاع القليل من السوشي.

كان بوغي ينظر إليّ بعطف. في واقع الأمر، هكذا كان يحصل دوماً بيننا، كان حبّه من النوع الذي يغبطه مجرد القيام بإطعامي مأكولات شهية، وكان حبي له من النوع الذي كان يقبل بتوق وبراءة الاستمتاع بالمأدبة.

بادرني قائلاً «نعم. صديقك بوغي واقع في ورطة هذه الأيام. بعدما غادرتِ حضر المفتشون للتحقق من الشركة. وكما تعرفين، هناك دوماً بعض الاحتيال في أعمال بوغي، صحيح؟ هذا لا يعني أني الشخص

الوحيد المتورّط في هذا النوع من الأمور. هناك كثيرون غيري. ولكن أنت تدرين كيف هم رجال الشرطة والصحافيون، فبين الحين والآخر يرغبون في أن يجعلوا أحداً ما عبرة للآخرين، تصرف من قبل «حضّ الآخرين» والحاصل هذه المرة أن «محسوبك» هو الضحية».

أعترف صراحة، بأن خطورة ما كان يقوله لم يكن لها ذرة تأثير عليّ. جلّ ما كنت أعرفه هو أن بوغي كان معي مجدداً. ذلك الواقع وحده شغل كل كياني. ذلك الوجه القديم الأليف، الوجه الذي بعث فيّ الدفء والطمأنينة كل ذلك الوقت.

«بوغي، هل تسمح لي بأن ألمس وجهك؟»

«لا ضير».

كان للمسي بشرة بوغي عظيم الأثر فيّ، إذ شرّعت أبواب الطوفان وتدفقّت دموعي سيولاً. غمرته متشبثة به وبكيت من كل قلبي.

*

كانت تلك الليلة في نيويورك هي منقذي، حينما سكب هو كؤوس الساكي وسكبت أنا دموع أحزاني. وخرجت منها بقرار وحيد في قلبي الحيران.

بما أني كنت قد تركت محبوبي بوغي للمجيء إلى نيويورك بحثاً عن حلم، كان يستحيل أن أعود إلى اليابان دون أن أعثر على شيء ما، كان ذلك يعني أنه قد ضاع كل شيء هباء وعدت إلى نقطة الصفر. وحين أعود إلى اليابان سوف أكون شديدة الهشاشة عاجزة عن مقاومة كل الذبذبات السلبية من حولي. سوف أمكث في نيويورك إلى أن أجد شيئاً

ما له معنى، وسأعيش حياتي على هواي. هذا ما قررته.

كنت أتنقل جيئة وذهاباً بين رجلين، غير قادرة على تحمّل إمكانية أن أكون وحيدة. غير أني كنت أدركت منذ أمد بعيد أنه ليس بالوسع أبداً الابتداء من جديد بهذه الطريقة.

بداية كان ينبغي أن تكون لدي شقتي الخاصة. سألت بوغي إن كان يقبل إعطائي أحد الهرّين «فانا» ليكون رفيقاً لي في وحدتي. «فانا» الذكر الفارسي الأبيض كان هرّاً متعجرفاً نيّقاً صعب الإرضاء إلى حد مخيف، كان يعشق الدلال ولكن إن كان مصدره بوغي أو أنا لا غير. لطالما شعرت برابط خاص يجمعني بذلك الهر منذ اللحظة الأولى التي وقعت فيهما عيناي عليه.

«لا مانع لدي. في الواقع يبدو أن «فانا» غير قادر على تدبير أموره دونك. بعدما غادرت لم يكن يأكل كما يجب لذا توجب عليّ طوال الوقت أن أضعه في محل الحيوانات الأليفة كي يهتموا بتغذيته، لقد أتيت إلى هنا وحسب للاحتفاء بالسنة الجديدة وسأرجع إلى اليابان في الثالث من يناير، لذا يمكنك أن تمّري لتأخذيه في الرابع من الشهر أو قرابة ذلك».

«أشكرك يا بوغي».

«إنها المرة الأولى التي تشكرينني فيها يا سايا».

«لعلّك محق في ما تقول. لكني أشكرك بكل الأحوال فعلياً!»

«آه، توقفي عن ترداد ذلك يا سايا. هذا لا يشبهك أبداً. فلنعد إلى المهم، ما الذي ستفعلينه في نيويورك؟»

«لست أدري بعد. أرغب وحسب بداية في العيش كشخص عادي.

ثم أستطيع بعدها البحث عن شيء ما أرغب فعليّاً في القيام به».

رمقني بوغي بنظرة بدا أنها تقول «ما هذه الترهات التي ترددها هذه العزيزة الساذجة؟»

«إلى أن أكتشف بوضوح من أنا، لا أعتقد أني سأعود إلى اليابان، ما عدت قادرة على العيش بصفة تلميذة أو ربّة منزل. سوف أتعفّن إن رجعت، لنْ أخطط للرجوع قبل أن أكون قد وجدت شيئاً ما».

أردت الشروع في بداية جديدة والعيش بشكل اعتيادي. في هاتين المسألتين بالذات كنت في غاية الجدّية. ما همّني شيء من كل تلك النظريات حول «تطهير الروح» -كنت أريد بكل بساطة الابتداء من جديد.

«هل لديك ما يكفيك لمصاريف العيش؟»

«أجل، لقد ادّخرت بعض المال».

ضحك بوغي ضحكة قصيرة ساخرة. ما كان ليصدّق ذلك، فعندما كنت أعيش معه، قمت بادّخار بعض المال. كان أحياناً يعطيني مبلغاً ضخماً «غرامة» على خيانة أخرى، أو تعويضاً عن قيامه بتركي وحيدة للعب الميسر. كان يفترض بي أن أبدد تلك المبالغ من خلال شراء ملابس غالية الثمن، غير أنه كان هناك حدود. كلما تبقى معي بعض النقود، كنت أضعها جانباً، شيئاً فشيئاً، تماماً كما كانت نصحتني أمي أن أفعل.

«كم سيكلفّك استئجار شقة؟»

«حوالي خمسمائة ألف ين».

«إنها بداية واعدة».

استخرج بوغي من محفظة نقوده لفيفة أوراق نقدية من فئة عشرة آلاف ين بحجم مصبّع من الشوكولاته وبسرعة قام بعّد خمسين واحدة. حاولت أن أرفض. «لا حاجة يا بوغي لدي مخبوئي الخاص».

«هيّا، خذيها إنها هديّة وداع صغيرة من بوغي. إن ما يلزمك هو المغادرة وعدم المكوث مع ذلك الشاب فوراً وإيجاد شقة خاصة بك».

«لا بأس يا بوغي، فعليّاً»

«بلى، بلى خذيها. إنها مجرد نقود في النهاية، أنا متوّجه إلى فيغاس وسوف أكسب عشرة أضعاف هذا».

«أتقول فيغاس؟»

«أجل، بعد نيويورك، إلى لوس أنجلوس وبعدها مباشرة إلى لاس فيغاس، سوف ألعب بعض القمار».

لا يزال صديقي القديم بوغي على حاله، شعرت بالارتياح وقبلت بامتنان الهبة واستخدمتها فوراً لاستئجار شقة.

×

كان الانفصال عن كاورو عاصفاً، وبينما كنت أنشط مندفعة لترتيب مسألة انتقالي توجهت لزيارة سريعة وقصيرة لليابان. بوغي بدّل مجدداً الفندق حيث ينزل وكان يقطن حالياً في فندق ANA في منطقة تامايكي.

ها قد عدت إلى اليابان بعد مرور كل هذا الوقت. وبينما كنت متوجهة إلى الفندق كان مذياع سيارة الأجرة يعلن نبأ موت الامبراطور هيروهيتو. وفي خلال ما بعد الظهيرة تلك أعلنت الحكومة نهاية عهد

هيروهيتو شووا وبداية حكم امبراطوري جديد وهو عهد هايسي.

صدم بوغي بمرأى نحولي الشديد، فأصّر على اصطحابي إلى مطاعم فاخرة وأرغمني على تناول وجبات سمك الفكهة وأطعمة شهيّة أخرى. قال «يتوجب تغذية البنت». كما لو أنه كان يتحدث عن إحدى هرّتيه.

عدت إلى منزل أمي وطبخت بعض أطباق بوغي التي كان يفضلها في سالف الأيام. وضعتها في أوعية بلاستيكية حافظة وأخذتها إلى الفندق.

«إنها ليست طازجة مباشرة من الفرن لذا لن يكون مذاقها طيباً جداً، لكن كُلها على أية حال، اتفقنا؟»

ذهبنا أيضاً إلى بار «براونز» مكاننا المفضل حيث كنا في ما مضى نحتسي بلا انقطاع الشراب في ليال كثيرة.

كنت وبوغي أفضل صديقين ولكن كان كلانا يدرك أن ذلك لا يعني أنه سيكون بمقدورنا العيش مرة أخرى معاً.

عرفت لاحقاً أن بوغي كان مذذاك واقعاً تحت وطأة الديون، لا شك لدي البتة من أنه كان يتحرّق شوقاً للاستحواذ على مال مدّخراتي، غير أنه أحجم عن طلبها تعاطفاً مع حالي المثيرة للشفقة. ولم ينبس بحرف واحد حول مسألة افتقاده المال.

إن الانغماس ستة أشهر في مساوىء الكوكايين لخبط جسدي كلياً، فوق كل هذا أصبت بالتهاب ظهارة العصب الحوضيّ. كان لولب منع الحمل الذي أنقذني من الوقوع في الحمل طوال سنوات هو السبب... اصطحبني بوغي إلى عيادة فخمة للأمراض النسوية مخفيّة في أحد

الشوارع الخلفية. كان مكاناً أنيقاً ترتاده سيدات الطبقة الأرستقراطية، وقاموا بنزع اللولب.

لم أستطع إطلاع الطبيب على مسألة إدماني الكوكايين، غير أنه بالكاد كان للمخدر أي تأثير عليّ. وثَبُتَ أني مريضة صعبة المراس إذ توجب أن تمسك بي أربع ممرضات ما خلّف لديّ نتيجة ذلك كدمات وخدوشاً على كل أوصالي.

قال لي الطبيب «يبدو أنك اكتسبت مناعة ضد المسكّنات. لو أنك أطلعتني على ذلك لكنت أعطيتك مخدراً أقوى».

اعتبرت الألم عقاباً على خطاياي، صررت أسناني وواصلت العملية حتى النهاية.

بما أني تخلّصت من اللولب، قررت أن لا أمارس الجنس مع أحد. لن أكون عبدة للشهوة بعد الآن.

أحضرت «فانا» من متجر الحيوانات الأليفة وأوصلني بوغي إلى المطار. هناك ناولني مغلفاً يحتوي خمسين ورقة نقدية أخرى من فئة عشرة آلاف ين.

«ابتاعي لك بهذه بعض المفروشات، جيد؟ سوف تشعرين بالوحدة وستعجزين عن القيام بأي شيء إن كنت تفتقدين الحاجات الأساسية. إن واجهتك أية مشاكل ما عليك سوى الاتصال ببوغي. أينما كنت سوف أعمل على أن يكون بوسعك الاتصال بي. كل ما أطلبه منك هو أن تفعلي الأمر نفسه، موافقة؟ أينما توجهت، احرصي على إطلاع صديقك القديم بوغي على عنوانك ورقم الهاتف».

«بالتأكيد، حالما سأحصل على هاتف سأعطيك الرقم. أشكرك على

كل شيء يا بوغي».

«أوقفي كل هراء هذه التشكّرات. أوهل نحن غريبان؟»

لم يكن بوغي يريد عرفاني. كان يريدني أن أتقبّل لطفه وكرمه كأمر طبيعي. هكذا كنت أتصرف حين كنا معاً، لقد كان تفاهماً مضمراً ما بيننا.

حين افترقنا في مطار ناريتا همس لي بوغي في أذني خاطراً أخيراً.

«لو كنا فقط متقاربي العمر لكنّا استمتعنا كثيراً معاً، أليس كذلك؟»

«بلى».

كان ذلك قطعا صحيحاً، وددت أن أقول ذلك غير أن الكلمات خذلتني.

*

وبعد العودة إلى نيويورك، استهلكتني العزلة بداية في طريقة حياتي المتوحّدة غير المعهودة. كل ليلة كنت أنغمس في احتساء الشراب حتى الثمالة وأجري اتصالات هاتفية مثيرة للشفقة ببوغي.

«أريد العودة إلى اليابان لكي يعنى بي بوغي». كنت أنشج مرددة ذلك عبر الهاتف.

«أخشى أن لا ينفعك هذا يا سايا، خصوصاً في مثل الظروف الحالية. لا أريدك أن تتورطي في مسائلي. لا حاجة بك إلى رؤية الجانب القذر من الأمور. لا ينبغي أن يعاني الناس بلاضرورة. في الوقت الحاضر من الأفضل أن تبقي بعيداً في نيويورك».

يبدو أن الشرطة كانت قامت بالتحقيق مع بوغي، واحتشدت على الفور وسائل الإعلام غريزياً لمؤازرة النجمة المتورطة في القضية. وصوّرت لولو كيتانو كضحية لخداع بوغي، بريئة أتاحت لذلك الدجال إساءة استخدام شهرتها وسمعتها الطيّبة. كيف لي أن أنسى أنها حين وصلت عائدة إلى اليابان ولم تكن تحمل في جيوبها سوى ألف ين اعتمدت على بوغي في كل شيء بما يشمل دبوس شعرها».

قال بوغي «ما زلت على يقين مائة بالمائة بأن القصة ستمرّ على خير» ردد هذا بتفاؤل المقامر النموذجي وأضاف «المشكلة الوحيدة أني سأعتبر كرب عمل مسؤولاً عما قام به فريق عملي. قد يحكمون عليّ بالسجن بضع سنوات. حالياً من المفضّل أن تتابعي حياتك كما لو أن بوغي غير موجود إطلاقاً».

«هل أنت بخير يا بوغي؟»

«طبعاً أنا بخير. أنا صلب كما تعرفين. فضلاً عن أنهم يعاملونك بلين في السجن حين يتعلق الأمر بجريمة بيروقراطية. يضعونك مسؤولة عن المكتبة. وسأكون بمنأى عن الحشود الغاضبة. وسوف يتاح لي أخيراً أن أكتب تلك الرواية».

حالياً حتى بوغي تخلى عني، وصرت وحيدة كلياً في العالم. والأسوأ أنه كان على وشك أن يودع السجن وكل ما أستطيع القيام به هو الاختباء في نيويورك والخوف عليه. السجن يعني شيئاً مخيفاً، هذه كانت حدود تفكيري في المسألة.

شلّ دماغي. كنت منهكة كليّاً، في الواقع كانت أحداث السنة المنصرمة شديدة الوطأة على واحدة مثلي. فكرت عميقاً ووجدت أني

المذنبة في كل ما جرى.

أردت قتل نفسي وإنهاء الأمر. ولكن حين فكّرت بذلك المستقبل المعتم والصامت اتضح لي أن الموت حتى لم يكن بمتناولي.

طالما أنا حيّة أرزق، كانت أيام وحدتي الغارقة بالدموع وعدم الأمان والإحساس بالذنب بسبب هجري بوغي يقاطعها هدير معدتي الخاوية والحاجة إلى التوجه إلى المرحاض. كرهت نفسي بسبب علامات الصحة الجيدة تلك.

«لعلي قادرة على تحضير بعض المعكرونة المسطحة».

من غير أن أنقطع عن البكاء سأقوم بغلي بعضها وآكلها.

يام يام، إنها طيّبة المذاق.

حتى في قعر إحباطي لاحظت كم أن المعكرونة المسطحة شهيّة المذاق. وجعلني ذلك انفجر مجدداً بالبكاء.

بما أن عينيّ منتفختان بفعل البكاء، كنت أضع نظّارتين شمسيتين حين أتوجه للتبضع للهّر ولي. في الخارج كان البرد قارساً، إنه شتاء نيويورك، وفي الداخل لم يكن هناك أحد يدفئني، لا أحد أضمّه والتمس منه الدفء والحماية.

كنت أبتاع على سبيل المثال مهاداً وطعاماً للهّر وفاكهة ومياهاً معدنية إضافة إلى ست زجاجات من البيرة لتساعدني على النوم. هذه كلها كانت تزن طناً وكنت أشقّ طريقي بجهد إلى المنزل فيما تقطع مسكات أكياس التبضع خاصة السوبر ماركت بحدّة أصابعي المثلجة من شدة البرد.

مشيت مجهدة عبر الثلج وأكياس التبضع متدلية من يديّ الاثنتين،

مكتسية بملابس سميكة مبعثرة الشعر في كل الاتجاهات، راشحة الأنف. لكن مهما أحسستني مغمورة بإحساس الحزن المأساوي فقد بدوت شبيهة تماماً بأي متشردة نيويوركية أخرى دالفة في الشارع.

حين اقترب فصل الربيع شيئاً فشيئاً وتحسن الطقس، أشرق كذلك محيّاي. وشيئاً فشيئاً وجدت أن باستطاعتي مغادرة المنزل من غير نظّارات شمسية. وبينما ارتفعت معنوياتي بدأ يتضح لي أنه على الرغم من أني كنت أعيش وحدي فقد كنت أكسب معارف بمعدل شخص واحد كل يوم. بوّاب البناية حيث أسكن، المرأة العجوز في الشقة المجاورة، العائلة الكورية التي تدير دكان البقالة عند ناصية الشارع والشابين اللذين في سني وكنت التقيتهم في المنتزه أو في مغسل الملابس الأوتوماتيكي. كلما كانت نظراتي تلتقي نظرات أحدهم كان يبتسم لي.

وكانوا أيضاً يتحدثون إليّ حول جمال الطقس على سبيل المثال أو وجبة الغداء اللذيذة التي تناولوها، أو عن أي أمر ما كان حصل لهم، أو وجهة نظرهم حيال ذلك. ما كانوا يحسّونه ويفكرون به وما كان رأيهم فيه. كانوا يخبرونني ذلك بصراحة وبتفصيل تام، حتى وإن كنت غير مهتمة بمعرفة ذلك. في طوكيو ما كنت قادرة البتة على التحدث بهكذا حرّية إلا مع بوغي.

النيويوركيون منفتحون جداً! ما إن كانوا حقاً يهتمّون بالناس، أو إنهم يتذكرون وجهي لأني كنت أعيش في الجوار، مهما كان السبب فهم لاحظوا وجودي.

«هاي، هل شفيت من الزكام الذي كنت مصابة به؟»

«أجل، شكراً لقد تحسنت قليلاً».

كنت أرد على تحياتهم بإنجليزيتي الركيكة مبتسمة لهم بحرج.

«هذه هي الروحيّة المطلوبة! ابقي مبتسمة!»

كانت مجرد شذرات حوارات، غير أنها كانت تدفىء قلبي في الصميم.

«إنك ترتدين سترة جميلة اليوم».

«هاي إنك تبدين أفضل من البارحة!»

كنت نكرة، لكن على الرغم من ذلك كانوا يحيطونني بالاهتمام ككائن بشري وحسب. كل ما كنت أفعله كان تناول الطعام والنوم والبقاء على قيد الحياة، وعلى الرغم من ذلك ما كنت أحس كما كان يخالجني في اليابان أن العالم كان يخلّفني وراءه.

*

« والآن ما الذي سأفعله لأكسب معيشتي؟»

كان حل شهر آب، وحين صرت مستعدة للشروع بالتفكير بهذا، كانت نيويورك بأسرها قد انتعشت بالطقس الدافيء. وكنت في الرابعة والعشرين من عمري.

ما إن استقرّت حالتي ما يكفي لأن أجلس وأتساءل حول آمالي المستقبلية، حتى اتضح لي أن كل ما كنت أرغب في القيام به هو صنع الملابس. كان حلم طفولتي، وتخلّيت عنه من أجل أمي. متأملة في ذلك وجدت أنه عندها بالذات بدأت إخفاقات كل شيء في حياتي. دخلت جامعة لائقة إرضاء لأمي، ودخلت فرع دراسة الأدب لأن القيام بذلك كان محترماً رائعاً. قمت بكل ذلك ببساطة

لرغبتي في نيل رضى أمي وحبها.

غير أن العيش مع شخص آخر كان غلطة كبيرة. لاحقاً كل ما استطعت تحقيقه كان تغيير ما كنت أسعى إليه، من حب ورضى أمي إلى حب ورضى رجل أصبح صورة الأب. كل ما غيّرته كان هو الشخص الذي يطعمني، ما إن ركّزت على موضع اتكاليتي الجديد، حتى باشرت صياغة نفسي مجدداً بصورة هدفها خصيصاً إرضاءه. تقنية الاستمرارية الخرقاء كانت كل ما امتلكته.

الآن وضعت نصب عيني دخول المعهد التكنولوجي لتصميم الأزياء، وهو مدرسة لتعليم تصميم الأزياء في الجادة السابعة. كنت أعرف أني بحاجة إلى تحسين لغتي الإنجليزية كي أستطيع دخوله، لذا قمت أولاً بالالتحاق بمدرسة لتعليم اللغة وفي البيت كنت أصنع بعض الأثواب البسيطة. السير قدماً بهذا المشروع بدا في الواقع أفضل سبيل لاستجماع قواي وتنظيم شؤوني.

وأنا أتقدم بخطى حثيثة بدأت الاتصالات الهاتفية الكئيبة التي كانت تصلني من بوغي بين الحين والآخر تتعبني.

«لقد خانني كن كن. كان يقوم بأعمال خطيرة خفية عنّي، تزوير حقيقي كما تعرفين، وقال للشرطة إنه كان يفعل ذلك تنفيذاً لأوامر رب العمل.. أنا».

وكان ينتحب دون توقف، كان ذلك أشبه بمياه باردة منصبّة على مساعيّ المتواضعة لترتيب حياتي. لكن لم يكن باستطاعتي القيام بأي شيء لمساعدته. نظرياً أستطيع العودة إلى طوكيو وكسب كل ما يقدّر لي من المال عبر العمل في الضيافة الليلية أو الدعارة لمساعدة بوغي، غير أني

ما كنت أقوى على ذلك.

كان من المستحيل أن تفي أي مهنة محترمة بحاجات بوغي المالية. إذ أن المسألة تتعلق بمبالغ مالية من مستوى مختلف كلياً. إضافة إلى أنه إن عنيت به مثلما كان يعنى بي فسوف تُجرح كبرياء شوفينيته الذكرية. بكل الأحوال كنت أرفض القيام بدافع الواجب ما كنت لا أرغب في القيام به. كنت أتصور كيف ستنتهي بي الحال، سوف أفسد حياتي وفي نهاية الأمر أفسد أيضاً حياته هو. هذا أهم ما تعلمته من تجاربي في السنوات القليلة المنصرمة.

في نهاية الأمر، خشية من تلقي المزيد من الاتصالات، فصلت خط الهاتف. أحسست بالكثير من الذنب حيال الهرب من بوغي ومنعه من مواصلة التشكّي والنحيب. إن أتيحَ له الهلوسة بأحاسيس الذنب خاصته فلن ينفعه ذلك بأي شيء. لن أبدد حياتي وآمالي من أجل الحب وحسب.

مصاريفي بما فيها دفع إيجار الشقة ودروس الإنجليزية وابتياع حاجيات خياطة الأثواب أجهزت تقريباً على مدّخراتي السرّية. إن حصل ودخلت المعهد التكنولوجي لتصميم الأزياء كان سيتوجب علي الاستحصال على المزيد من المال. عقدت النية على محاولة إقناع أمي بالإسهام مقترحة أن يكون المبلغ بمثابة استثمار في مهنتي.

خططت لها رسالة توسّل مؤثرة، وسافرت بعدها إلى اليابان في خلال عطلة أوبون في أغسطس بهدف رؤيتها والحصول على النقود. ما كنت أنوي إطلاقاً لقاء بوغي عندما أكون هناك. فإن فعلت فسيستثير عطفي وسيصرف انتباهي عن غايتي الحقيقية.

ولما لم يعد باستطاعة بوغي الاتصال بي في نيويورك، فقد تعوّد الاتصال بأمي. ما إن رفعت السمّاعة حتى طالعني صوته، بدا إلى حد بعيد محتدّاً إن أخذنا بعين الاعتبار أنه كان يطلب موعداً.

«أنا موجود في «كافيه لا ميل» في روبونغي. تعالي على الفور. ولا تجعليني أنتظر، هل فهمتِ؟»

كان ثمة سبب آخر لعدم رغبتي في لقاء بوغي، كان مشروع تجددي الذاتي في نيويورك قد تضمن زيادة وزني بعض الشيء. مقدار اثنين وعشرين باوند في الواقع، واعتدت على أكل سندويشات الهامبرغر العملاقة والمشي عبر الشارع ممتلئة الفم بالطعام. توقفت كليّاً عن تعاطي الكوكايين وتخلّيت عن ممارسة حميتي السابقة، وسمنت هكذا بكل بساطة.

كان وضع شعري كارثياً كذلك، إذ كنت في هذه الأيام أقصّه بنفسي، وبما أني كنت لحيمة لا تناسبني الملابس المتكلفة الأناقة، فقد لجأت إلى ارتداء بنطال جينز وقميص «تي شيرت». كنت منتفخة كلياً ولا أشبه البتة ذاتي الأنيقة سابقاً، غير أن ذلك ما كان يزعجني إطلاقاً. الفتاة التي فيّ توارت حين تركت بوغي. كنت الآن في وضع جسماني أفضل، بدوت بصحة أفضل وكان جسمي أقوى. كان بوغي هو الشخص الوحيد في العالم الذي ما كنت أود أن أريه كيف أصبحت حالياً. كنت أفضل أن يتذكرني كما كنت في لقائنا الأخير، تلك الفتاة الضالة الجميلة الجديرة بالشفقة.

إلا أني قمت بمجهود أخير لتقديم نفسي بطريقة ترضي بوغي، ساعية فقط إلى تحاشي إثارة غضبه مني. ارتديت فستاناً صيفياً كتّانياً مقلّماً

وقد كان الفستان الوحيد الذي ما يزال بمقدوري ارتداؤه. كان فيما مضى واسعاً، غير أنه أصبح الآن يناسبني بإحكام. قمت كذلك بفرق شعري لأبدو أكثر شبهاً بتلك الآنسة المتأنقة التي كنتها في الأيام الغابرة. ولكنني أخفقت في ذلك.

كان مضى ستة أشهر على آخر مرة قمت فيها بالتأنق لإرضاء شخص آخر. ولقد أثرت بلا ريب غضب بوغي.

«يا إلهي أنت بدينة! انظري إلى نفسك! كيف صرت هكذا؟ أهو الطعام؟ الشراب؟ بدا في غاية الاستياء.

كنت أعرف أن هذا ما سيحصل. غالباً ما كان بوغي يردد أنه يعرفني أكثر من أي شخص آخر، غير أن الشخص الذي يعرفه كان مجرد وهم من صنيع مخيّلته. كان يعرف مراهقة نحيلة، ومرهفة، ورقيقة وضعيفة إلى درجة أنها كانت عاجزة عن الاستمرار دون حمايته، فتاة مناسبة لإشباع رغبته في أن يمتلك كليّاً كائناً بشرياً آخر. على الرغم من كل الوقت الذي كنا فيه منفصلين فهو لم يفقد حس التملّك ذاك.

عبست على الفور. على أيّة حال، ما كنت راغبة في لقائه. بأي حق كان يأمرني ثم يغضب مني بعدها؟ إنه جسدي، أولا يحق لي أن أسمن بقدر ما أريد؟

محتفظة بخواطري هذه لنفسي، قعدت هناك قبالته في صمت مطبق.

«متى عدت؟»

«ما قبل البارحة».

«لماذا لم تتصلي بي؟»

لم أرغب في أن أفسّر له. مهما قلت سيكون مجرد مضيعة للوقت.

الأمر التالي الذي طلع لي به بوغي كان «لقد كان المال إذاً، تماماً مثلما خطر لي».

«ماذا؟»

«تماماً كما خطر لي، كنت قررت أن تبقي معي من أجل المال».

«ماذا تقصد؟»

فغرت فاهي، مذهولة وقد بدأ يتحدث بهذه الطريقة، كان سيفسد كل ما عشناه معاً.

للإنصاف كان ثمة احتمال ردتّي فعل على هذا الاتهام. الإنكار أو الاعتراف. على أيّة حال، إن بوغي المفلس ليس بوغي الحقيقي. بوغي الذي يرتدي ثياباً رخيصة رثّة ليس بوغي الحقيقي. حتى هو نفسه كان يعرف ذلك.

رجل نبيل، رجل واهم بالعظمة، رجل كبير القلب إلى درجة تتيح له التعالي على ترهات المجتمع العادي، رجل يهوى اللعب والمقامرة والعشق، هذا هو بوغي الحقيقي.

كنا بددنا معاً المال كالمياه وقضينا أوقاتاً رائعة. وحدها فتاة صغيرة مثلي كانت قادرة على إمتاعه وإشباع نزواته دون أي تردد. أراد بوغي كسب كومات من المال ثم التمتع بتبديدها بصحبة امرأة تمنحه رفقتها الطمأنينة والحميمية، امرأة قادرة على أن تكون صديقة وحبيبة في آن معاً.

كان المال بيني وبين بوغي هو الرابط الأساسي، تماماً مثلما هم الأطفال الرابط الأساسي ما بين العديد من الأزواج. الجملتان الرئيسيتان

في حياتنا معاً كانتا «هل لديك مال؟» و «هل تناولت الطعام؟»

حسبت أن ذلك كان حباً. فإذا كان الأمر مجرد مسألة تملق رجل بدناءة من أجل ماله، فلربما كانت علاقتنا المميزة كذلك لم تكن موجودة البتة.

حافظت على صمتي المتجهّم إلى أن بادر بوغي بالقول «هلاّ ننطلق إذاً؟»

ما إن ولجنا الجادة المرصوفة بالأشجار حتى قام على نحو مفاجىء بدفعي إلى ما وراء إحدى الشجرات، أمسك بخناقي ورفعني عالياً على رؤوس أصابعي وطلب مني نقوداً.

«لو أنك كنت أسرعتِ وجئتِ لرؤيتي لكنت تركتك تذهبين دون أي مشاكل. لكنك اتخذت الموقف الخاطىء أيتها السيدة الفتيّة! إن كنت تودين تركي أعيدي لي المليون ين خاصتي! هذا هو الثمن المتوجب كي أطلق سراحك!»

أقحم بوغي في يدي قصاصة من الورق كتب عليها بعجلة رقم حسابه المصرفي. بعدها حين انتبه إلى العابرين الذين كانوا يحدّقون بنا استدار كلياً وانطلق مبتعداً بخطى واسعة.

عدت إلى المنزل وسألت أمي ماذا يتوجب عليّ أن أفعل. ما كنت أملك قطعاً مبلغاً كهذا. بيد أنه بالكاد بدأت أفسّر لأمي حتى رنّ الهاتف. كان بوغي، والحكاية نفسها، هذه المرة بمزيد من التفسيرات والصياح.

«قد تحسبين أن المال الذي صرفته عليك ليس شيئاً مقارنة بعشرات الملايين التي بددتها على الميسر ولولو وكل ما هنالك، لكن ليس بوسعك

أن تتجاهلي رزمتي الخمسمائة ألف ين اللتين أعطيتك إياهما في النهاية! ذلك المال وهبتك إياه من صميم قلبي كما تعرفين! كان ذلك يعني لي الكثير!»

تساءلت ما الذي جرى لمبدأ بوغي الشهير «المال هو مجرد مال». الواضح أنه ذهب أدراج الرياح.

«لكن يا بوغي لقد صرفتها. ليس لدي مليون ين!»

«هذا سيئ جداً! إنها غلطتك الحمقاء! إحصلي على المال اللعين بأي وسيلة، بيعي جسدك إن توجب ذلك! لديك أسبوع واحد لإرسال مليون ين إلى حسابي المصرفي! أعيدي لي المليون ين خاصتي وسوف لن أتصل بك مجدداً!»

بعدما أقفل الخط وقفت حاملة السمّاعة في يدي صامتة حتى قطعت أمي الصمت، كان بوغي يصرخ عالياً جداً ما أتاح لها أن تسمع مجمل الحوار.

«حسناً، أعطني رقم حساب بوغي».

«أمّاه ..».

«حين يقع الأولاد في ورطة فإن الأمهات هن من يصلحن الأمور. هذا أمر طبيعي، وشيء آخر، إياك أن تردّي على الهاتف من الآن فصاعداً، اتفقنا؟»

توجهنا أنا وأمي إلى المصرف وأرسلنا المال لبوغي.

«لا بد أنه واقع في ورطة كبيرة كي يتصرف بتلك الطريقة، أوهل يمكن أن تصدّقي أن رجلاً لطيفاً مثله تصل به الأمور إلى هذا الدرك؟»

تلك الليلة شربت أمي حتى الثمالة لأول مرة منذ سنوات

وأخبرتني أموراً عدة.

«من الأفضل أن تبقي بعيداً عن اليابان فترة ما. إن كنت فعلياً جادة بشأن ذلك، يجب أن تدخلي ذلك المعهد لتصميم الأزياء في نيويورك، سوف أهتم بالتكاليف. كنت أفكر في المسائل وأعتقد أنه لربما كان يتوجب أن أعطيك حريّة أكبر للقيام بما كنت ترغبين فيه حين كنت صغيرة. على أية حال، الآن أصبحت راشدة وينبغي أن تفعلي ما ترغبين فيه؟

«أوهل تعنين فعلياً ما تقولينه يا أمي؟»

«أكره الاعتراف بهذا ولكن أجل. بعد كل ما عانيته من مشاكل، أدركت أن بعض اللوم يقع عليّ. أي واحدة عندها ابنة لطيفة تبغي إبقاءها إلى جانبها، وإن بقاءك قربي يمنحني السعادة، مهما فعلتُ كنت لا تغضبين أبداً، بل وتقدّمين لي يد العون مهما كنت أفعل. ولكن مهما كنت لطيفة لا يحقّ لأحد أن يقيّدك».

لم أنبس بحرف.

«تحسبين أنك تشبهينني ولكنك في الحقيقة أنت مثل والدك تماماً. لطيفة ضعيفة وماكرة كسولة. لست حاقدة على والدك كما تعرفين. في الماضي كنت أحبّه. لكن الحياة... الحياة مديدة جداً.. جعلته مملاً متلبّد الحسّ وامتصت كل الحيوية منه. ابتعد أحدنا عن الآخر، وحين أتت تلك المرأة، أعتقد أنه كان أضعف من أن يصدّها».

كانت عينا أمي تبحثان عبري عن صورة ما قصيّة لوالدي. وتوارد لي فجأة أن السبب من وراء استمرارها في العيش في هذا المنزل القديم البالي، في حين كان بمقدورها بالتأكيد تحمل نفقات استئجار مكان آخر

أفضل، ربما كان لأنها لا تزال تنتظر عودة أبي إلى المنزل.

ذلك الخاطر منحني إحساساً عميقاً بالارتياح. نصف الدم الجاري في عروقي، النصف الذي ظننت أن أمي كانت تكرهه، كان محبوباً في نهاية الأمر. راودني أني لطالما كرهت نفسي. وإن كنت عاجزاً عن حب نفسك فأنت بالتالي لست مهيّئاً لحب شخص آخر.

«على أية حال، لم يعد ثمة أهمية لهذا. إن كان تصميم الأزياء في نيويورك هو ما تودين القيام به فيتوجب عليك أن تفعلي ذلك».

توجهت إلى الخزينة الصامدة للنار في زاوية الحجرة وأخرجت منها دفتر إيداع مصرفي.

«هيا، خذي هذا».

كان دفتر الإيداع المصرفي يحمل اسمي.

«كنت ادّخر لزواجك. ثم أقمت أنت حفل الزواج ذاك العجيب الذي دفع هو تكاليفه. لا أتوقع أن تتزوجي بشكل مناسب قريباً، وسوف تتزوّجين عملك. لذا ينبغي كذلك أن أعطيك المال الآن. من الآن فصاعداً عيشي كما تشائين. ولا تقلقي بشأني. أريد منك أن تعودي لدفني غير أن هذا لن يحصل قبل العديد من السنوات. أمر واحد فقط، مهما فعلت افعليه كما ينبغي، اتفقنا؟»

*

في خريف تلك السنة دخلت معهد تصميم الأزياء. حين عدت إلى اليابان للعطلة الصيفية في السنة التالية تلقيت اتصالاً من رايكو.

«لقد نالوا أخيراً من بوغي».

«ماذا؟»

«ألم تسمعي بالخبر؟ لقد نشرت الخبر كل الصحف «شركة استشارية لتوظيف أموال غير مرخصّة سلبت بالاحتيال المليارات في أسهم البورصة» أنا ربة منزل كما تعلمين وأقرأ الصحف يومياً. لقد ألقي القبض على لولو كيتانو أيضاً، ولكن في مسألة مختلفة، حيازة الماريجوانا. إن صديقيك القديمين واقعان في ورطة كبيرة. لقد احتفظت بقصاصات الجرائد، سوف أرسلها لك».

حين وصلت القصاصات أول ما وقعت عليه عيناي كان صورتين فوتوغرافيتين لوجهي شخصين مشبوهين، بوغي وكن كن.

أحسست بانقباض في صدري. لقد كان بوغي رجلاً شديد الطيبة إلا أن الصورة جعلته يبدو أشبه بمجرم شرير كما تفعل عموماً تلك الصور. لا شك أنه لم يكن في أفضل حالاته النفسية حين التقط له مصور الشرطة الصورة. في وسعي أن أتخيل بسهولة المشهد... كان مشهداً حزيناً وإنما أيضاً مضحكاً على نحو ما.. لطالما كره بوغي الشرطة.

أطلعتُ أمي على القصاصات.

«أماه..، كنتِ في اليابان طوال الوقت. هل كنت تعلمين بهذا؟»

لم تجبني.

«إذا كنت تدرين».

«في الواقع لقد أتى بعض المحققين إلى هنا عندما كنت في نيويورك. ما وجدت أي حاجة لأن تعرفي أنت، إلا أنك علمت الآن، لذا هذا كل ما في الأمر».

«ماذا أرادوا؟»

«أرادوا أن يعرفوا ما إذا كان بوغي قد هرّب لك أي مبلغ من

المال. شيء مضحك أليس كذلك؟ إن رجلاً يائساً إلى درجة الضغط علينا لابتزاز مليون ين، يصعب الاعتقاد بأنه خبأ جانباً مبالغ كبيرة من المال».

كانت أمي محقّة في ذلك. إن رجلاً مثل بوغي قد يملك الكثير من الديون الخبيئة، ولكن لا مجال لأن يملك موجودات خبيئة. كان بوغي يصرف الأموال التي بحوزته، ولم يكن من النوع الذي يدّخر.

«سألوني من أين جاءت ابنتك بالمال لتسافر إلى نيويورك؟ أخبرتهم الحقيقة، هذا المال كسبته بعرق جبيني عاملة بكد طوال سنوات وسنوات. قلت لهم ذلك بصراحة تامة».

«إنها الحقيقة».

أمي المسكينة، كانت تكره التورّط مع الشرطة، إلا أنها اضطرّت للخضوع للاستجواب. وتعرّضت إلى جانب هذا الجرح إلى إهانة إضافية. إذ إن الشرطة ساورتها الشكوك حيال المال الذي ادخّرته عبر السنوات لدفع تكاليف عرس ابنتها، بأن يكون من غنائم الاحتيال. وخطر في بالي أني ما كنت من خيرة البنات.

«آه أماه، أنا آسفة».

«لا عليك، ما الداعي لكل هذه الاعتذارات بربّك؟»

«أعتقد أنك محقّة. لقد فات أوان الاعتذارات».

ردت ضاحكة «بالتأكيد فات».

منشغلة البال حيال بوغي قمت بالاتصال هاتفياً بالفتاة التي كانت سكرتيرته. كانت قد تركت الشركة منذ وقت طويل ومشغولة بعائلتها.

قالت لي «لقد قدمت الشرطة إلى منزلنا كذلك. لأني كنت أعمل في الشركة. أمضوا ثماني ساعات وهم يحاولون استخراج معلومات مني. لقد قاموا كذلك بطرح العديد من الأسئلة بشأنك «أنت صديقة لها، صحيح؟ من أين أتت بالمال للذهاب إلى نيويورك؟» أسئلة من هذا النوع. أخبرتهم الحقيقة، كنت قد أخبرتني أنك ادّخرت المبلغ فيما كنت تعيشين معه».

«هل أخبرت الشرطة بأني استخدمت المال الذي ادخّرته؟»

«أجل بدوا بمنتهى الخيبة».

«إنه ليس المبلغ الكبير الذي كانوا يفتشون عنه، أليس كذلك؟»

بلى، كنت قد ادّخرت مبلغاً صغيراً حين كنت مع بوغي، إضافة إلى المبلغ الضئيل الذي كنت كسبته وقد ساعداني في الوصول إلى نيويورك. لكن المبلغ سرعان ما تبدد، أصابه حسب المثل الشائع «ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة». كنت حالياً فقيرة، طالبة مستقيمة واستخدم المال الذي تعطيني إياه أمي لدفع تكاليف دراستي في معهد تصميم الأزياء، وأدعمه بوظيفة جزئية في مطعم ياباني في حي East Village. كان بدل الإيجار عبئاً غير أني تشاطرته مع رفيقة حجرة.

وأردفت السكرتيرة السابقة قائلة «لكني سأطلعك على أمر ما. لقد كشف رب عملي ذوقه الوضيع جداً– لا أعرف كيف أعبّر عن ذلك– لقد فقد في الأشهر القليلة التي سبقت اعتقاله ملكة التمييز. كان الأمر فعلياً فظيعاً».

«ماذا حصل؟»

فسرت لي أن بوغي كان غرق بشكل أعمق في ورطته، وأن سلوكه

الجنسي أمسى باطراد أسوأ فأسوأ. كان يسأل كل فتاة يلتقيها في البارات الخروج معه، وما استطاع إبعاد يديه عن موظفاته، حتى أنه قام بمطاردة الفتاة التي في قسم المحاسبة، تلك التي كان يقول إنها قبيحة إلى درجة أنها حين تدخل المنزل يتوجب اغلاق أبواب المذبح البوذي من أجل تحاشي إغضاب الآلهة.

وبالإضافة إلى محاولته مضاجعة كل امرأة كان يلتقيها، قام بوغي أيضاً باستدانة المال من كل من كان بالوسع إقناعه بإقراض المال وبالطبع ما كان يقوم البتة بإرجاع أي فلس منه.

كان الجميع غاضباً منه، غير أني أنا وحدي تفهمته. لم يكن يتعمد الاحتيال كان أبعد ما يكون عن هذا. أنا متأكدة تماماً من أنه حتى آخر دقيقة كان يخال فعلياً أنه سوف يستطيع إعادة كل المال الذي استعاره ويدفعه مضاعفاً عشر مرات. وفيما يختص بالنساء أنا متأكدة على نحو مواز أنه كان يحب بشكل صادق وحقيقي كل واحدة منهن، على الأقل طالما يشاطرها الفراش.

«لا بد وأنه أصيب بالذعر حين اتضح له أنهم سوف يضعونه في السجن».

أجابت السكرتيرة «هل ثمة من لا يخاف ذلك؟»

«لكن مهما حصل لا يمكن أن تكرهي هذا الرجل».

«أجل إنك محقّة هنا».

أجل بالفعل، مهما حصل، الأمر الوحيد الأكيد الذي في الوسع قوله عن بوغي كان أنه لم يكن شخصاً سيئاً.

*

بينما كنت لا أزال في طوكيو وصلتني رسالة من بوغي كان كتبها في زنزانته في سجن طوكيو. كانت الرسالة تحمل الختم الرسمي لرقيب الشرطة وكانت حوّلتها لي يوروكا التي كانت تقوم بمهمة الوكيل القانوني لبوغي وهو في السجن. حسب السكرتيرة السابقة كانت يوروكا امرأة نبيلة سخيّة فعلياً، كانت تخلّت عن أحلامها بامتهان الغناء وكرست نفسها للعمل في النوادي الليلية من أجل كسب المال الذي تحتاج إليه لمساعدة بوغي.

كان مبعث راحة لدي أن أعرف أن بوغي لم يكن وحده في العالم، لم يكن من النوع القادر على البقاء والاستمرار وحيداً. طالما أن يوروكا كانت تعنى به فلن يكون هناك حاجة للقلق.

لم يساورني القلق في أن مجرد التفكير في أني لو كنت قوية كيوروكا لكان بوسعي المضي قدماً في حب بوغي. ما كنت قادرة، مثل الجميع، سوى أن أكون أنا نفسي. طالما ثمة على الدوام شخص يستطيع تحمّل البقاء مع بوغي، فالأمور على خير ما يرام.

كتب لي في الرسالة ما يلي:

ينتابني الخجل من الانفصال عنك بهذه الطريقة المريعة. لكن توجب عليّ أن أجعلك تكرهينني في النهاية. الأمر الوحيد الذي كان بوسعي أن أفعله من أجلك هو قطع الرباط الذي يوثقنا الواحد بالآخر، آمل أن نلتقي مجدداً في ظروف أكثر سعادة».

قلت في نفسي «لا يزال صديقي القديم الساذج بوغي يعيش في عالمه الخاص».

لست أكره بوغي، أجل لقد أساء معاملتي بأبشع ما يكون في بعض الأحيان. أجل لقد انهارت علاقتنا بشكل مدوّ. غير أن الدموع التي ذرفها من أجلي، وتلك التي ذرفتها من أجله كانت حقيقية، ولا تزال وستبقى على الدوام كذلك.

قبل ثلاث سنوات احتفلنا، أنا وبوغي، بزواجنا في معبد نوغي. صرنا زوجاً وزوجة بعدها، وأعتقد أننا لا نزال كذلك حالياً بالمعنى الروحيّ للكلمة. ولكن في العالم الماديّ ما كان لزواج كزواجنا أن يستمر إطلاقاً.

فعندما ينفصل رجل وامرأة، لا يغدو بوسعهما البتة أن يلتقيا مجدداً في ظروف أكثر سعادة. أن تتلوّع بلقاء بحبيب قديم أمر غير مريح، لأن الحقيقة تندفع عنيفة في وجهك والأحلام التي في داخلك تتفتت أجزاء صغيرة.

الفتاة التي كنتها يوماً، أيام كنت مغرمة ببوغي، كانت فتيّة جداً، بريئة جداً، وجميلة جداً الأمر الذي أتاح لها الوجود في عالم وهميّ. طوال فترة ما، رغبت فعلياً في أن أصبح وهم بوغي. أحسب أنني سأحمل ذلك الشعور، أغرسه في أعماق قلبي وأقفل عليه بصمت.

تانغو طوكيو

تتحول سايا في هذه الرواية شيئاً فشيئاً من فتاة عديمة الخبرة في الحياة إلى امرأة ناضجة تختبر نفسها والعالم. تخرج تدريجياً من عالم الأوهام الوردية لترى الأمور على حقيقتها. حقيقة يمكن أن تكون أحياناً قاسية. وتواجه خيارات أساسية في حياتها.

«تانغو طوكيو» رواية تسرد تحولات امرأة شابة ومعها التحولات الاقتصادية والاجتماعية في بلد يتأرجح بين التقليد والحداثة.

ISBN 978-9933-407-05-6





كلمة
KALIMA